الفصل الثاني

البنية السردية لرواية "زمن النمرود"

I-ملخص رواية "زمن النمرود"

II- الشخصية الروائية في رواية "زمن النمرود"

1- مفهوم الشخصية الروائية

2- الشخصيات في رواية "زمن النمرود"

أ- شخصيات "ذرية النمرود"

أولا- جيل الثورة

ثانيا- جيل الاستقلال

ب- شخصيات "ذرية الذئاب"

III- الزمكان الفني في رواية "زمن النمرود"

1- زمن الصراع و مقاومة الفساد

أ- مفهوم الزمن الروائي

ب- توظيف الزمن في رواية "زمن النمرود"

أولا- الزمن الوقائعي

ثانيا - الزمن الفني

ثالثا - الزمن النفسي

2 - الفضاء البطولي في تاريخ الجزائر الحديث

أ- مفهوم المكان الروائي

ب- توظيف المكان في رواية "زمن النمرود"

أولا- أماكن مفتوحة

- مقهى تشراك الفم

ثانيا- أماكن مغلقة

- دار القسمة

- مزرعة بلخير

- مصنع الورق

IV- مضمـــــــون رواية " زمن النمرود"

1 - مفهوم الحدث الروائي

2 - سير أحداث رواية "زمن النمرود"

الخاتمة:

إن بحثي "سردية النص الروائي الجزائري" فتح لي الطريق لمعرفة ريادة أدبنا عالميا في مجال الكتابة الروائية ،وأعني بذلك "الحمار الذهبي" لـ "أبوليوس لوكيوس". و الروايات التي جاءت بعدها بداية من منتصف القرن التاسع عشر إلى نهاية ستينيات القرن الماضي لم ترق إلى أن تكون روايات فنية لارتباطها إما بالحب وطغيان العامية عليها الممزوجة بطابع الشعر الشعبي، أو بالإغراق في الرومانسية الحالمة وبالفكر الإصلاحي الذي لم يعبر عن معاناة الشعب اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، وانحصر دوره في الوعظ والإرشاد . وبذلك كان الميلاد الفعلي للرواية الفنية الجزائرية مرتبطا ببداية سبعينيات القرن الماضي مع ميلاد رعيل جديد من الروائيين المتأثرين بالفكر الاشتراكي، فكانت رواياتهم بذلك إما واقعية اشتراكية سعوا من خلالها إلى مباركة سياسة السلطة ، أو واقعية نقدية انتقدوا فيها الحزب الحاكم نتيجة حياده عن المسار الاشتراكي.

وبعد الدراسة التي قمت بها لرواية "زمن النمرود" أستطيع القول بأنها كانت تجليا واضحا لأثر التفاعل بين الفن والوعي، وبين الذات والموضوع. فمن خلال هذا العمل استطاع " الحبيب السايح" الكشف عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للجزائر نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات، متحاشيا في ذلك أسلوب المؤرخين ،إذ كان هذا العمل الروائي جملة من الأساليب التعبيرية التي استوعبت الواقع المعيش آنذاك بتصويرها للصراع الاجتماعي والتحول الأيديولوجي الكبير الذي حدث في البلد الموجه توجيها اقتصاديا نحو الاشتراكية، والذي خلف إرثا ثقيلا فيما بعد تمثل في "ذرية النمرود" و ثنائية الصراع القائم مع "ذرية الذئاب"، إذ لاحظت المفارقات الكبيرة في القيم الجمالية للصراع الأيديولوجي ، فالقيم السامية تمثلت في "ذرية النمرود"، و القيم المبتذلة تمثلت في "ذرية الذئاب" انطلاقا من التوجه الفكري للروائي، وكل من هؤلاء له مصادره التاريخية وفكره الأيديولوجي الخاص به.

إن رواية "زمن النمرود" اتسمت فنيا ببنيتها الروائية المتماسكة،و بمضمونها الفكري الذي جسد الصراع الموروث بين الذات والاستعمار، وبين السلطة الحاكمة وذرية المجتمع المصنفة إلى صنفين متضادين فكريا وعقائديا ، مثّلَ الصنف الأول الاشتراكي المناضل من أجل المساواة والعدالة والحق ،والتيار الديني، ومثّلَ الصنف الثاني التيار الرأسمالي المتفسخ نحو هدم المجتمع وإلغاء بناء مؤسساته واستبدال الحكم الإسلامي بديلا أيديولوجيا من حيث النظام والسلطة والولاء.

كما أن الشخصيات النسائية التي وظفها الروائي صورت تصويرا سلبيا لسلبيتها الاجتماعية والتاريخية، فبدت مهلهلة البناء من الداخل ولا تمارس أي دور قيادي فكانت بذلك ضعيفة ومسحوقة في آن واحد خاضعة لأوامر وتوجهات الرجل.

وأخيرا انتهى الروائي إلى تصوير الواقع ونقده اعتمادا على ملاحظة الظواهر الاجتماعية السلبية إن لم أقل هي عينه بالذات دون أن يعطي البديل لذلك، وهي سمة الكتابة الواقعية النقدية. كانـــت هذه أهم النقاط الرئيسية التي ميزت موضوع بحثي والتي مازالت تحتاج إلى بحث وإثراء ،متمنيا استدراك كل ما فاتني في بحوث أخرى أكثر تحريا وموضوعية.

وفي الأخير أسأل الله أن أكون قد وفقت في دراستي لموضوع بحثي هذا.

I- مكونات بنية المجتمع الجزائري:

اكتسى الاستعمار في الجزائر بحكم طابعه الاستيطاني صورة اضطهاد مطلق كاد يؤدي إلى إبادة الشعب، وأسفر ذلك عن تدمير الدولة وتقويض البنيات الاجتماعية والاقتصادية القديمة وتصفية الفئات التقليدية الحاكمة والعناصر المستنيرة في المجتمع، كما أدى إلى تجريد الشعب من ممتلكاته وتشريده عن أراضيه والسيطرة عليه بكل الوسائل.

وكان تكوين المجتمع الجزائري المستعمر تكوينا اجتماعيا تبعيا فالجزائر مستعمرة (استيطانية) واستغلالية [1].استولى الاستعمار الاستيطاني على الحكم فيها بالقوة، وفرض سيادته واقتصاده وثقافته على الشعب الجزائري بلغة القوة والسلاح، وشرع قوانينه المدنية والعسكرية على حساب المواطنين فكانت« الغلبة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأقلية الاستعمارية La prépondérance politique et économique et sociale»[2]. وهذا ما خلق طبقة الأسياد من الإقطاعيين والرأسماليين الكبار (الكولون)، فانعكست مكانتهم وامتيازاتهم في الواقع الجزائري المضطهد إذ أن« الطبقة السائدة في الاقتصاد هي التي تملك الإمكانية المادية لفرض إرادتها على المجتمع كله ولإخضاعه لتنظيم إرادتها وسيادتها»[3].

ولهذا استحوذت الدولة الفرنسية بوصفها وارثة لحقوق السيادة بلا منازع على أراضي البايلك، ثم قسمتها ووزعتها على المعمرين الفرنسيين وغيرهم [4]. ففي عشرات السنين من السيادة الفرنسية في الجزائر تكونت شيئا فشيئا على أساس هجرة المستوطنين من جنوب فرنسا ومن اسبانيا ومن البعض الآخر من البلدان الأوربية أقلية أوربية متميزة، كانت الدعامة الرئيسية للنظام الاستعماري[5].

إن الاستعمار الكولونيالي وأيديولوجيته كانتا قائمتين على غصب الأراضي والثروات الطبيعية والمعدنية وخيرات البلاد بالقوة والقمع فأدى ذلك إلى إفقار الجماهير بإبقائها في حالة دائمة من الانحطاط ، كما« لم يكن الجزائريون يعتبرون مواطنين لفرنسا من الوجهة القانونية بل (رعايا) لها وقد نظم وضعهم الحقوقي بقانون خاص»[6].

وفي هذه الفترة الأولى من بداية الاستعمار كانت« الزوايا ممثلة القوة الوطنية القائمة على أساس نظام قبلي باعتبار القبيلة هي البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع الجزائري إبان فترة الاحتلال التركي وبداية الغزو الاستعماري الكولونيالي لأنه من غير الممكن فصل نضالات هذه الزوايا

---

[1] - ينظر محمد الأمين الزاوي: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، رسالة ماجستير بإشراف د/حسام الخطيب ، قسم اللغة العربية ، جامعة دمشق،سورية، (1983-1984)، ص(24-25).

[2] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،(د ط)،(1986)، ص(21).

[3] - كيلة كونالسون: المادية التاريخية، دار التقدم، موسكو، الاتحاد السوفيلتي،(ط2)، (1976)، ص(198).

[4] - ينظر وولف أريك: الحروب الفلاحية في القرن العشرين،(ت): أكرم الرافعي، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، (دط)،(1977)، ص(208).

[5] - ينظر مجموعة من المؤلفين: تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ج (2)، دار التقدم، موسكو،الاتحاد السوفياتي، (دط)،(1976)، ص(313).

[6] - المرجع نفسه: ص(318).

عن تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية إذ تعد البذرة الأولى لنهضة الوعي الوطني الذي تمثل في "الرحمانية والقادرية ودرقاوة" وغيرها. ولقد فتك الاستعمار بعد سنوات قليلة بهذه الزوايا وأصبحت تتعامل معه. وأصبح المسؤولون عنها " شيوخ القبائل والأئمة الطرقيون" موظفون لدى الجهاز الاستعماري...»[1].كما اتسمت هذه الفترة بتجهيل المجتمع الجزائري وذلك بحرمانه من التعليم.

إن الظروف السياسية والاجتماعية المزرية التي عانى منها الشعب الجزائري فجرت فيه وعيا ناميا تمثل في ظهور الوعي الوطني النسبي في بدايته ،حيث ظهرت انتفاضات عدة بداية من انتفاضة "الأمير عبد القادر" وصولا إلى انتفاضة الفلاحين سنة(1871) هذه الأخيرة« تميزت بالانقطاع الذي حصل بين أرستقراطية الأرض وشعب الأرياف، فقد نظمت هاتان المجموعتان الانتفاضة كل واحدة على حدة، فمن جهة جمع "المقراني" الأرستقراطية العقارية التي تريد الإبقاء على امتيازاتها المكتسبة على حساب الفلاحين في أغلب الأحيان، ومن جهة أخرى تريد الطبقة الفلاحية طرد المحتل واستعادة ملكية أرضها. وقد تأسس في المجتمعات تنظيم الشرطة التي ضاعفت من الإدارة الرسمية، وكان دورها في مراقبة القادة من قبل الحكم الاستعماري، وجمع الأموال لشراء الأسلحة. وهذه الطبقة الفلاحية أعطت الرئاسة للشيخ "الحداد" من جمعية "الرحمانية"»[2].

واستمرت مقاومة الفلاحين للاستعمار إذ لم تتوقف... في عام(1871)فقد تواصلت بطرق مختلفة حتى عام(1916)، وبرهنت بصورة واضحة على أن القوى الثورية للطبقة الفلاحية لم تخمد وأن الطبقة الفلاحية لا تستطيع أن تنتصر لوحدها كذلك. وظهرت حينئذ أشكال أخرى من المقاومة أكثر سرية لكنها ليست أقل واقعية منها: رفض دفع الضريبة، ورفض الطب والثقافة العصرية المنتشرة من قبل الاستعمار [3].

لقد شهدت الجزائر منذ الوهلة الأولى للاحتلال هجرة واسعة وذلك لانعدام الحرية، فما دام القانون يعتبر الجزائريين رعايا فإن الفرنسيين لم يعترفوا لهم بحقهم في التمتع بكامل الحريات المدنية والسياسية كمواطنين. وبالإضافة إلى ذلك فإن الملامح الاضطهادية للحكم الفرنسي (قانون الأهالي كان أسوأها) مع فقدان وسائل التعبير، قد جعلت الجزائريين يكتشفون بأنه لا يمكنهم البقاء في وطنهم بأي حال. وكانت الأسباب الاقتصادية سببا آخرا مهما للهجرة ذلك أن الجزائريين كانوا يشكون منذ سنوات طويلة إلى السلطات الاستعمارية الفرنسية من الضرائب الثقيلة. ومن أسباب الهجرة أيضا مراقبة المؤسسات الدينية ومصادرة الأوقاف، وإدارة الشؤون الدينية من طرف فرنسا. ومن جهة أخرى كانت الجامعة الإسلامية سببا هاما في الهجرة، فالرسائل التي كان يبعث بها المهاجرون الجزائريون في

---

[1] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر،رسالة ماجستير بإشراف د/ فؤاد المرعي،قسم الأدب العربي،جامعة حلب،سورية،(1985-1986)، ص(02).
[2] - عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث، دار الحداثة، بيروت، لبنان،(ط1)،(1981)، ص(127-128).
[3] - ينظر أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، ج (2)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، (ط4)،(1992)،ص(118).

القرن التاسع عشر إلى ذويهم في الجزائر والتي كانت تصف الحرية والأخوة في الشرق الأدنى قد جعلت بعض الجزائريين يصدقون ما يقرأون، بالإضافة إلى التجنيد الإجباري [1].

وكانت الهجرة في بدايتها مقتصرة على البلدان المجاورة، وبلدان المشرق العربي فبحلول سنة(1911) كان في سورية وحدها عشرون ألف مهاجر جزائري، وتشير الإحصائيات إلى أن حوالي نصف العدد كان في المغرب الأقصى وتونس سنة(1907)... [2]. إلى جانب تهجير الجزائريين بالقوة إلى جزيرة "كاليدونيا الجديدة"، كما كانت الهجرة إلى فرنسا عالية فبين (1900–1914) كان في فرنسا عشرة آلاف مهاجر جزائري وحوالي نصف هذا العدد هاجر بين عامي(1912–1914)،وقد قادت الحرب العالمية الأولى إلى هجرة جزائرية جديدة من العمال والجنود إلى فرنسا، وكان لهذه الموجة نتائج خطيرة على الحركة الوطنية الجزائرية [3].

وفي فرنسا بالذات وابتداء من سنة(1919) تأسست أولى الحركات النقابية الجزائرية فـ«حركة العمال الجزائريين المهاجرين لا تتحدد بالمطالب المادية المباشرة، ويرتبط النضال النقابي في آن واحد بالنضال السياسي ضد الاستعمار من أجل الاستقلال الوطني. وفي عام(1926) شهدنا في باريس ولادة "نجم شمال إفريقيا" الذي يجمع العمال الجزائريين»[4].

إن هذا الحزب الذي تكون في فرنسا من خلال« البروليتاريا المهاجرة النابعة من الطبقة الفلاحية ويقوم بوظائف عديدة للاغتراب الثلاثي Alienation، في الهجرة، ونزع الملكية والاستغلال الرأسمالي. وفي عام (1927) وضع "نجم شمال إفريقيا" لبرنامجه شعار الاستقلال وكذلك شعار الإصلاح الزراعي، إنه يطالب في الحقيقة "بمصادرة الملكيات الزراعية الكبيرة المحتكرة من
قبل الإقطاعيين عملاء الامبريالية المستعمرين، والمجتمعات الرأسمالية الخاصة وإعادة الأرض المصادرة إلى الفلاحين الذين أخرجوا منها" »[5].

وتميزت بداية العشرينيات « (1920) بولادة الحركة الوطنية في شكلها العصري المتمثلة في"الأمير خالد"، وبتأسيس حزب "نجم شمال إفريقيا". إنه الوقت الذي ترسخت فيه النقابة العمالية في المدن، والذي بدأت فيه بتنظيم الجمعيات الأولى للعمال الزراعيين»[6].

وتعد فترة الثلاثينيات فترة ازدهار الحياة السياسية بالجزائر إذ عرفت ميلاد جمعيات وأحزاب سياسية مختلفة الرؤى بالنسبة للقضية الوطنية، فنجد جمعية العلماء المسلمين التي اعتمدت رسميا سنة(1931) اقتصر دورها على إصلاح حال الأمة. أما الحزب الشيوعي الذي تأسس في سنة «

---

(1) - ينظر أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج (2)، ص(119-120-121).
(2) - ينظر المرجع نفسه : ص(123-124).
(3) - ينظر المرجع نفسه : ص(128-129).
(4) - عبد القادر جغلول : تاريخ الجزائر الحديث، ص(151-152).
(5) – المرجع نفسه : ص(130).
(6) - المرجع نفسه : ص(133).

(1932) في أرض الوطن، وضم إلى عضويته الشيوعيين الأوربيين المقيمين في الجزائر بحيث وضعوا برنامجا يقضي بمنح السكان الأصليين الحريات الديمقراطية، وبإدخال التشريعات الاجتماعية إلى البلاد، وبالكف عن اضطهاد الطبقة الشغيلة، ونهبهم عن طريق الضرائب»[1].

ونجد كذلك حزب "الشعب الجزائري" الذي يعتبر استمرارا لحزب "نجم شمال إفريقيا" الذي حل سنة (1937) وأعيد تنظيمه باسم حزب" الشعب الجزائري" في السنة نفسها بزعامة "مصالي الحاج" في بداية نشاطات الحزب السياسية فتح جبهة ضد المؤتمر الإسلامي الذي جمع العلماء والشيوعيين والمنتخبين سنة (1938). ونصب "مصالي الحاج" نفسه أبا روحيا ودينيا فأعلن أن العلماء أصبحوا لعبة بين أيدي الشيوعيين، ورفض كل عمل جهوي من شأنه أن يعمق الوعي الوطني ويبلور المفاهيم الوطنية حسب منطق تطور الوضع داخل المستعمرة [2].

وإثر طرح قانون «"بلوم فيوليت" عام(1938) قام حزب "الشعب الجزائري" بمناداته بالانفصال التام عن فرنسا والاستقلال للجزائر. فكان يجمع بانتظام عددا كبيرا من الأصوات في الانتخابات حتى أثناء وجود أعضاء الحزب في السجون، وكان له أكبر التأثير في أوساط البرجوازية الصغيرة في المدينة وعند قسم من العمال الجزائريين»[3].

كما ظهر أيضا في هذه الفترة دعاة "الإدماج" الذين نفوا وجود دولة جزائرية مستقلة الكيان واعتبروها جزءا لا يتجزأ من فرنسا.

وعرفت الجزائر في هذه العشرية وضعا متأزما وذلك راجع إلى «اليقظة الثقافية والسياسية التي عرفتها ، والتي أدت في النهاية إلى الشعور بالذات واكتسبت صلابة في معاداتها للحكم الفرنسي الذي تغير الزمن ولم يغير هو من أسبابه»[4].وارتبط هذا الشعور بسوء الأحوال الاقتصادية للبلاد [5].

ولعل هذه الأسباب هي التي كانت الدافع إلى بداية الصدام بين الحركات الوطنية والاستعمار الفرنسي، فمنذ أن« قررت جمعية العلماء مخاطبة الجماهير باستعمال المساجد للوعظ والإرشاد والدعوة إلى الإصلاح الديني والاجتماعي بالإضافة إلى تأسيس المدارس العربية الحرة لتعليم اللغة العربية وتاريخ الإسلام، وأدى هذا إلى غلقها من طرف سلطات الاحتلال مما أثار استنكار "عبد الحميد بن باديس" وجماعته، حيث شهد شهر مارس من (1933) مظاهرات عنيفة بالعاصمة ضد منع الشيخ "الطيب العقبي" من إلقاء دروسه في الجامع الجديد، وتدخل الحكومة في الشؤون الدينية»[1].

---

[1] - مجموعة من المؤلفين: تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ج (1)، ص(328).
[2] - ينظر محمد الأمين الزاوي: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص(212).
[3] - مجموعة من المؤلفين: تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ج (1)، ص(331).
[4] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج (3) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان، (ط4)،(1992)،ص(39).
[5] - ينظر المرجع نفسه: ص(39).
[1] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، ج (3) ، ص(43-44).

ولقي هذا القرار التعسفي غضب واستنكار النواب الجزائريين في مختلف المجالس المحلية حيث « توجه منهم وفد خلال يونيو(1933) إلى باريس ليشكو من الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي كانت تعيشه الجزائر، وليحتجوا على إجراءات غلق المساجد والمدارس القرآنية. وبعد الفشل الذي لقيه الوفد في باريس عاد إلى الجزائر وقدم استقالته من مهامه، كما دعا جميع الجزائريين العاملين في المجالس المحلية إلى الاستقالة الجماعية احتجاجا...»[2].

وهكذا كان لهذه الحادثة أثر عميق في بلورة الشعور الوطني ففي« سيدي بلعباس وقعت مظاهرات سنة(1933) شارك فيها العمال العاطلون، وأنشدوا خلالها نشيد الأممية. وفي نفس السنة حدثت في سيدي بلعباس، وتلمسان ،و مستغانم، وعين تيموشنت مظاهرات نادى أصحابها بسقوط فرنسا وحياة "هتلر". تلتها فيما بعد أحداث قسنطينة سنة (1934)، وأحداث سطيف سنة (1935)، وفي نفس السنة حدثت اضطرابات خطيرة في الجزائر و مستغانم .ومنذ تولي الجبهة الشعبية الحكم في فرنسا سنة(1936) عرفت الجزائر تطورات واضطرابات أخرى استمرت آثارها إلى سنة (1939) وانعقاد المؤتمر الإسلامي سنة (1936)، ثم تدخلت السلطات الفرنسية لتفتيت الجبهة الوطنية بشتى الوسائل. ومن بين هذه الاضطرابات ما جرى سنة (1937) بين أعضاء" حزب الشعب" والسلطة الفرنسية»[3].

وفي الأربعينيات تواصل النشاط السياسي بظهور أحزاب جديدة، كحزب "أحباب البيان والحرية" الذي أسسه « "فرحات عباس" سنة (1944)، وانتسب إليه بعض أعضاء جمعية العلماء الجزائريين وبعض أعضاء حزب الشعب الجزائري الذي كان يعمل في الخفاء منذ عام(1935) وفي سنة (1945) إثر أهوال انتفاضة(8 ماي) حل هذا الحزب، وفي السنة نفسها أعاد "فرحات عباس" تنظيمه باسم جديد هو "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" الذي سعى إلى أن تقرر الجزائر مصيرها الوطني بنفسها عن طريق الإصلاحات التدريجية دون قطع الصلة بفرنسا لذا لم يتجاوز أنصار "فرحات عباس" المطالبة بمصالحهم الإدماجية باعتبارهم ممثلي الفئة البرجوازية الجزائرية المفرنسة»[4].

وفي عام(1945) كان لانتصار التحالف الذي ساهم فيه الشعب الجزائري وخاصة« طبقة الفلاحين بصورة حاسمة على الجبهات النورماندية والإيطالية الفضل في خلق الظروف لانطلاقة الحركة الوطنية، وكان الثامن من آيار عام (1945) في سطيف وقالمة البرهان الساطع والدامي إذ توطد الارتباط بين الحركة الوطنية الحضرية في مجملها وطبقة الفلاحين بانتشار الأيديولوجية الوطنية والاشتراكية –على قدر قليل– في الأرياف. وشكل بداية تنظيم الطبقة الفلاحية في إطار الأحزاب

---

[2] - المرجع نفسه: ص(44-45).

[3] - المرجع نفسه : ص(39).

[4] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر، ص(08).

والنقابات، وتوصلت الطبقة الفلاحية إلى شكل من الوعي السياسي الناضج وشاركت بجدية في حياة ونضالات الحركة الوطنية الجزائرية»[1].

كما عرفت أيضا هذه الفترة مواصلة "حزب الشعب" لنضاله إذ تبنى لنفسه تسمية أخرى هي "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" ،وكان ذلك في « نوفمبر عام (1946)... فقد جمعت هذه الحركة بين أسلوب العمل السياسي وأسلوب العمل العسكري لحل القضية الوطنية»[2]. وطالب هذا الحزب في بدايته« بالتصفية الفورية للنظام الاستعماري، وفي مؤتمره الثاني الذي انعقد سنة (1954)، وضع برنامجا اجتماعيا واقتصاديا بغياب "مصالي الحاج"، وعندما أطلق سراح "مصالي الحاج" أعاق تحقيق هذه القرارات الاجتماعية والاقتصادية للحزب ووقف ضد الأكثرية في اللجنة المركزية للحزب. وهذا أدى إلى انشقاق المركزيين عن المصاليين، فوجدت المنظمة السرية (os) الحل للخروج من الأزمة باتحاد المناضلين النشطين من أجل استقلال الجزائر، وقد تكونت هذه المنظمة سنة تأسيس الحزب عام (1947)، فلم ينظم أعضاء المنظمة لا إلى المصاليين ولا إلى المركزيين، بل شكلوا تيارا ثالثا عرف باسم "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" ومنها تشكلت "لجنة التسعة"... التي كونت جيش التحرير الوطني، ثم أعلنت قيام جبهة التحرير الوطني في الفاتح من نوفمبر(1954)»[3].

وفي فترة الثورة تكون "الاتحاد العام للعمال الجزائريين"، وهو أول تنظيم نقابي مستقل في خضم حرب التحرير حيث انعقد المجلس التأسيسي للاتحاد العام للعمال الجزائريين في أربعة وعشرين شباط في مدينة الجزائر وارتكز على نقطتين في برنامجه الذي انتزعه بعمق من اللجنة العامة للعمال والاتحاد العام للنقابات الجزائرية والمتمثلتين في أفضلية النضال من أجل الاستقلال الوطني وأفضلية تنظيم العمال الزراعيين [4] .فكان بذلك مدعما لثورة التحرير سواء من الداخل أو من الخارج وخاصة بوقوفه في وجه «اتحاد نقابات العمال الجزائريين، وهي نقابة مأجورة نظمها أتباع "مصالي الحاج" في الحركة الوطنية الجزائرية، وبما أنها ضعيفة عدديا فهي تمثل محاولة تجزئة الحركة النقابية الجزائرية التي ستجر إلى اقتتال أخوي وخاصة في أوساط الهجرة حيث أن نفوذ "مصالي الحاج" لم يكن قد انتهى كليا في ذلك الوقت»[1].

وفي نهاية المطاف قادت "جبهة التحرير الوطني" الجزائر إلى الاستقلال سنة(1962) متبنية في تسيير شؤون البلاد النظام الاشتراكي، وخاصة بعد حدوث التصحيح الثوري الذي قام به الرئيس الراحل "هواري بومدين"، والذي سعى من وراء تطبيقه للاشتراكية إلى تحقيق أهداف ثلاثة تمثلت في:

---

[1] - عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث، ص(133-134).
[2] - محمد الأمين الزاوي: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص(161).
[3] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر، ص(09).
[4] - ينظر عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث، ص(162-163).
[1] - عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث، ص(163).

« – أولاً: دعم الاستقلال الوطني.

– ثانياً: إقامة مجتمع متحرر من استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

– ثالثاً: ترقية الإنسان الجزائري وتوفير أسباب تفتح شخصيته وازدهارها»[2].

على أن هذا التوجه السياسي لم يكن وليد الاستقلال إذ أن« الاتجاه نحو اختيار اشتراكي قد ظهر في أفكار وتصرفات مناضلي "جبهة التحرير الوطني" ومجاهدي جيش التحرير الوطني طوال المدة التي استغرقها الكفاح الشعبي التحرري، وتجلى ذلك بصفة خاصة قبيل الاستقلال. وهذا النظام الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي الذي أخذ بناؤه يرتفع شيئا فشيئا فيما بعد الحرب، لا يمكن بحكم المنطق إلا أن يتخذ وجهة معاكسة لكل ما يمثله النظام الإقطاعي والامبريالي، ولكل المجموعات القوية الرأسمالية الأجنبية والمتعاملين معها من الأهالي»[3].

وبعد الاستقلال أصبحت الدولة منهمكة« باستمرارية الثورة أكثر من الاستمرارية التاريخية، ومنهمكة باستمرارية وتعميق الانقطاع أكثر من تسيير التركة الاستعمارية فهي تعيد البناء بعمق وتوحد المجال السياسي–الإداري: تحويل جيش التحرير الوطني إلى جيش عصري هو الجيش الوطني الشعبي، وإنشاء دبلوماسية فعالة بإكثار وتكثيف الوجود الحكومي فوق كل أراضي الوطن، ووضع أنظمة تربط بين الدولة والسكان "المجالس الشعبية البلدية، المجالس الشعبية للولايات، والمجلس الشعبي الوطني"... غير أن الدولة الوطنية لا تستمد شرعيتها من الاستفتاءات الانتخابية، ولا من قدرتها على إعادة تركيز المجتمع الجزائري بصورة هجومية. إنها في الحقيقة تريد أن تكون المؤسس للمجتمع الجديد...»[4].

وليس هناك ما من شك في أن بنية المجتمع الجزائري المستقل كانت موروثا استعماريا سياسيا واقتصاديا. فمن مخلفات الاستعمار من حيث البنية التحتية الاقتصاد الجزائري الموروث، لذلك فإن القيادة السياسية للبلاد« عجلت بنزع الطابع الاستعماري عن الاقتصاد، وشرعت في إقامة بنيات اشتراكية متينة، وهكذا فإن التأميم المنهجي للأراضي، والمناجم، والمحروقات والتجارة الخارجية، والبنوك، وشركات التأمين، ووسائل النقل، والأملاك العقارية الشاغرة، وكل الشركات الأجنبية قد وضع بين أيدي الأمة كافة المقاليد الاقتصادية»[1].

واكتملت عملية التأميم في جوهرها بـ« الهجمة المظفرة في ميدان المحروقات عام(1971). لقد وضعت الدولة نتيجة التراكم الاستعماري جزءا من العائد البترولي استراتيجية للتطور الاقتصادي واضحة المعالم وذلك باستئصال هيكلية القوى الإنتاجية التي تركها الاستعمار وتنفيذ التطور المستقل والمخطط لكل الاقتصاد الجزائري، فخلال المخططين الرباعيين (1970–1973)،(1974–1977) وضع مبلغ قدره

---

[2] - جبهة التحرير الوطني: الميثاق الوطني،الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر ،(1976)، ص(27).

[3] – المرجع نفسه : ص(27).

[4] - عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث، ص(222).

[1] - جبهة التحرير الوطني: الميثاق الوطني، (1976)، ص(32).

(80) مليون دينار لإنشاء نظام صناعي جديد متنوع، فإذا أعطيت بعض المزايا للصناعات المصنعة(Industries industrialisantes) (بتروكيميائية أي الصناعة المستخرجة من البترول– صناعة الحديد والميكانيك، ومواد البناء) فإن (التطور بالأقطاب) قد وضع سلسلة معقدة من الصناعات الاستهلاكية»[2].

وهذا التخطيط الصناعي إنما الهدف منه هو دفع مسيرة الثورة الزراعية التي دعا أصحابها إلى« تحطيم الملكيات الكبيرة كوسيلة حاسمة من الناحية المادية للقضاء على الاستغلال الطبقي الاجتماعي، ومن جهة أخرى توزيع الأراضي المؤممة على الفلاحين الفقراء في الريف الذين تحملوا عبء تحرير البلد من الاستعمار، مع تنظيمهم في تعاونيات حتى يمكن للدولة أن تقوم بمساعدتهم مساعدة فعالة في رفع الإنتاج الزراعي وتطوير مستوى معيشتهم وهو هدف ينطبق أيضا على فلاحي القطاع التقليدي لأن سياسة التنمية الزراعية يجب أن تكون كلا متكاملا وتكون مندمجة في سياسة اقتصادية شاملة هي سياسة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلد التي من أهدافها استخدام كل الموارد المادية والبشرية استخداما كاملا وبالأخص منها القضاء على البطالة فهو عمل استثماري واسع يعتمد:

–أولاً: على تأطير جهوده في نظام تعاوني.

–ثانياً: على استخدام العمل المتعطل كما لو أنه ادخار بشري»[3].

إن مشروع الثورة الزراعية المقترح عام (1966) الذي كان من بين أهدافه« أن تحديد الملكية العقارية والاستغلال الجماعي للأراضي يندرجان في نفس إطار الآفاق الخاصة بتأميم الثروات الوطنية ووسائل الإنتاج الكبرى والتسيير الذاتي»[4]، كان ناقصا فجاء« ميثاق وقانون الثورة الزراعية الذي أعدت مشروعه وزارة الإصلاح الزراعي عام (1970) ووافق عليه مجلس الثورة والحكومة يوم (14 جويلية 1971)، وتم التوقيع على أمر تطبيقه في (08 نوفمبر) من نفس السنة ،وقد جاء في مقدمة الميثاق: أن الثورة الزراعية ضرورة اقتصادية اقتضتها حالة عدم المساواة في توزيعها للأراضي، ولا يخف أن هذا هو السبب الرئيسي في انخفاض مستوى المعيشة للجماهير الريفية، وعدم قدرتها على تحويل الأساليب الزراعية ومشاركتها في التنمية الاقتصادية للبلاد»[1]. لذلك فقد نص ميثاق الثورة الزراعية (1974) بضرورة القضاء على الملكية العقارية الكبيرة على العائد، وعلى استغلال الملكية الكبيرة، والتحديد الجزئي للبرجوازية الزراعية وإعادة توزيع الأراضي والتنظيم التعاوني [2].

---

[2] - عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث، ص(224).

[3] - محمد بلقاسم حسن بهلول: القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، (1985)، ص(266).

[4] - جبهة التحرير الوطني: الميثاق الوطني،(1976)، ص(27).

[1] - محمد بلقاسم حسن بهلول: القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر، ص(268).

[2] - ينظر عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث، ص(197-198-199).

أما على المستوى الثقافي فكانت التركة الاستعمارية ضعيفة والنخبة الهزيلة قد اخترقتها التقسيمات اللغوية والثقافية، وهي متجاورة مع عدد من الأميين مزدوجي اللغة، وقد أخذت الدولة على عاتقها تحويل البنى الثقافية الموروثة من الاستعمار، وخلق أجهزة ثقافية وأيديولوجية وطنية جديدة (الصحافة، الإذاعة و التلفزة الجزائرية، المسرح الوطني الجزائري، الأرشيف، والديوان الوطني للسينما). والتغيير الأكثر عمقا حدث في ميدان الجهاز التربوي، وبذلك قضت على البنى الموروثة من الاستعمار كليا [3].

كما أعطت الدولة الأفضلية إلى الجانب الصحي للفرد الجزائري وهذا بتبنيها للطب المجاني، ضف إلى ذلك مشاريع السكن والبريد والمواصلات.

وعقب رحيل الرئيس "بومدين" مباشرة شهدت الدولة الجزائرية تراجعا كبيرا عن المسار الاشتراكي إذ سعت السلطة الجديدة إلى تفكيك المكاسب التي تحققت بتأميم المزارع الكبرى ومكاسب الإصلاح الزراعي، وأصبحت الحقوق المادية والنقابية للعمال والفئات الاجتماعية تتعرض للتضييق، وبالتالي فإن السياسية الاجتماعية الرسمية للبلاد شهدت تطورا ذا دلالات، فقد لاحظ المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني في(1979)أن التوجهات الاجتماعية خلال السنوات الماضية قد أهملت وهو ما أثر سلبا على التطور الاقتصادي نفسه. أما المؤتمر الاستثنائي لسنة (1981) فقد انعقد تحت شعار من أجل حياة أفضل. وعلى مستوى الوقائع فإن المكاسب الاجتماعية التي حصل عليها العمال أصبح ينظر إليها على أنها عبء، فظهرت المناداة بغلق مؤسسات الدولة التي لا تحقق مردودية وتسليمها للخواص وتسريح العمال نظرا لكثافتهم.

وعلى المستوى الخارجي والثقافي شهدت الدولة انفتاحا على العالم الغربي بتقبلها لوسائله الإعلامية، وعلى المفاهيم الأيديولوجية البرجوازية القادمة من الولايات المتحدة وأوربا الغربية [4].

إن ما يمكن ملاحظته حول التجربة الاشتراكية الجزائرية هي أنها لم تعمر طويلا وانتهت إلى فشلها ، واستمر النظام على أسس تحرير الفلاح من الاقتصاد الموجه وربما هذا ما سيبني البنية التحتية للمجتمع الجزائري مستقبلا.

أما على المستوى الصناعي الذي لم يرق في الجزائر إلى خصوصية التجربة بل بقي اقتصادا صناعيا تركيبيا، ثم أغلقت كثيرا من مؤسسات الدولة وتحولت أخرى إلى الخوصصة والخصخصة.

---

[3] – ينظر المرجع نفسه : ص(223).

[4] - ينظر الصادق هجرس: أين وصلت الجزائر، وما هي الآفاق؟، مركز الدراسات والأبحاث الاشتراكية في العالم العربي،(دط)،(دت)، ص(12-13).

II – انعكاس البنية التحتية والفوقية:

كان الشعر الشعبي طيلة الاستعمار الفن التعبيري الروحي الأكثر انتشارا، حيث واصل فيه الشاعر الجزائري« نضاله بالكلمة كأبيه أو جده في العهود الأخرى، بل إنه وسع دائرة هذا الشعر أكثر ولينه حتى استوعب كل الأغراض والأهداف واستقطب مظاهر الحياة المختلفة منها المتصلة بالاحتلال ونتائجه»[1].

[1] - العربي دحو : الشعر الشعبي الجزائري و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس (1954-1962) ، ج (1)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (دط)،(1989)، ص(52).

وكانت معظم القصائد الشعبية التي ظهرت بعد الاحتلال قد مزجت بين السياسة والدين، وهاجمت المحتلين والكفار، كما سجلت أحداثا سياسية أثناء حرب "الأمير عبد القادر" [2].

واستمر هذا اللون إلى غاية حرب التحرير، حيث كان« المداح في المناسبات الاجتماعية والأسواق العامة والمقاهي الشعبية المعروفة عندنا في كل مكان ينشد أشعاره ويقص قصصه وأساطيره مثيرا للعواطف، ومحمسا للعمل والنضال، ومحولا للهزائم التي عرفها شعبنا إلى آمال ونصر مستقبلي، وبهذا حافظ الشعر الشعبي على روح الكيان الجزائري...»[3].

وإلى جانب الشعر الشعبي وجدت« روايات الجوالين (الحكواتية) وكان يطلق عليها اسم (القوالين) آنذاك، التي هي شكل من أشكال المسرح البدائي المتمثل في الطقوس والمواكب وعروض الخيال الظل الذي عرف في فترة الاستعمار التركي واستمر مع فترة الاحتلال الفرنسي»[4].

أما الشعر الرسمي فكان« استمرارا لعصر الانحطاط وما تركه تراث القرن التاسع عشر، ولذا بدا ملتصقا برجال الإقطاع الطرقيين مصورا لحياتهم الساذجة في قصائد (المدح والهجاء والغزل وغيرها). و كانت النزعة الصوفية والطابع الديني الساذج الصفتين الغالبتين عليه لاسيما عند الرعيل الأول من الشعراء الذين استمروا في الكتابة فترة طويلة جدا امتدت حتى الحرب العالمية الثانية»[5].

ومع انتفاضة(1945) تبلور الوعي الوطني وتعمق أكثر في فهم الواقع فانتعش في هذا الجو الأدب الوطني المكتوب باللغتين (الفرنسية والعربية) بتفاوت نسبي محققا تطورا ملحوظا في مجال التعبير عن الحياة وتصويرها في تناقضاتها، فاندفع الأدباء المفرنسون خصوصا إلى اتخاذ مواقف أكثر تقدمية، ففي الفترة الممتدة بين (1954-1958) ظهرت أعمال أكثر واقعية وأكثر نضجا متجاوزة بذلك النقد المجرد فقد دخل الكاتب أجيج الثورة محاولا البحث عن أسلحة أكثر فعالية وأساليب أكثر بساطة لإيصالها إلى الجمهور مساهمة منه في تحريكه نحو الفعل الثوري الفعال. وفي الفترة الممتدة بين(1958-1962) تبلور أدب المقاومة أكثر وأخذ أبعادا شمولية واتساعا، فبعد أن كان يبشر بالحرب في بدايته ، أصبح يقدس الشهادة في سبيل الوطن و يمجدها ويرسم تباشير الاستقلال التي بدأت تلوح في الأفق [1].

ومهما قيل عن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية من حيث لغته« يظل أدبا وطنيا ارتبط ارتباطا مصيريا بهموم شعبه وروحه الجزائرية وثورته التحريرية ومضمونها الإنساني والحضاري. ففي الفترة الممتدة ما بين (1945-1963) ظهرت سبع وثلاثون رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية،

---

[2] - ينظر عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(ط1)، (1981)، ص(363-364).
[3] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر ،ص(13).
[4] - المرجع نفسه: ص(13).
[5] - المرجع نفسه: ص(13).
[1] - ينظر واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(76).

وصدرت فيما بين(1965–1972) سبع عشرة رواية مكتوبة باللغة الفرنسية عبرت بوضوح وشجاعة عن واقع الشعب الجزائري وهمومه وآفاقه»[2].

وعلى النقيض من ذلك نجد الكتابات باللغة العربية خالية من ذلك النزوع ما عدا القصائد الشعرية لـ "مفدي زكرياء". أما الأعمال الروائية التي ظهرت قبل (1962) وما بعدها بقليل فكانت رهينة الفكر الإصلاحي ونظرتها إلى الاحتلال كانت باهتة، وقد عرفت هذه المرحلة بعض « المجموعات القصصية والكتابات الأخرى التي وجدت في هذه الحقبة التاريخية لم تضف شيئا جديدا بقدر ما حاولت اجترار الماضي برؤى جد مختلفة، وهناك استثناءات بكل تأكيد، ولكنها لا تعمل إلا على تأكيد القاعدة، وحتى الذين تصدوا لمشاكل ما بعد الاستقلال بشتى ظروفها ومن بينهم "محمد المنيع" صاحب رواية "صوت الغرام" (1967) ، لم يضيفوا الكثير إلى الرصيد القصصي في الجزائر، والشيء نفسه يمكن أن نورده هنا عن الشعر، فقد ظل يحافظ على خطه الحماسي الذي استلهمه من ظروف الثورة الوطنية العظمى محدود الرؤية مرتبطا في معظمه بالوازع الديني بل بالجانب الميتافيزيقي منه»[3]. هذا مع العلم أن هناك مثلا في « القصة القصيرة تجارب رائدة، والتي بدأ أصحابها يسيرون نحو كتابة الرواية كتطور جد طبيعي يجسد رحلتهم الأدبية والفكرية والفنية، وأهم هؤلاء "ابن هدوقة عبد الحميد، والطاهر وطار" هذا الأخير الذي ختم مجموعته القصصية "الطعنات" بقصة استوفت معظم الركائز الأساسية للعمل الروائي "رمانة" ولكنها لم تصل إلى أن تكون رواية كاملة البناء الشكلي والفني، لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، زيادة على أن ثقافة الأديب نفسه وظروفه الخاصة والموضوعية لم تكن لتساعد ولا لتسهم في ظهور الرواية ولكنها خلقت التربة الأولى»[4].

لقد شهدت الجزائر بعد الاستقلال« تحولات جذرية في بنية المجتمع المستعمر واستمرت ورافقت التحولات المادية التي اقتضاها الصراع الاجتماعي والسياسي والثقافي والتاريخي لفترة النضال من أجل التحرر الوطني. إن الاستقلال هو ثمرة ذلك النضال، وقد حققت الجماهير في مرحلة السبعينيات خطوات تقدمية في شتى مجالات الحياة. إن تغيير البنية التحتية للمجتمع المستقل فرض إلى حد كبير تغيير البنية الفوقية للمجتمع، ومن هنا ترسخ مفهوم الجيل الجديد المؤمن بقضايا بلاده العادلة والمناضلة من أجل ترسيخ الفكر الاشتراكي لا شعارات مثلما هو الحال عند الأدباء والنقاد التقليديين والسلفيين والبرجوازيين، بل حاولوا أن ينطلقوا من تجربة الثورة الجزائرية والتحولات الديمقراطية التي

---

[2] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر، ص(14).
[3] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(84-85).
[4] – المرجع نفسه : ص(85).

تجسدت عبر نضالات الجماهير تاريخيا وانعكس ذلك الوعي في ممارساتهم الفكرية والأدبية والنقدية الهادفة إلى بناء اقتصاد وطني قوي»[1].

لقد تجاوزت الرواية الجزائرية بعد الاستقلال البكاء وتصوير الفرادة أو التفرد في الحكم كما أنها استرجعت الثقة الجماهيرية في القيادة الراشدة التي تطورت بفضل التغيير الذي حدث تاريخيا وبفضل "ميثاق الثورة الزراعية 1974، والميثاق الوطني" الذي ارتقى إلى نزع صفة التبعية للقانون الاستعماري، ثم استرجاع وتأميم ممتلكات الدولة وتقنينها وفق بناء الدولة الجديدة. وهكذا ذاب الوعي الفني والفكري في المشروع الاقتصادي الطموح إلى استحداث الصناعة واستحداث التصنيع، والانطلاق في المشاريع الاقتصادية الوطنية الكبرى، ودعم الثورة الزراعية وقهر صورة الإقطاع وحكمه وسلطته على الفلاحين الفقراء (الخماسين)، واسترجاع الإنسان الجزائري لثقته وكرامته على الأقل في الميادين التالية: إجبارية التعليم، والطب المجاني،والخدمات الاجتماعية المختلفة، واسترجاع هيبة الدولة، وهذا ما جعل معظم الأحزاب الوطنية تهدف إلى التغيير والثورة الاشتراكية. وهذا الوعي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي هو الذي انعكس في وعي الكاتب الجزائري التقدمي فـ« منذ الوهلة يتضح لنا أن الموقف الأيديولوجي للرواية العربية الجزائرية موقفان أساسيان: موقف الواقعية الاشتراكية الذي يمثله "وطار" وموقف الواقعية النقدية الذي يمثله معظم الكتاب»[2].

و تطرح رواية "زمن النمرود" فكرة التشبث بالمبادئ الأساسية التي تبناها الرئيس "هواري بومدين"، لذلك فإننا نجدها قد ثارت على التراجع عن كل القيم والمبادئ والتحولات بالهروب إلى التسيب واللامبالاة والتراجع عن المنجزات الوطنية الكبرى التي كانت بمثابة الصاعقة للتحول من نموذج الاشتراكية البومدينية إلى الرأسمالية الفضفاضة من غير رأس مال حر وشخصي أو عائلي، وهنا سادت فوضى القيمة للمال والمشاريع والبرامج. وكان لزاما أن تصور الرواية الفاجعة، إذ تمثل هذا الوعي صدقا لدى مؤلفها.

III- مفهوم الرواية :

تكاد تكون الرواية بلغتها التعبيرية والتصويرية حقيقة الكتابة الفنية للعصر، لأنه وكما هو معروف«النثرية ستسمح للجنس الأدبي الجديد بمقاربة أكبر لحياة الناس. والواقع أن النثرية تقرب العلاقة بين الواقع والمتخيل وهذا ما يحتاجه ويمتاز به الفن الروائي، كما تخلصه من قيود الشعر»[1].

---

[1] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر، ص(66).

[2] - محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام ،الدار العربية للكتاب،طرابلس،ليبيا،تونس،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، (د ط)،(1983) ص(03).

[1] - محمد كامل الخطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان،(ط1)، (1981)، ص(107).

ولما كان الإنتاج الروائي غزيرا فإن جهود الباحثين والنقاد في ميدان الأدب انصبت للتنظير للرواية محاولين بذلك تحديد مفهومها«ولا شك أن "هيجل" هو أول من نظر لها رابطاً شكلها ومضمونها بالتحولات البنيوية التي عرفها المجتمع الأوربي خلال صعود البرجوازية وقيام الدولة الحديثة في القرن التاسع عشر»[2].

ومن هنا يتضح لنا بأن ثاني ظهور لهذا الجنس كان بأوربا، وهذا الظهور كان مصاحبا للتغيير الجذري الذي حدث بها بعد فترة الظلام التي عاشتها. إنني أقصد بالتغيير ذلك الانقلاب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ثم الفكري والأدبي،فأصبح العمل الفني عند "هيجل" يرتكز على ثلاث قضايا هي:

«أولاً: ليست الأعمال الفنية منتجات طبيعية، وإنما هي مصنوعات إنسانية.

ثانياً:أنها تخلق من أجل الإنسان وتقتبس من العالم الحسي، وتخاطب حواس الإنسان، والفن يتصل على طريقته بالعالم الحسي، لكن يصعب رسم الحد الفاصل بينهما.

ثالثاً:ينشد العالم الفني غاية خاصة محايثة له.

عند هذه النقاط الثلاث ينتهي المطاف بالتأمل الخارجي»[3].

ونجده يسقط هذه النقاط في تعريفه للرواية التي يقول عنها:«صراع بين شعر القلب ونثرية العلائق الاجتماعية، ومصادفة الظروف الخارجية، وبذلك فإن الرواية تضطلع بوظيفة (ملحمة بورجوازية) داخل مجتمع منظم بطريقة نثرية (مبتذلة)، لأنها تسعى إلى أن تستعيد كليته وشعريته المفتقدتين»[4]. فهو بذلك يلخص مضمون الرواية في «إبراز الصراع بين الفرد والمجتمع، وجعل فضح الوهم مكونا أساسيا في المحكي الروائي، وافتراض نوع من الكلية في الرواية للعالم داخل الرواية»[5].

وضمن هذا المنظور الفلسفي التاريخي تابع "جورج لوكاش" تنظيره للرواية حيث «عاد إلى النظرية الواقعية القديمة التي ترى الرواية انعكاسا أكثر صدقا وحيوية وفعالية للواقع،فالانعكاس معناه تشكيل بنية ذهنية تصاغ في كلمات وعادة ما يكون لدى الناس انعكاس للواقع...وعيا لا يقتصر على الموضوعات الخارجية، بل يشمل الطبيعة الإنسانية والعلاقات الاجتماعية. ويقول "لوكاش": أن الانعكاس يمكن أن يكون عينيا بدرجات متفاوتة، فالرواية يمكن أن تقود القارئ نحو استبصار أكثر

---

[2] - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، (ت): محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، مصر،(ط1)، (1987)،ص(09).

[3] - هيجل: المدخل إلى علم الجمال، (ت): جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان،(ط1)،(1980)، ص(61).

[4] - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ص(10).

[5] - رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة،(ت) :جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، مصر، (1998)، ص(155).

عينية للواقع، يتجاوز الإدراك العادي للأشياء،فالعمل الأدبي لا يعكس الظواهر الفردية المنعزلة بل يعكس..العملية المتكاملة للحياة...»[1].

أما الرومانسيون وعلى رأسهم "فريدريك شليغل" فيرون بأن الرواية لا يمكن« أن تستحق اسمها إذا لم تكن خليطا من المحكي والنشيد ومن أشكال أخرى»[2].

إن الرومانسيين بمفهومهم هذا للرواية ينطلقون أساسا من مبدأ« وصفها جنسا للحرية الذاتية وللتعبير عن النزوات في أشكال زخرفية، فنظريتهم هذه متجهة نحو (اللامنتهي) اللامحدد الذي يتخايل لهم في أفق تطلعاتهم الأدبية لتجاوز القائل وتحقيق المطلق ليس في الأدب، وإنما في إنتاج الإنسان لنفسه كذلك، لكن العنصر الأساسي في تنظيرهم للرواية هو اعتبارهم لها جنسا قائما على تعدد الأجناس التعبيرية، وعلى تجاوز العناصر الروائية مع الفكر الخالص مع التعبيرات النثرية المبتذلة»[3].

و يرى "توماس مان" بأن الرواية هي «الشكل الفني لهذا العصر، وأنها باعتبارها عملا فنيا عصريا، تمثل تلك المرحلة من النقد التي تتبع مرحلة الشعر وصلتها بالملحمة هي صلة الوعي الإبداعي بالقدرة الإبداعية غير الواعية، وينبغي أن نضيف أن الرواية باعتبارها الإنتاج الديمقراطي للوعي الإبداعي، ليس من الضروري أن تختلف من ناحية الروعة وبقاء الأثر»[4].

فمن خلال هذا التعريف يتضح أن الرواية ليست أحد أشكال الفن فحسب، بل هي في نظره ميراثا للفن في عصرنا هذا. وأقصد بالفن الملحمة التي كانت تمثل الشكل الروائي السابق. أما الرواية الحالية فيجب أن تقترن بالوعي المعبر عن واقع الحياة التي تعيشها المجتمعات.

أما "هنري جيمس" فيرى بأنها يجب أن تكون« صورة حية للحياة، وأن الحياة لا يمكن أن تظهر على أحسن وجوهها في العمل الفني، إن لم يتوفر لها الشكل الفني المتكامل، وأن مهمة الفن

هي إبراز الحياة في الصورة الفنية في أجمل صورها»[1]. ومعنى هذا أن الرواية تعيد صياغة الواقع لكن بطابع فني جمالي ذو نزعة تخييلية.

ومن كبار منظري الرواية "ميشال بوتور" الذي قال بشأنها:«لقد لاحظت أنه لا يمكن التكلم عن الرواية إلا إذا كانت العناصر الخيالية في عمل أدبي متحدة في قصة واحدة، وعالم واحد موازي للعالم الواقعي يتممه ويوضحه...إن الرواية هي خيال مبدع ذو وحدة، وواضح أن الوحدة ممكنة في العمل

---

[1] - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ص(10).
[2] - المرجع نفسه: ص(8).
[3] - المرجع نفسه: ص(8).
[4] - مصري عبد الحميد حمورة: الأسس النفسية للإبداع الفني للرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (دط)، (1979)، ص(32).
[1] - مصري عبد الحميد حمورة: الأسس النفسية للإبداع الفني للرواية، ص(35).

الأدبي بدون أن يكون الخيال واحداً، وبالإضافة إلى ذلك ينبغي أن تبقى الرواية على مستوى العادية، أي أن تعالج موضوعاً يمكن لشخص ما أن يرويه...أما المحتوى، أي ما يصل بين مختلف أجزاء الخرافة، فيمكن أن يكون هو كذلك على شيء ضئيل من الخيال، وعلى شيء ضئيل من السرد، وعلى شيء من التجريد بالنسبة للقصة اليومية، ويمكن أن يكون تقديمها واضحاً لحوادث يستطيع أي كائن أن يتحقق من صحتها. غير أن الجزء الروائي منه يظهر من خلال التقارب، ومن خلال بعض اللحظات الخيالية المنثورة هنا وهناك»[2].

ويذهب "ميشال زيرافا" إلى القول: بأن«الرواية في مستوى أول نوع (سردي نثري) وفي مستوى ثان يكون هذا القصص (حكاية خيالية)، وفي الوقت نفسه خيال ذو(طابع تاريخي) عميق، وأخيراً فإن الرواية فن في أجزائها كما في كلها، وهي تبرز في شكل خطاب موجه ليحدث مفعولاً (جماليا) يفضل استعمال بعض المحسنات»[3]. وهذا التعريف يحيلنا إلى خصوصيات الرواية، فهي شكل من أشكال السرد الذي يعتمد اللغة النثرية أداة للتعبير وأن هذا القص ما هو إلا من وحي الخيال مبني على وقائع تاريخية بشكل فني جميل.

وفي موضع آخر ذهب "زيرافا" إلى القول بأن الرواية:«تمثل...عملا طويلا نسبيا مكتوب من طرف مؤلف واحد... وموجها لقراءة فردية أو على الأقل(خاصة).ولذا فإن ما يميز الرواية قبل كل شيء هو هذه الصلة بين الكتابة والقراءة، وسواء كانت الرواية مخطوطة أو مطبوعة وتحمل إمضاء مؤلفها في أغلب الأحيان، فهي بطبيعتها كتاب، وهي كذلك نثر، وحتى إذا كتبت شعرا فإنها تربط الرموز الشعرية بالمظاهر النثرية للوجود (اليومي، الاعتيادي، المفيد، وبعبارة واحدة الاجتماعي). ورغم هذه الخصائص الشكلية الأساسية، فإن الرواية تمتاز بكونها مكتوبة من طرف كاتب يعرف، ويحاول أن يُعرف قارئه بأن عمله يتكون من أحداث متخيلة تتعلق بالوجود الأرضي الملموس للأفراد أو تعكسه»[4].

أما "تزفيتان تودوروف" فيرى بأن الرواية هي التي«تحكي من خلال نسيج أحداثها إبداعها الخاص، أي تاريخها الخاص، ومعنى هذه الرواية أو تلك هو أن تقول ذاتها وتحدثنا عن و جودها الخالص، وهي لا تحيلنا إلى هذا الوجود»[1].ومفاد هذا أن تاريخ الرواية مفصول عن التاريخ الخارجي من حيث رصد الوقائع التاريخية كما هي عليه، وأن للرواية عالمها الذاتي والموضوعي المفصولين عن كل سياق خارجي.

وبعد هذه الرؤى كلها أتى "ميخائيل باختين" بتنظير جديد لها دحض فيه أطروحات الشكلانيين والأسلوبيين، فالرواية بالنسبة له«جزء من ثقافة المجتمع، والثقافة مثل الرواية مكونة من خطابات تعيها

---

(2) - ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، (ت): فريد أنطونيوس، دار عويدات، بيروت، لبنان، (ط1)،(1971)، ص(174).
(3) – ميشال زيرافا: الرواية ،الأدب والأنواع الأدبية، (ت): طاهر حجار، دار طلاس، (ط1)، (1985)، ص(125).
(4) - فاطمة الزهراء أزرويل: مفاهيم نقد الرواية بالمغرب، نشر الفنك، الدار البيضاء، المغرب،لافوميك، الجزائر،(د ط)،(1989)، ص(78-79).
(1) - فاطمة الزهراء أزرويل: مفاهيم نقد الرواية بالمغرب، ص(87).

الذاكرة الجماعية، وعلى كل واحد في المجتمع أن يحدد حوارية الثقافة وحوارية الرواية القائمة على تنوع الملفوظات واللغات والعلامات... ومن هذا المنظور لا تظل الرواية صنعة و عناصر تكتسب، إنها قبل كل شيء إدراكاً لأهمية اللغة/ اللغات داخل المجتمع وفي التراث المكتوب والشفوي، وصياغة للحوار بين الذات الساعية للمعرفة، وبين العالم الخارجي وجميع (المظاهر) في الحياة. كما أن الرواية تسعفنا على قراءة الأيديولوجيات»[2].

إن الخلفية التي صدر منها "باختين" في مفهومه للرواية خلفية مزدوجة« أولاً: عبر لسانية تداولية ترتكز على تصور فلسفي غيري، يتبنى معطيات التحليل التاريخي للمجتمع.

ثانياً: نقدية سيميائية تسائل النص الروائي من منظور تشريح العلائق الداخلية والخارجية وفي أفق تحليل سوسيولوجي لأشكال التعبير الأيديولوجي»[3].

وآخر مفهوم غربي أورده في هذه الدراسة هو لـ "روجر آلان" الذي أوضح بأن الرواية«نمط أدبي دائم التحول والتبدل يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حال، وكل عمل روائي يجاهد بدرجات متفاوتة في قوتها ودقتها الفنية لكي يعكس عملية التغيير الدائبة وحتى التغيير في بعض الأحيان»[4]. وهذا التعريف حديث جداً يتضح من خلاله أن الرواية وجدت لإبراز مختلف مظاهر التحول داخل المجتمع وأحياناً بالدعوة إلى ذلك.

أما ملامح الكتابة الروائية في الوطن العربي فإنها بدأت تتبلور في مصر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث حدد "علي شلش" فترة نشأتها ما بين «1870-1917»[5].

وعليه فإن نقطة البدء في تحول مسيرة القص... وظهور الرواية المصرية الحديثة تبدأ سنة (1914) حين ظهرت أول رواية فنية وهي"زينب-مناظر وأخلاق ريفية" "لـ"محمد حسين هيكل" [6]. ومعظم المحاولات التي سبقتها كانت وقائع « حقيقية أو خيالية تروى عن شخص أو مجموعة من الأشخاص بهدف التسلية»[1].

وهذا المفهوم يكشف لنا طبيعة الكتابات الروائية آنذاك والمتمثلة في الطابع الفكاهي أو الأخلاقي، وهذا شيء بديهي لأن الرواية كانت فناً جديداً على أدبائنا آنذاك فلم يستطيعوا استيعاب أكثر من ذلك، بالإضافة إلى المستوى الهزيل للناقد والقارئ العربيين.

---

[2] - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ص(22).
[3] - المرجع نفسه: ص(15).
[4] - روجر آلان: الرواية العربية ، مقدمة تاريخية ونقدية، (ت) :حصة إبراهيم منيف، المجلس الأعلى للثقافة، (ط2)، (1997)، ص(07).
[5] - علي شلش: نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث، دار قباء، بيروت، لبنان،(دط)،(1992)، ص(07).
[6] - ينظر طه وادي: الرواية السياسية، دار النشر للجامعات العربية،القاهرة،مصر،(ط1)،(1996)، ص(71).
[1] - علي شلش: نشأة النقد الروائي في الأدب العربي الحديث، ص(36).

ومع مرور الزمن تطورت الكتابات الإبداعية الروائية فيما بعد نتيجة تطور مفهوم الرواية في الوطن العربي، وذلك بفضل انفتاحه على الغرب، واطلاع أدبائه ونقاده على مختلف الأعمال الروائية والنظريات النقدية الغربية.

ومن بين كبار المنظرين العرب للرواية " محمود أمين العالم" الذي رأى بأنها وسيلة « لاستكشاف الجديد واستيعابه من أجل التغير والتجدد، من أجل الوضوح الفكري، والسعادة النفسية والتوافق الاجتماعي»[2].

والرواية بهذا المفهوم تشكل حصيلة لتجربة الروائي الذاتية وتفاعلها بالواقع الموضوعي، كما أنها ليست مجرد انعكاس للواقع لأنها تؤثر فيه وتتفاعل به.

أما "السعيد الورقي" فيرى بأنها« تشكيل للحياة في بناء عضوي يتفق وروح الحياة ذاتها ويعتمد هذا التشكيل على الحدث النامي الذي تشكل داخل إطار وجهة نظر الروائي، تدور فيه هذه الأحداث على نحو يجسد في النهاية صراعا دراميا ذا حياة متفاعلة»[3].

إن الرواية بهذا المنظور تصبح هي الحياة نفسها تلعب فيها الشخصيات المرسومة بداخلها الدور الرئيسي في تصويرها كما هي عليه عن طريق تصاعد الأحداث الدرامية داخل المكان الذي رصدت فيه، والروائي يصوغ تلك الحياة في طابع جمالي تخييلي.

وهناك من النقاد من يؤكد على اجتماعية الرواية وهو ما عبر عنه"محمد كامل الخطيب" عندما اعتبرها« نمط مجتمع آخر لكنه مجتمع. وفي كل الأحوال فإن الخيال الذي ينسج شبكة العلاقات الروائية ليس خارجاً وليس مفارقاً للواقع، فللخيال أسسه الواقعية.إن الخيال في أبسط تعريف لعملياته تشكيل لمواد الواقع مما يؤدي إلى علاقات جديدة، أي أنه يستند إلى الواقع وبمواد الواقع يبني عوالمه وهذا هو الأساس الواقعي للخيال، أو أساس الواقع للرواية باعتبارها خيالاً»[4]. فالرواية بهذا المفهوم أصبحت أكثر التصاقا بالواقع، لكن الخيال يعيد صياغته.

وهناك مفهوم آخر أكثر ارتباطاً بالواقع وبمعاناة الفرد والمجتمع وحتى المؤلف، وهو ما ذهب إليه " طه وادي" عندما قال:« أن الرواية– في جوهرها– نوع أدبي يصور فردا مأزوما... غير متصالح مع مجتمعه، وهذا الفرد لن يكون إلا شخصية إنسانية خرجت من أرض الواقع، واستمدت منها معظم مكوناتها المادية والمعنوية، وأزمة أبطال الروايات هي في الحقيقة أزمات المجتمع الذي يعيشون فيه... وهي في الوقت ذاته–أيضا– قد تكون أزمة المؤلف نفسه مع واقعه»[1].

---

[2] - حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،(ط1)، (1991)، ص(64).

[3] - السعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر،(ط1)، (1998)، ص(05).

[4] - محمد كامل الخطيب: الرواية والواقع، ص(110).

[1] - طه وادي: الرواية السياسية، ص(73).

وهذا المفهوم لا يحيلنا فقط إلى أزمات المجتمع التي يصورها الروائي من خلال معايشته لأفرادها، بل إن الروائي نفسه قد يكون طرفا في رواياته فيعبر عن موقفه داخلها بواسطة شخصية من شخصياتها.

ومن النقاد المعاصرين المتأثرين بالنظريات الألسنية الغربية "يمنى العيد" الذي حاول التنظير للرواية انطلاقا من كونها« مادة لغوية، واللغة كما نعلم مخزون ثقافي يتكلس أو يموت إذا عزل عن اللسان من جهة، وعن الثقافات الأخرى من جهة أخرى. وأعني باللسان المنطوق المحلي الحي، الحامل لعناصر من التجربة المعيشة، ولحشد من الدلالات المحسوسة والمرئية غير المستقرة بعد في لغة، والقابلة باستمرار لرفعها إلى صياغة تغتني بها اللغة لتتجدد وتستمر في الحياة، وأعني بالثقافات الأخرى المكتوب الذي يشمل التراث الكوني، بما فيه تراث لغتنا نفسها»[2].

واللغة بهذا المفهوم تصبح هي الأساس في عرض الرواية، وهي تنتقل من الملفوظ إلى المكتوب معبرة عن واقع المجتمع، وقابلة للتطور والتجدد في محيطها. وهذا لا يعني اقتصار أصحابها على ما هو محلي بل يجب عليهم الأخذ من الثقافات الأخرى قصد إثراء تراثهم.

وفي المغرب العربي برز العديد من النقاد ممن نظروا للرواية، يتقدمهم في ذلك "عبد الكبير الخطيبي" الذي رأى بأنها« رؤية حياتية معينة تبدو للعالم النفساني أو الاجتماعي بمثابة مجموعة من الإدراكات والمواقف»[3]. فهو بذلك يبين ارتباط الرواية بالواقع الاجتماعي فهي تصوير له لا غير.

كما أكد "عبد الله العروي" على المضمون السوسيولوجي للرواية إذ أنها حسب نظره« كلية شاملة، موضوعية، أو ذاتية تستعير معمارها من بنية المجتمع وتفسح مكانا لتتعايش فيه الأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة جداً»[4].

وفي الحقل السوسيولوجي دوما استلهم الناقد "محمد الدغمومي" مفهومها معتبرا إياها بأنها « ليست.. مجرد حكاية أو شكل فني، بل هي ممارسة لإنتاج ثقافة مختلفة إنها ثقافة وسطى بين "العلم والثقافة الشعبية، أو لنقل ثقافة شعبية" جديدة لفئة اجتماعية لها وعي مكون من الحياة المدنية والكتابة(القراءة) والقيم الفردية، من مجتمع متصارع البطولة والقيم وغابت عنه الحكمة والقوانين الأخلاقية والسحرية المجهولة والمطلقة...إنها بمعنى آخر جماع نصوص(المأساة، الملحمة الأسطورة، الخرافة) بصياغة جديدة تجعل البطولة اجتماعية متحررة من أسطورة الخارق، هذا الخارق الذي يصبح مجرد ذكرى وتخيل أمام سلطة الواقع»[1].

---

[2] - يمنى العيد: فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، بيروت، لبنان، (ط1)، (1991)، ص(54).
[3] - عبد الكبير الخطيبي: الرواية المغربية،(ت): محمد برادة، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب ، ع (2)،(1972)، ص(19).
[4] - عبد الله العروي: الأيديولوجية العربية المعاصرة،(ت) :محمد عيتاني، دار الحقيقة، بيروت، لبنان،(دط), (1970)، ص(277).
[1] - محمد الدغمومي: الرواية المغربية والتغيير الاجتماعي، إفريقيا الشرق،المغرب، (دط)، (1991)، ص(19).

ومن هذا المفهوم نكتشف العناصر المكونة للرواية وهي العلم والثقافة الشعبية والخبرة الإنسانية، وإن الرواية توجه إلى المجتمع المثقف لإبراز الصراع الدائر فيه والتناقضات التي يحملها، و الصورة التي يجب أن يكون عليها.و لكي يجسد الروائي ذلك ينبغي عليه الاستعانة بالأشكال الأدبية القديمة مع ضرورة ابتعاده عن كل ما هو أسطوري قصد إيهام القارئ بحقيقة الرواية.

ومن بين النقاد الجزائريين الذين نظروا للرواية "عبد المالك مرتاض" الذي أكد بأن « الرواية تتخذ لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيأتها ألف رداء، وتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا، لذلك ينشغل مرتاض مثل غيره في التفريق بين الرواية وبين أجناس أدبية أخرى كالملحمة، والشعر والمسرحية، ليتوصل من مقارناته هذه إلى أن الرواية: خطاب منفرد بذاته، وفي الوقت نفسه جنس أدبي له ارتباطات وثيقة بعامة الأجناس الأدبية الأخرى، لتبدو الرواية وكأنها عالم شديد التعقيد، متناهي التركيب، متداخل الأصول، لها علاقة قوية بالتاريخ والمجتمع،حاملة في بنيتها رؤية العالم، ومن هنا تصير الكتابة النقدية في ماهية الرواية وكأنها كتابة إبداعية يتغزل فيها شاعر ما بسطوة حبيبته التي تمتلك كل الجماليات»[2].

وهناك ناقد آخر هو "بشير مفتي" الذي رأى أنها« بغض النظر عن كونها عملا تخييليا يقوم على لغة أدبية بالدرجة الأولى، فهي تصنع تاريخها الخاص،وتكتب شكلا مختلفا عن تاريخها العام...»[3].

وهذا المفهوم مستمد من واقع الكتابة الروائية الجزائرية معتمدا صاحبه في ذلك على بعض أعلام الرواية الجزائرية عندما قال:«وحتى عندما يعلن كاتب مثل "الطاهر وطار" أنه كائن تاريخي، وأن أعماله تندرج في التأريخ لمراحل الجزائر المتعاقبة، فهو لا يقدم تاريخا موضوعيا، بل عملا روائيا تاريخيا له ميزاته الخيالية وشطحاته الوهمية شأنه شأن أي روائي لا يستعيد التاريخ أو لا يكتبه إلا في لحظة منفلتة من التاريخ نفسه، فهو يلتقط ما يهمه من هذا التاريخ و يهمل ما لا يتوافق مع رؤيته أو يغاير مساره الفكري والعقائدي...»[1] . وهذه النظرة إلى الكتابة الروائية بالجزائر صحيحة، وأنا أذهب إلى الرأي نفسه بالاعتماد على ما قرأته من روايات لمختلف روائيينا.

إن وظيفة الرواية تتحدد في كونها« توجه نداءها إلى المزاج، وعليها أن تكون موجهة من الأنا، من الفنان إلى الآخر، الجمهور، من أجل تجاوز الهوة القائمة بينهما أو الصدع الذي أصاب أو يصيب

---

(2) - http:www.suhut.net.sa/1991/mar/21/cu4.htm.

(3) - بشير مفتي: الرواية وشهوة التاريخ، جريدة الخبر، يومية تصدر عن شركة الخبر، الجزائر، السنة الرابعة عشر، ع (4269)، الخميس (16ديسمبر2004)، ص(26).

(1) - - بشير مفتي: الرواية وشهوة التاريخ ، ص(26).

العلاقة التي تربط الجميع من أجل تجاوز الصدى للوصول إلى وحدة نفسية هي ما يمكن أن نطلق عليه بعد أن تتحقق حالة النحن...»[2].

إن كل عمل روائي يكتب أو ينتج ضمن« مجتمع معين له أيديولوجيته السائدة، وأيديولوجيته المسودة/ وغير المبلورة غالبا/ في حالة المجتمعات المنقسمة طبقيا. إن الرواية في مثل هذه المجتمعات/ وهذه المجتمعات التي تعنينا لأنها شبيهة بمجتمعاتنا/ تكتب أو تنتج في مجتمع توجه فيه أكثر من أيديولوجية بسبب وجود أكثر من قوة اجتماعية، وبسبب وجود قوة مسيطرة– طبقة وليس من الضروري في هذه الحال أن يتوافق الروائي مع الأيديولوجية السائدة، قد تكون للروائي أيديولوجيته ووجهة نظره وموقفه الخاص إزاء كل قضية على حدة تختلف إن لم نقل تناقض الأيديولوجية السائدة»[3].

ضمن هذا المنظور فإن هناك نوعين من الرواية في مثل هذه المجتمعات:

– أولاً:رواية تكتب ضمن« مجال أيديولوجي واحد هو الأيديولوجية السائدة، وهذا يحدث عندما يتوافق الكاتب مع أيديولوجية السلطة، ويكون أحد نتائجها ومنتجيها. ومثل هذه الرواية تكون جزءا أو مظهرا من مظاهر الأيديولوجية السائدة»[4].وهذا ما يمكن أن نطلق على تسميته أدب السلطة والحكم والنظام الذي لا يخضع للرقابة.

– ثانياً: رواية تكتب ضمن مجال وأيديولوجية الكاتب، وهذا يحدث عندما يتناقض الكاتب مع الأيديولوجية السائدة، ومثل هذه الرواية تكون جزءا أو مظهرا من مظاهر معارضة الأيديولوجية السائدة [5]. وهذا النوع الجيد من الأدب نجده مراقبا من طرف بوليس القراءة و قد يصادر لزمن طويل مثل رواية "زمن النمرود " للروائي "الحبيب السايح" التي صورت المجتمع الجزائري نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات بكل ما يحمله من تناقضات و هموم نتيجة الأوضاع المزرية التي آلت إليها البلاد آنذاك .

IV– نشأة الرواية الجزائرية:

1–النشأة التاريخية وأبوة الرواية الإنسانية"رواية الحمار الذهبي لأبوليوس لوكيوس":

إن الحديث عن الرواية الجزائرية يقودنا إلى الماضي السحيق لفجر الرواية،أو كما يسميها "بيرنار فاليت"«عصر الملحمة العتيقة»[1] ،وبالتحديد إلى القرن الثاني الميلادي حيث ظهر أديب ذائع الصيت هو «أبوليوس لوكيوس»[2] الذي يعتبر صاحب أول رواية إنسانية وصلتنا كاملة، إن لم تكن هي الأولى

---

[2] - مصري عبد الحميد حمورة : الأسس النفسية للإبداع الفني في الرواية ، ص(36).
[3] - محمد كامل الخطيب: الرواية والواقع، ص(107-108).
[4] - المرجع نفسه : ص(108).
[5] - ينظر المرجع نفسه : ص(108).
[1] - بيرنار فاليت: في كتابة الرواية، مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، (ت): عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، (دط)،(2002)، ص(23).
[2] - ولد عام (124م أو125م) في مداوروش بالشرق الجزائري. وكان يسمي نفسه في مخطوطاته" أبوليوس المداوري الأفلاطوني Apuleius Madaurensis" . تلقى في حياته تعليما مكثفا في مدينة قرطاجنة ثم أثينا. لم يصلنا من خطبه وأشعاره وكتاباته الفنية سوى: الدفاع Alogia، الأزاهير Florida ، عن إله سقراط Deo Socrates، عن أفلاطون وتعاليمهPlaton et Eius Dogmates، عن العالم De Mundo، وأخيرا أحد عشر كتابا في التحول Metamorphosean libri XI.

على الإطلاق. ويؤكد ذلك "أبو العيد دودو" بقوله:«وليس في الحقيقة ما يمنعنا أن نعتبر رواية(الحمار الذهبي) ثاني رواية ظهرت في العالم إن صح حقا أن رواية" غايوس بيترونيوس أربيتر" Gaius" Betrounius Arbiter(ت66 ب م) وهي "ستريكونSatyricon"الساخرة التي وصلتنا ناقصة، إن صح أنها كانت الأولى فعلا.غير أن رواية "أبوليوس" تعتبر على أية حال أول رواية وصلت إلينا كاملة، وشكلت نوعا أدبيا جديدا، هو النوع الذي يعرف اليوم بالرواية الإطارية.. وبالرواية الأنوية،أو الرواية»[3].

كما ذكرها الناقد الفرنسي "بيرنار فاليت" حيث اعتبرها أول عمل روائي قدم بغرض الإضحاك.[4].

في رواية "الحمار الذهبي" يروي "أبوليوس" قصة الشاب "لوكيس" الذي يقوم برحلة إلى "تيساليا"، وهي مقاطعة في شمال اليونان ذات علاقة تقليدية بالسحر، يتورط هناك بعلاقة خليعة مع خادمة تدعى "فوتيس"، ويحصل منها على تعويذة سحرية، تخبره الخادمة أنها ستحوله إلى طائر حينما تشاء. وبالفعل تحول إلى حمار عند استخدامه التعويذة، فأصبح غير قادر على الكلام،لكنه يستطيع أن يفهم كأي كائن بشري. ليبدأ بعدها سلسلة من المغامرات مباشرة بعد سرقته من طرف بعض اللصوص.

ومغامراته هذه تشكل الفكرة الرئيسية للرواية، حيث يسمع خلالها قصصا كثيرة لأن الناس يتحدثون أمامه بحرية، معتقدين أنه ليس أكثر من حمار.وهذه القصة حيكت ضمن الرواية في كونها تزيينا لها فقط فهي لا تخدمها إطلاقا.

ويعتبر الفصل الذي يتناول قصة حب"كيوبيد زبيسكي" أشهر فصول الكتاب،وهي حكاية شعبية عرفت في بلاد اليونان أو الأدب اللاتيني ،ذات أسلوب ساحر للغاية ومليء بالاستعارات والرموز، موحيا أن"بيسكي" هي في الحقيقة الروح الإنسانية.

وفي بقية الفصول يبحث "لوكيوس" عبثا عن الأزهار طيلة رحلاته، وهي الطعام الذي يعيده إلى شكله البشري، حيث يجده في نهاية الرواية بمساعدة الآلهة "أسيس" التي يراها في حلمه ذات جمال أخاذ وبأس شديد، والتي تطلب منه حضور احتفالها والتقرب من كاهنها الذي يطلب منه أكل زهرة من إكليل زهور موضوع على رأسه. فتحدث المعجزة وهو ينفذ ما يراه في حلمه ممتثلا رعبا حيث يسقط شكله الحيواني ويتحول إلى ما كان عليه سابقا. ومع مرور الزمن يدخل في طقوس"أسيس" الدينية، وطقوس أخيها الإله "أوسيرس". و بها تنتهي الرواية مع ملاحظة عن سيرته الذاتية بأنه كان معتنقا لمذاهب الصوفية الشرقية التي قضى قسما كبيرا في خدمتها.

---

[3] - أبوليوس لوكيوس: الحمار الذهبي، (ت): أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، الجزائر،(دط)، (2001)، ص(10).

[4] - ينظر بيرنار فاليت: في كتابة الرواية ، ص(23 – 24).

والرمزية في هذه الرواية واضحة جلية،حيث يخدم الإنسان نزواته أفضل بقليل من الحيوان. لكن وعلى الرغم من خروجها في بعض تفاصيلها عن حدود الحشمة، إلا أنها سرعان ما أصبحت أحد الأعمال الأدبية المفضلة باللاتينية، ونموذجا لسائر رواة القصة اللاحقين أمثال" ميغيل سيرفنثيس Miguel Cervantes"(1547–1616) في روايته "دون كيشوت Don Quijote"،و"هانس ياكوب غريملهاوسن Hans Gakob Grimlhousen" (1622–1676) في روايته"سيبليتسمون المغامرة Der Obentherliche Simplicissimus"،و"آلان رينه لوساج Alain René Lesage"(1747–1868) في قصته "جيل بلاص السنتياني Histoire de Gil Blas de Santillane"، و"لويس كوبيروس Luis kopuerus"(1863–1923) في روايته" الحمار العاشق Der Verlielte Esel"، وغيرها من الروايات الحديثة»[1].

كان هذا باختصار حول ما تم رصده بخصوص رواية "الحمار الذهبي" والتي أعتبرها في بحثي هذا إرهاصات أولية مهدت لكتابة الرواية لما هي عليه الآن.

2–رواية عهد الإقطاع"حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن إبراهيم 1849":

منذ "الحمار الذهبي" لـ"أبوليوس لوكيوس" لم يعرف النثر الجزائري عملا روائيا إلا بعد مضي حوالي سبعة عشر قرنا وما يزيد عن ذلك، حيث«انفرد "محمد بن إبراهيم" بعمله القصصي "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" سنة (1849)»[2].وهذا الرجل كان ينتمي إلى عائلة ذات منزلة رفيعة بالجزائر إذ« كان جده "مصطفى باشا" دايا على الجزائر(1795–1805)»[3]. وشخصية جده هذا مازالت تحتفظ بها ذاكرة الجزائر إلى يومنا هذا فهو الذي«بقي اسمه يطلق على ضاحية العاصمة والمستشفى المعروف بها»[4].

أما عن الجو الذي كتبت فيه هذه الرواية فكان متوترا إذ يعود إلى فترة« الحرب الضروس التي عرفتها الجزائر منذ (1830)، وبالتحديد منذ تولي "بوجو" الذي عمل على تحطيم الاقتصاد الوطني الذي كان يقوم في جله على الزراعة والمبادلات التجارية بين الدواوير والمدن الداخلية ، حيث عمد الاستعمار إلى نقل السكان قهرا من بيئاتهم المعتادة إلى بيئات جديدة. يضاف إلى ذلك حالة اللاأمن في الطرق الداخلية، والاستيلاء على المحاصيل الزراعية، وإتلاف الحبوب في المخازن الأرضية أو المطامير ،كما أن الأراضي الخصبة صودرت باسم الثورة على السلطة العدوة وحرثها من طرف الاستعمار أو بتوزيعها على الأوربيين الذين جاءوا للاستيطان»[1].

---

[1] - أبوليوس لوكيوس: الحمار الذهبي، ص (29 -30).
[2] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر، ص(65).
[3] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث(تاريخا..وأنواعا ، وقضايا..وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)،(1995) ، ص(197).
[4] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)، ج (8)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط1)،(1998)، ص(129).
[1] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1900)، ج (1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،(ط4)،(1992)، ص(240-241).

وكانت عائلة "مصطفى بن إبراهيم" من العائلات التي مسها قانون مصادرة الأراضي، فقد تحدث«الكتاب عن العديد من العائلات الجزائرية التي كانت ثرية فأصبحت في عهد "بوجو" تمد يدها متسولة، ومن تلك العائلات: "ابن الحفاف، ومصطفى باشا، وعلي بن عيسى،وحمودة الفكون" وبعض العائلات في بجاية...الخ»[2].

ونتيجة لهذا القرار الظالم والمجحف فإن عائلة "محمد بن إبراهيم" فضلت الثورة في وجه الاستعمار بدل الانطواء والاستسلام للعدو حيث« عانى أبوه "إبراهيم" في مواجهة الاحتلال الفرنسي منذ بداية (1830) فلقي السجن ثم توفى سنة (1846) تاركاً ابنه "محمد" في مواجهة وضع صعب أسهم في ميلاد هذه القصة»[3].

وقد أرخ "أبو القاسم سعد الله" لموقف هذه العائلة من الاستعمار وما آل إليه مصيرها بقوله: «وكان أبو المؤلف "إبراهيم بن مصطفى" ممن تولى الدفاع عن أهل العاصمة بعد الاحتلال وألف مع "حمدان خوجة" وغيره لجنة وطنية لتقديم العرائض والشكاوي، والاتصال بالصحافة وانتهى به الأمر إلى السجن في عنابة والوفاة فيها.وكانت للعائلة أملاك وثروات وسمعة، فضاعت كلها وتبددت مع الاحتلال فاستولى الفرنسيون على قصرهم وحولوا بعض أملاكهم إلى مكان للمكتبة العمومية والمتحف. وكان الأمير معروفاً باسم "الأمير مصطفى"... وقد آلت بعض أملاكه سنة (1859) إلى عائلة "فيالار" الفرنسية، وفي سنة (1863) انتقلت إلى غيره.وهكذا كانت عائلة الأمير "مصطفى" قد رهنت أملاكها عند الأوربيين، وعندما عجزت عن الدفع لفقرها انتزعت منها الأملاك عن طريق المحاكم»[4].

وفيما يخص الحكم على هذا العمل بأنه رواية فقد تضاربت حوله الآراء، فهناك الباحث "عبد الله الركيبي" الذي أدخلها في إطار القصة الشعبية مثل "ألف ليلة وليلة" وهذا نظرا للأسلوب الذي كتبت به ونظرا لأحداثها وارتباطها بالقصص الشعبية من حيث اللغة والحوار وكثرة الاستشهاد بالشعر وتكرار الكلمات والتعابير [1].

وهناك من سماها بالرواية الشعبية وهو ما ذهب إليه "أبو القاسم سعد الله" عندما قال عنها:
« كتب أحد الجزائريين رواية شعبية ذات أبطال وأحداث وطنية وشخصيات تاريخية، وهي رواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" ومؤلفها هو "مصطفى بن إبراهيم بن مصطفى باشا" وتاريخ تأليفها هو سنة (1849)...»[2].

---

[2] - المرجع نفسه: ص(242-243).
[3] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص(197).
[4] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج (8)،ص (129).
[1] - ينظر عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث(1830-1974)، الدار العربية للكتاب،تونس ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ، (دط)،(1983)، ص(128-129).
[2] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج (8)، ص(129).

أما "عمر بن قينة" فقد صنفها بين القصة الشعبية والرواية الفنية، معتبرا إياها تأسيسا للرواية العربية الحديثة عندما قال عنها:«والقصة تحمل ظلال القصة الشعبية، بجوها ولغتها وفنها، وسمات الرواية الفنية التي أساء إليها خصوصاً شيوع الدارجة الجزائرية فيها، فهي كما بدا لي في مستوى بين القصة الشعبية والرواية الفنية،لذا بدا مني ميل إلى اعتبار هذه القصة (155ص) مرحلة أولى في ميلاد الرواية العربية الحديثة على مستوى الوطن العربي كله»[3].

وعلى النقيض من هؤلاء جميعاً فإن "عبد العالي رزاقي" أكد على روايتها و على أسبقيتها المطلقة في الوطن العربي فهي بالنسبة له« أول رواية عربية ظهرت في الجزائر قبل رواية زينب لهيكل في مصر سنة (1912)»[4].

أما بالنسبة لي فلا يمكنني اعتبارها رواية فنية إذ أدخلها كما أدخلها الباحث "عبد الله بن قرين" في« مصاف الأدب التقليدي بسبب نظرتها إلى الواقع وعدم توفرها على الشروط الفنية...ويبقى لها فضل الريادة وتفوقها اللغوي بشكل خاص، إذ كتبت في تلك المرحلة باللغة الدارجة»[5].

وفيما يخص موضوعها فإنه ارتبط بالحب فهي« تحكي حكاية عشيقين، والعشق في الحضارة الإسلامية أمر لا يسمح به، وقد أخبرنا الكاتب أن الملك قبيل وفاته أوصى ابنه بجملة من الوصايا منها هذه:" يا بني، إياك والعشق فتهلك نفسك ويتخرب ملكك". لكن الابن لم ينفذ هذه الوصية، فيعشق، ولما كان العشق في العرف العربي، وفي الفن أيضاً يجهض غالبا ولا ينتهي إلى الزواج فكذلك وجدنا هذه الرواية تنتهي بأن يموت الحبيبان وهما على هذه الحال لم يدخلا إطارا شرعيا بالزواج»[6]. كما ارتبط بوضعيته المزرية آنذاك إذ« صب فيها كاتبها معاناته من الاستعمار الذي صادر أملاكه وأملاك أسرته»[7]. لذلك فإنني أذهب إلى ما ذهب إليه الباحث "عبد الله بن قرين" معتبرا إياها رواية إقطاعية نتيجة للظروف المحيطة التي كتبت فيها والتي لم تسمح للروائي بالإفصاح عن مواجهة الاستعمار، ولكونها كتبت قبل ظهور الرواية الاستعمارية الفرنسية ، والرواية البورجوازية فيما بعد، وقبل ظهور الرواية الاشتراكية إن لم أقل أنها إرهاصات لكل هذه الروايات مثل نظيرتها الإنسانية "الحمار الذهبي".

3- الرواية الرومانسية "الفتى لرمضان حمود 1929":

يعد «رمضان حمود»[1] علما من أعلام الأدب الجزائري في فترة العشرينيات والفترات اللاحقة لها، إذ كانت وما تزال مؤلفاته وخاصة روايته "الفتى" مثار بحث وجدال لدى العديد من النقاد،فـ"محمد

---

[3] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص(179).
[4] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر ، ص(197).
[5] - المرجع نفسه:ص(67).
[6] - صالح مفقوده: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،(ط1)،(2003)، ص(79).
[7] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر، ص(65).
[1] - شاعر وناقد أدبي، ثوري وقاص اجتماعي إصلاحي وكاتب مقالات وخواطر، ومناضل ضد التخلف الاجتماعي وضد الاستعمار. ولد بمدينة غرداية سنة (1906) حيث تلقى تعليمه الأولى بها ثم بمدينة غليزان وأكمل مشواره التعليمي في تونس. كان شديد التأثر بالمدرسة الشابية والرومانسية عموما. توفى سنة (1929). خلف لنا "بذور الحياة" عام(1928)، ورواية "الفتى" عام (1929).

ناصر" اعتبرها قصة وقدمها بالصيغة الآتية:« الفتى قصة إصلاحية ومرآة من حياة شاب يسعى لإعزاز شعبه وترقية أمته»[2].

وذهب إلى الرأي نفسه "صالح الخرفي" معتبرا إياها أول قصة في الأدب الجزائري الحديث، وذلك عندما قال:«وريادة أخرى لـ"رمضان حمود" في القصة التي نشرها في العشرينيات بعنوان "الفتى"، ولم تمهله المنية لاستكمال نصفها الثاني هيكليا واستكمال أدواتها فنيا ونضج صورها خياليا. فهو بذلك أول من جرب كتابة القصة في الأدب الجزائري الحديث،لا نتحدث عن نجاح التجربة أو فشلها وإنما الحديث عن التوقيت الذي يعتبر مبكرا رائدا»[3].

كما حافظ "أبو القاسم سعد الله" على هذه التسمية بقوله:«"الفتى" وهي قصة كتبها الشاعر الأديب "رمضان حمود" ونشرها في تونس»[4].

أما "عبد الله بن قرين" فقد خالف الجميع في تسميتها حيث اعتبرها أول رواية عربية رومانسية [5].كما وصفها بأنها«نموذج منفرد في زمنه في الكتابة الإبداعية في مجالي القصة والرواية بالعربية .إنه باكورة الكتابة السردية الحديثة في الجزائر باللغة العربية. ينتمي العمل الأدبي "الفتى" إلى جنس الأدب الملحمي القصصي السردي...»[6]. وواصل الباحث نفسه الحديث عنها مؤكدا بعد التنظير للرواية بالمفهوم الأوربي إلى أن« "الفتى" رواية ذاتية اجتماعية توثيقية ضعيفة التخييل وواضحة الرؤية، وتقريرية اللغة والموضوعات الاجتماعية التي حملها بطلها بوصفها رؤيا إبداعية فنية»[7].

والرواية في مضمونها ترجمة شخصية لحياة الروائي نفسه إذ عكست«جوانب من حياة مؤلفها الشاب الطموح، فهي تمثل شابا كان يعمل على إسعاد شعبه في ظروف سيطر فيها الأجنبي على بلاده»[1]. ضمت العديد من الموضوعات المرتبة على شكل لوحات فنية راعى فيها الروائي التسلسل الزمني لمختلف مراحل حياة البطل فكانت على الشكل الآتي:«بدأ الحديث عن قصة محمد ذلك الطفل الذي نشأ في إحدى قرى ميزاب، وتابع المؤلف الطفل في نموه في البيئة الصحراوية، ثم سافر الطفل إلى إحدى مدن الجزائر الشمالية، وهناك دخل المدرسة، وتدخل المؤلف ليعظ ويرشد وليذكر بعض الشعر، وليشيد بالتربية وأثرها، وبعد أن عاد الطفل إلى وطنه سافر من جديد ودخل مدرسة فرنسية، وهكذا يظل يتردد بين مسقط رأسه والمدرسة وانتهى به الأمر إلى الزواج والدخول ميدان الإصلاح الاجتماعي وذلك بحديث مسهب عن العلوم والدين والفلاحة والكفاح والتجارة»[2].

---

[2] - محمد ناصر: رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)،(1985)، ص(309).
[3] - صالح الخرفي: رمضان حمود، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث(3)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)،(1985)، ص(30).
[4] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج (8) ، ص(133).
[5] - ينظر عبد الله بن قرين: رمضان حمود(1906-1929) ، مطبعة القورزي ، بوسعادة ، الجزائر ، (دط) ، (2003)، ص(97).
[6] – المرجع نفسه : ص(99).
[7] - المرجع نفسه: ص(101).
[1] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج (8) ، ص(133).
[2] - المرجع نفسه: ص(133).

أما أنا فأذهب إلى تبني الرأي الأخير على الرغم من قصر الرواية كما أعاد إخراجها الباحث"عبد الله بن قرين" في كتابه "رمضان حمود":«وظفت رواية رمضان حمود فنيا تقنية الكتابة الرومانسية التي تمثلت في الفردية،وطغيان الذاتية،و الدعوة الثورية للتغيير... »[3].ومعتبرا إياها رواية رومانسية بالنظر إلى موضوعها وأسلوب كتابتها.

4-الرواية الإصلاحية"غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو":

خضعت الجزائر لهيمنة استعمارية قاربت القرن وربع القرن عمل فيها الاستعمار على طمس الشخصية الوطنية حتى يتسنى له السيطرة على البلاد وفرض كيانه فـ«محاربة الشخصية الجزائرية بكافة مميزاتها الذاتية والموضوعية، بدأت منذ دخول الاستعمار الذي سخر وسائله الكولونيالية لا لضرب اللغة وحدها، ولكن لضرب كل ما يمكنه أن يسهم في توعية الجماهير بدورها الثقافي»[4].

وبحلول القرن العشرين عرف العالم الحرب الكونية الأولى التي أثرت إيجابا على الوضع المتردي في البلاد من حيث«الأفكار الهامة التي تعلمها الجزائريون من الحرب كفكرة المساواة، لأنهم ساهموا في انتصار فرنسا والحلفاء، كما تأثروا بالأحزاب الفرنسية الثورية وأحداث الشرق الأدنى وبالأفكار الديمقراطية التي عبر عنها الرئيس "ويلسن"»[5].

كل هذه الظروف عملت على ميلاد الأحزاب السياسية من بينها جمعية العلماء المسلمين التي رغم أنها«خلقت رسميا في ماي (1931) فإن أصولها تعود إلى عهد النهضة(1900-1914)، أي إلى أفكار "الشيخ الونيسي والمجاوي، وابن سماية، وابن الموهوب"، وغيرهم، وبين(1919-1930) وضع العلماء أسس جمعيتهم المستقلة،الصحافة والمدارس والنوادي الثقافية، والدعاية ونشر التاريخ الجزائري ، وتحت القيادة الديناميكية للشيخ "عبد الحميد بن باديس" كان العلماء نشطين بشكل ملحوظ خلال العشرينيات»[1].وبحلول الثلاثينيات ازداد ذلك النشاط، وعرفت الجمعية انتعاشا كبيرا سواء من الناحية السياسية بوقوفها ضد الإدماج،أو من الناحية الثقافية من خلال كتاب عديدين تتلمذوا في نواديها من بينهم «رضا حوحو»[2] الذي صار يمثل اتجاها روائيا بكامله، وهو الاتجاه التقليدي الإصلاحي، أو ما اصطلح على تسميته بالكلاسيكي فـ"رضا حوحو" خير من كان يمثل الجمعية ويعبر عن وجهة نظرها أيام الحرب التحريرية [3].

---

[3] - عبد الله بن قرين:رمضان حمود (1906-1929)،ص(104).

[4] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(48).

[5] - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،ج (3)، ص(285).

[1] – أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ،ج (3)، ص(294).

[2] - ولد بقرية سيدي عقبة ولاية بسكرة سنة(1911)، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية فيها انتقل إلى مدينة سكيكدة حيث أكمل تعليمه الإعدادي بها، ثم عاد إلى قريته سنة (1928). وفي سنة(1934) هاجر مع أسرته إلى الحجاز، وهناك أكمل دراسته للعلوم العربية والإسلامية. وفي سنة(1946)عاد إلى الجزائر كعضو من أعضاء جمعية العلماء. ولما تأسس معهد ابن باديس سنة(1948) تولى إدارته. أشهر مؤلفاته قصتان هما: "مع حمار الحكيم و صاحبة الوحي" بالإضافة إلى بعض المسرحيات مثل: "أدباء المظهر، عنبسة، البخلاء، بائعة الورد، النائب المحترم".

[3] - ينظر واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(39-40).

إن الدارس لأدب "حوحو" يدرك جيدا بأن بين ثناياه موهبة أدبية لا تخل من إبداع وتجديد وتميز برؤية فنية متطورة إذا ما قيست بالوضع الثقافي في الجزائر وهو الأمر الذي جعله رائد القصة وباعثها إلى الوجود... [4].كما كان«أول أديب يطرق أبواب العالم الروائي في ظل برجوازية فرنسية قميئة عملت كل ما بوسعها لإعاقة تطور الإبداع كغيره من مجالات الفكر والفن الأخرى عن طريق محاربه مضامينه واللغة التي صيغت بها»[5].حيث خلف لنا روايته الوحيدة "غادة أم القرى" التي كتبها في«بداية الأربعينيات وربما قبل ذلك بالاستناد إلى المقدمة التي كتبها له السيد "أحمد بوشناق المدني" والمؤرخة في(1362/12/21هـ). وهو ما يقابل حسب تقديرنا(20يناير1943م)»[6].

أما فيما يخص اعتبار "غادة أم القرى" رواية فقد اختلف حولها الباحثون والنقاد. فـ "عايدة أديب بامية" وضعتها ضمن إطار القصة مشيرة إلى ذلك في حديثها عن المرأة في القصة الجزائرية عندما قالت:«وكان موقف "حوحو" أكثر إشفاقا على المرأة، إذ كان بالأحرى موقف حب واهتمام صادق، فهو بالإضافة إلى أنه يجعل من نفسه مدافعاً عن المرأة الجزائرية، فقد أعطاها مكانة بارزة في قصصه وكتاباته، وكلماته البينة نقرأها في تقديمه لكتابه "غادة أم القرى"»[7].

كما أن "عبد الله الركيبي" هو الآخر صنفها في إطار القصة معتبراً إياها في الآن ذاته بصيص أمل لميلاد الرواية العربية الجزائرية على حد تعبيره«أما فيما يتعلق بالرواية العربية... فهي من مواليد السبعينيات بالرغم من أن هناك بذورا ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو أسلوبها الفني، فهناك قصة مطولة بعض الشيء كتبها "أحمد رضا حوحو" وسماها "غادة أم القرى"»[1].

وهناك من وضعها موضع الوسط بين القصة والرواية،وهو الرأي الذي ذهب إليه "محمد خان" بقوله:«أن "غادة أم القرى" التي تقع بين القصة والرواية هي أول عمل قصصي له وتتجلى فيها موهبته الأدبية وقدرته الفنية...وهذا العمل من أنجح أعماله القصصية»[2].

أما عن الذين اعتبروها رواية فنجد "عبد المالك مرتاض" الذي أكد على أن النثر الجزائري في تلك الفترة«لم يعرف سوى محاولة روائية واحدة هي "غادة أم القرى"، وهذه الرواية هي من النوع القصير ولكنها جاوزت في حجمها مفهوم القصة القصيرة بكثير، وناهيك أن الكاتب نشرها وحدها مستقلة في مجلد واحد»[3].

---

[4] - ينظر محمد خان: الأدب الإصلاحي في الجزائر، دراسة تحليلية لأدب حوحو، ج (2)، العلوم الإنسانية مجلة سنوية تصدرها جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع (2) ،جوان(2002)، ص(33).

[5] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(130).

[6] - صالح مفقوده: المرأة في الرواية الجزائرية، ص(51).

[7] - عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري(1925-1967)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(دط)، (1982)، ص(318).

[1] - عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص(199-200).

[2] - محمد خان: الأدب الإصلاحي في الجزائر، دراسة تحليلية لأدب حوحو، ج(2)، ص(33).

[3] - عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر(1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، (1983)، ص(190-191).

و ركز "عمر بن قينة" في الحكم عليها من حيث الموضوع الذي طرحته، ومن حيث بنيتها معتبراً إياها« محاولة لمعانقة الفن الروائي بوعي قصصي، وجدية في الفكرة والحدث والشخصيات والصياغة...»[4].

كما ذكرها كل من "محمد مصايف، أحمد منور، عبد الله بن قرين، حسين قحام، محمد ساري" في بحوثهم الأكاديمية حول الأدب الجزائري، إذ لم يشكك أحد في روايتها فناً وجمالاً.

وفيما يخص الموضوع الذي عالجته هذه الرواية فإنه اقتصر على المرأة إذ«خصص الكتاب لأوضاع المرأة المكية، وهذا ما يفيده العنوان، حيث إن "غادة" تعني الفتاة الحسناء، و"أم القرى" هي مكة، وأهدي هذا الكتاب إلى المرأة الجزائرية »[5].وما فكرة إسقاط المرأة الحجازية على نظيرتها الجزائرية إلا دليل على تواجدهما في نفس الوضعية الحرجة فكلتاهما صورة للأخرى، لذلك نجده يدين فيها الواقع الذي« تحرم فيه المرأة من حقها في الرأي وتصادر مشاعرها لتعيش الشقاء والبؤس فبدا للكاتب أن المرأة الجزائرية لا تختلف عن أختها الحجازية...»[6].

وبالنسبة لتصنيفي لها داخل الإطار الإصلاحي فهذا راجع أساساً إلى الشخوص الواردة فيها فـ«المرأة في نظرهم لا تكتمل أنوثتها إلا إذا تزوجت، وإلا فهي ستظل ناقصة وعرضة لارتكاب المعاصي الأخلاقية »[1].وهو رأي سلفي يقف موقف المعارض من الغزو الحضاري الاستعماري الأوربي، فنظرة "حوحو" إلى المرأة وحريتها«لم تخرج عن هذه القياسات الأخلاقية، فهي ليست أكثر من زينة توضع بين أربعة جدران، كأي غرض ثمين من أغراض البيت ممنوعة حتى من التنفس خارج البوتقة المسطرة لها سلفاً،ف "رضا حوحو" عندما يحاول أن يخرجها من هذه الأجواء، سرعان ما يضعها رهن الفكر الإصلاحي، الذي لا يخرج أبداً عن الطروحات الإقطاعية التي تعتبر فيه المرأة جزءاً من أملاك البيت، فحريتها لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الرجل...»[2].

وهذا التوجه حسب نظري خاطئ بالقياس إلى وضعية البلاد الحرجة آنذاك، فبدل أن يوجه الروائي المرأة إلى طلب العلم والمشاركة في الثورة ضد الاستعمار وتحريكها من الداخل وتحسيسها باجتماعيتها بوصفها مؤمنة. ذهب إلى النقيض من ذلك، وهذا يقودني إلى الحكم عليه بالقصور الفكري والعجز في الرؤية وهو الذي دفع بالكاتب إلى ممارسة هروبه داخل لحظات رومانسية، وهناك يمارس ضعفه وتأوهاته وآلامه وأحزانه من خلال صور وتشابيه واستعارات تجنح بالقارئ عاليا في فضاءات كاذبة بسعادة مزورة [3].

---

[4] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص(197).
[5] - صالح مفقوده: المرأة في الرواية الجزائرية، ص(81).
[6] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص(197).
[1] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(132).
[2] - المرجع نفسه:ص(132).
[3] - ينظر المرجع نفسه: ص(140).

وعلى الرغم من هذا التوجه السلبي الذي وقع فيه "حوحو" من خلال هذه الرواية، إلا أنها تبقى في نظري بذرة تأسيسية للرواية المكتوبة باللغة العربية، وأذهب إلى ما ذهب إليه "واسيني الأعرج" عندما قال عنها:«وتبقى في النهاية رواية "غادة أم القرى" مع كل نقائضها وهفواتها، رواية فتحت الطريق المغلق أمام الرواية المكتوبة باللغة العربية لتشق طريقها نحو ما هو أفضل سواء من حيث المضامين، أو من حيث الوعي الجمالي لتقنيات الرواية»[4].

كان هذا مجمل ما تمكنت من رصده حول هذه الرواية بوصفها ثالث باكورة فنية وفكرية في الرواية الجزائرية.

5-الكتابة الروائية في الخمسينيات:

عرفت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية خلال هذه الفترة ظهوراً محتشماً، إذ لم تتعد الروايتين هما: "الطالب المنكوب" لـ"عبد المجيد الشافعي" سنة (1951)، ورواية "الحريق" لـ"نور الدين بوجدرة" التي طبعت سنة (1957) . وكلتاهما كانتا تحاولان أن تطرحا سؤالا قديماً جديداً وهو:"كيف نشفي هذا المجتمع من جروحه؟".الأمر الذي أبعدها عن السقوط في الشعبية المزيفة، وبأسلوب "جون ديوي"(الشعوبية Le populisme) [5].

إن هاتين الروايتين حسب نظري لم ترقيا إلى المستوى المطلوب، ويعود ذلك إلى سيطرة المضامين الانفعالية التي تمجد الأحاسيس السطحية ولم أجد أي كاتب...أثار مسألة الشكل الفني أو الجوانب الجمالية للنص التي تشغل فضاءه بالبرق وتقدم له صياغة فنية متفوقة والظلال الشاعرية المشعة، لأن صاحبيهما لم يستفيدا من الأدب المكتوب باللغة الفرنسية، وبخاصة النقد بمفهومه الرؤيوي [1].

كما يمكن أيضا إرجاع هذا الضعف حسب رأيي إلى «نوعية التعليم الذي كانت تقدمه جمعية العلماء فهو أولي وبسيط»[2].

ومهما يكن فإني أذهب إلى الرأي نفسه الذي ذهب إليه "واسيني الأعرج" عندما اعتبر هاتين الروايتين مع ضعفهما الموضوعي خطوات على الطريق الطويل المؤدي لمولد الرواية الجزائرية بشكل كامل من الناحية الفنية لمفهوم الرواية [3].

كان هذا مجمل ما كتب باللغة العربية في مجال الرواية خلال فترة الخمسينيات ،وعلى الرغم من الإنتاج المتواضع والهزيل إلا أني أعتبر هاتين المحاولتين البداية الإبداعية لفن الرواية في بلادنا.

---

[4] - المرجع نفسه: ص(132).

[5] - ينظر المرجع نفسه : ص(65).

[1] - ينظر إدريس بودبية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، شركة أشغال الطباعة قسنطينة، الجزائر،(ط1)،(2000)، ص(36-37-38).

[2] - عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص(62).

[3] - ينظر واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(129).

6- الكتابة الروائية بعد الاستقلال:

عرفت المرحلة الأولى من الاستقلال ظهوراً شحيحاً ومتأخراً للكتابة الروائية باللغة العربية، إذ لم يتسن للكتاب الجزائريين أن يبدعوا في هذا المجال إلا في أواخر الستينيات، وهذا ما أكدته"عايدة أديب بامية" بقولها:«فقد تأخر ظهور هذا النوع الأدبي حتى عام (1967) حيث صدرت رواية "صوت الغرام" لـ"محمد منيع"»[4].وهي رواية تنتمي إلى التيار الإصلاحي إذ تعكس في مجملها«رؤى فكرية وجمالية قاصرة عن فهم جدلية التطور الاجتماعي والتناقضات التي تتحكم في سيرورة المجتمع... فهي لم تستطع إضافة الجديد إلى الرصيد القصصي الجزائري بقدر ما حاولت اجترار الماضي»[5].

إلا أنه و على الرغم من« سذاجة المواقف والأحداث والطروحات والإلمام الوقائعي التسجيلي لمختلف جوانب السرد التي وضعت جميعها أدوات الكاتب في القصور فإن "صوت الغرام" تحمل في طياتها يقظة روائية حقيقية، ويتمثل ذلك على الخصوص في الغزارة اللغوية التي يتوفر عليها النص، وجرأة الكاتب في توظيف التراث الشعبي ونقل الألوان المحلية لروح الريف الجزائري، الذي أظهر الكاتب معرفة حميمية بتفاصيله لولا أنه بدا عاجزا عن السيطرة على الفضاء الروائي الذي ظهر مهتزاً ومفتقداً للإقناع الفني»[1].وكذلك الفكري إذ لم تضف الشيء الكثير، ومع ذلك«فإنها مزقت ذلك الصوت المضروب حول الرواية العربية في الجزائر...»[2].

ومن جملة الأسباب التي أدت إلى غياب الرواية العربية الجزائرية في هذه الفترة كون البلاد «خرجت..من "حرب الدمار" المفروضة عليها من طرف البرجوازية الفرنسية الاحتكارية بتركة استعمارية، كان عليها العمل الجاد للخروج منها، فلم يكن ما يسمى اليوم بالاقتصاد الجزائري، بل كان هناك اقتصاد فرنسي بالجزائر مسير من طرف العاصمة تحت الضغط الدائم لباريس»[3]. إلى جانب ذلك «العوامل الثقافية والفنية التي تعتبر المسؤولة الأولى عن ندرة الرواية العربية.وأن ظهور رواية واحدة فقط باللغة العربية فيما بعد الاستقلال وحتى عام (1967) لا يترك المجال للإعذار، بل يضع المسؤولية على الأدباء الجزائريين، فالتعليم التقليدي في مدارس العلماء لم يفد الكتاب لإنتاج أعمال أدبية كالرواية، فلم يعطوها حقها...»[4]. كما أن هؤلاء الكتاب لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون على منوالها، كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية الذين وجدوا تراثاً غنياً ونماذج جيدة في الأدب الفرنسي»[5].بالإضافة إلى الصعوبات الجسيمة المتمثلة في الطباعة والنشر [6].

---

[4] - عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص(61).
[5] - بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس،(ط1)، (1999)، ص(30).
[1] - إدريس بودبية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص(36).
[2] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(88.).
[3] - المرجع نفسه: ص(81).
[4] - عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص(61).
[5] - عبد الله الركيبي :تطور النثر الجزائري الحديث،ص(200).
[6] - ينظر عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص(61).

وبحلول السبعينيات عرفت الرواية العربية الجزائرية البداية الحقيقية لميلادها مصاحبة في ذلك«التغييرات الاجتماعية والتحولات الديمقراطية بكل إنجازاتها الثورية، بل كانت الوجه الآخر، الفني طبعاً، لهذه التحولات الثورية، وهذا ما يجعلنا نقول أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بعد الاستقلال كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي أنجبته التحولات الثورية بكل تناقضاتها»[7].وهذا ما عبرت عليه تباعاً«قصة "ما لا تذروه الرياح" لـ" محمد عرعار"، ثم رواية "ريح الجنوب" للكاتب "عبد الحميد بن هدوقة" ثم ظهرت...روايتان لـ " الطاهر وطار" وهما على التوالي "الزلزال ثم اللاز"»[8].

غير أن النشأة الجادة للرواية ارتبطت بـ «رواية "ريح الجنوب"التي كتبها "عبد الحميد بن هدوقة" في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية، فأنجزه في (5 نوفمبر1970) تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته، ورفع الضيم عن الفلاح، ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان»[1].

وكانت الولادة الروائية الثانية لـ" الطاهر وطار" الأكثر عمقا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية إذ جاءت« "اللاز" كإنجاز فني جريء، وضخم، يطرح بكل واقعية وموضوعية قضية الثورة الوطنية، لا من وجهة التحالفات المنطقية لقوى الثورة التي فرضتها تلك المرحلة، ولكن كذلك من وجهة التناقضات الداخلية التي كانت تحدث داخل الحزب الواحد والتي كانت تحاول القوى الرجعية تعميقها إلى حالة الإجهاض والاحتواء من الداخل، وهي تريد بذلك قتل الثورة وهي لم تفتح بعد عينها.واستغلال مثل هذه الأوضاع، يظهر كما تبرزه رواية "اللاز" حين تكون القيادات المعول عليها جد هزيلة على المستوى الفكري والأيديولوجي وعلى مستوى ممارستها الأيديولوجية»[2].

وفي النهاية يمكن القول بأن فجر الاستقلال خلق الحرية للإنسان الجزائري المبدع باللغة التي امتلكها، والتوجه الفكري والأيديولوجي الذي تبناه المثقف الجزائري، والمدرسة الأدبية التي غرف منها تأثره الفني والجمالي والإنساني والحضاري. وبالتالي لا يمكن لي أن أعيد ما قدمه الباحثون قبلي ،أذكر منهم في مجال الدراسات الأدبية "عبد الله الركيبي،عبد المالك مرتاض ، حسين قحام، عمر بن قينة، بشير بويجرة، وصالح مفقوده، ومن تونس بوشوشة بن جمعة".

كما أذكر الباحثين في مجال النقد الأدبي للرواية" محمد مصايف، مخلوف عامر، عبد الله بن قرين" الذين تعرضوا إلى نقد الرواية الجزائرية .

---

[7] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(88).
[8] - عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، ص(201).
[1] - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص(198).
[2] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(90).

أما تاريخ الأدب فإني لم أقرأ ما أضيفه إلى كتابات "أبو القاسم سعد الله".غير أن هناك العديد من الدراسات المتفردة أو المبدعة في كتب نقدية خاصة مثلما قدمه "أبو العيد دودو" في ترجمته "للحمار الذهبي" أو دراسات "محمد بوشحيط وعبد الحميد بوزوينة".

V– الاتجاه الواقعي في الرواية الجزائرية :

أجمع معظم نقاد الأدب ومؤرخيه ممن تناولوا المذهب الواقعي تنظيرا على إشكالية تحديد مفهوم المصطلح،وهذا لكون مفهوم الواقعية في الفن « غامض ومطاط،فهي تعرض أحيانا على أنها موقف،أي أنها الاعتراف بالواقع الموضوعي،بينما تعرض أحيانا أخرى على أنها أسلوب ومنهج،وكثيرا ما يتلاشى الحد الفاصل بين هذين التعريفين،فكلمة (واقعي) تستخدم أحيانا في وصف " هوميروس أو فدياس أو سوفوكليس أو بوليكليتوس أو شكسبير أو ملتون أو ألجريكو"،ثم تقتصر في أحيان أخرى على الأسلوب الذي يستخدمه نوع محدد من الكتاب أو الفنانين ابتداء من " فلدنج وسموليت حتى تولستوي،ومن ألجريكو وكوربييه حتى مانييه و سيزان" »[1].

والواقعية نسبة إلى الواقع « le réel وهو الوجود حقيقة في الطبيعة والإنسان.والواقع نوعان حقيقي وفني.والأول إذا ما وصفه الإنسان كان صادقا وأمينا لموافقته ما هو موجود،وكائن،إنه بوصفه يأتي بنسخة من الواقع كالصورة الفوتوغرافية،والثاني وهو – المعمول به في الأدب والفن – يقوم على خلق إبداعي لا يشترط أن يكون حقيقيا بحذافيره،صحيح أنه يغترف عناصره من الواقع الحقيقي لكنه يحور ويزيد وينقص ويختلف ويعيد التكوين ليأتي بواقع ليس نسخة للواقع الحقيقي،بل هو محاك وممكن الوجود والتصوير لأنه يجري في نطاقه ويخضع لشروطه وآلياته »[2].

وتعود البواكير الأولى لنشأة الواقعية في الأدب الجزائري إلى القرن التاسع عشر فـ« كتابات "الأمير عبد القادر" الشعرية ... لم تخل أبدا من النزوع الواقعي الذي لم يستطع أن يتبلور مثلما هو الحال

---

[1] – حسام الخطيب:محاضرات في تطور الأدب الأوربي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية،جامعة دمشق،سورية،(د ط)،(1984-1985)،ص (230).

[2] – Mailto : aru @ net . sy

بأوربا،ولكن مع ذلك يمكن اعتبار مثل هذه الكتابات إذا لم تكن قد أسست للواقعية في الجزائر،فهي أسهمت بشكل أو بآخر في توجيه الشعر الجزائري وجهة غير رجعية لا تقبل النمو إلا ضمن الشرط الإنساني المقبول »[3].

ومع كل انتفاضة شهدتها البلاد عبر مراحل الاحتلال تبعتها انتفاضات أدبية تجلت فيها بوضوح معالم الكتابة الواقعية التي صورت آلام وآمال الشعب الجزائري .غير أنه كان لانتفاضة الثامن ماي (1945) الأثر الأكبر في بداية تبلور هذا المذهب في بلادنا،وتجسد ذلك في كتابات « "رضا حوحو" القصصية،ومعظم كتاب الجمعية على اختلاف وعيهم،ولكن في معظمهم التصقوا بواقعهم أكثر وبأشكال مختلفة،وقد ظهرت هذه القدرة على التلاؤم مع تأزمات الواقع،ورصدها بشكل واقعي في الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي،وقبلها بقليل عند بعض المتجزئرين ... »[4].ثم تطورت هذه الكتابة مع جيل الخمسينيات من الأدباء المفرنسين فـ« الرواية الجزائرية التي ظهرت في تلك الفترة كانت واقعية إلى أبعد الحدود على الرغم من التناقضات التي كانت تصاحب هذا التطور،و واقعيتها جاءت لكونها خاضعة لشروطها الموضوعية،تلك الشروط التي فرضتها ثوراتها والتي كانت في أغلبها ثورات دموية تبحث عن صدام حقيقي بين قوى مستعمرة بكل مالها من أجهزة،وثقافة،وبين شعب يتلمس تحقيق شخصيته »[1].

وبالمقابل ظهرت في نفس الفترة رواية " الحريق " لـ" نور الدين بوجدرة " التي حملت بذورا واقعية نقدية أكثر تقدما،إذ حاول مؤلفها منذ البداية أن يطرح البداهة التي صاحبت الثورة الجزائرية،و انطرحت بقوة على الحركة الوطنية وعلى الشعب،وأنه لم يعد الحل السياسي نافعا لاجتثاث البرجوازية الكولونيالية التي عمتها مصالحها الامبريالية .لقد أصبحت في ظل هذه الأوضاع الثورة وحدها هي الحل المطلوب،وانهار الثلاثي الذي لم يعد له معنى في ظل الامبريالية (المساواة،والأخوة،والحرية) .لكن ضعف " الحريق " هو أن واقعيتها النقدية هذه وإن كانت قد ورثت الكثير من إنجازات الرواية الغربية،فإنها ظلت حبيسة واقعها المتخلف،وكثيرا ما كانت تدخل في أجواء صوفية وهامشية أبعدتها عن هدفها الأساسي (الثورة الوطنية) [2].

وهذا التراث الروائي هو الذي بنى عليه معظم كتاب ما بعد الاستقلال – السبعينيات – إنجازاتهم الرائعة التي« استهلكت الرواية الجديدة (الغربية) ،كما استطاعت أن تدفع الاتجاه الواقعي الجزائري إلى الأمام ليصحح من مفاهيمه السابقة عن الواقعية ...إذ استطاعت أن تطرح المجتمع الجزائري

---

[3] – واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،ص (358).
[4] – المرجع نفسه : ص(364).
[1] – واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،ص(367).
[2] – ينظر المرجع نفسه :(367 – 368 – 384) .

للنقاش،وأن تعود إلى الموضوعات التاريخية لتتناول بالبحث الإبداعي حياة الأسر الجزائرية في ظل التعاسة التي فرضتها عليها البرجوازية الفرنسية »[3].

وسعى الروائيون الجزائريون في هذه الفترة إلى مسايرة التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة الجزائرية آنذاك،معبرين في ذلك عن رؤاهم إزاء هذا الواقع الجديد بطرق مختلفة وبأفكار تصب كلها في كيفية المحافظة على المكاسب الثورية التي تحققت بفعل الاستقلال،متبنين اتجاهين في الكتابة الواقعية،الأول واقعي نقدي والثاني واقعي اشتراكي .

1- الاتجاه الواقعي النقدي :

الاتجاه الواقعي النقدي جزء من المذهب الواقعي بشكل عام يتعلق في الأدب بنقد الواقع بطرق موضوعية تتحرى المعايشة والفهم المستفيض لخصوصياته الدقيقة،وتتبع عملية النقد من عدم الرضا بما هو موجود،بمعنى توخي عالم آخر نقيض العالم القائم،وهذا يحتم وجود شخصيات في العمل الأدبي تكون متمردة غير متصالحة مع واقعها؛إذ يجسد العمل في هذه الحال تفاصيل سعي الشخصيات الأدبية الدءوب من أجل تحسين واقعها المعيش،لذلك لا تخل هذه الأعمال من عامل الصراع .

وتعود حيثيات الاتجاه الواقعي النقدي في الرواية الجزائرية إلى مطلع السبعينيات في مرحلة تبلور الوعي الثوري وسيادة الأيديولوجية الاشتراكية في السياسة والاقتصاد والثقافة بشكل عام .حيث سعى الروائيون في تلك الفترة إلى تكييف إبداعاتهم وفق المنحى التاريخي الجديد الرافض لمخلفات الاستعمار وإرهاصات الإقطاع والطبقية،لذلك كانت أعمالهم منتقدة للواقع السالف بكافة تناقضاته والواقع القائم بسلبياته مع الأمل في الغد المنشود. والمسجل على الاتجاه الواقعي النقدي أنه لا يقدم بديلا .

وأبرز من مثل هذا الاتجاه " عبد الحميد بن هدوقة " في روايته الأولى " ريح الجنوب " التي تعتبر من أصدق الأعمال التي تندرج ضمن هذا الإطار وذلك « لنضوجها،واقترابها بشكل جدي من الأوضاع الاجتماعية التي صاحبت ألعاب الإقطاع من أجل الحفاظ على مصالحه،فهو مستعد لبيع أغلى شيء للشيطان والتحالف معه مقابل ألا تمس أراضيه من طرف قوانين الإصلاح الزراعي،خصوصا وأن الرواية تجسد ...أواخر الستينيات،أي قبل صدور مواثيق الثورة الزراعية مع بداية السبعينيات ... والصدق الفني في العملية الإبداعية هو الذي كان دوما يقود " ابن هدوقة" نحو الطريق الصحيح،فهو بتحليله لكل ألاعيب "ابن القاضي" كان يجسد الصورة الحقيقية التي تختفي تحت الألبسة التي يرتديها الإقطاع.ف" ابن القاضي" بهذا المعنى ليس إلا الوجه الآخر المتفسخ لهذه الطبقة التي حكم عليها التاريخ

---

[3] – المرجع نفسه :ص (368).

بالإتلاف،وبالتالي فكل التصورات والتحليلات التي تصدر من "ابن القاضي" ليست إلا تصورات ونظرات تجد تفسيرها في الفكر الإقطاعي ...» [1].

ولئن اكتفت " ريح الجنوب " بالوقوف عند حدود الإدانة والتنبؤ،فإن روايتيه « " نهاية الأمس" و" بان الصبح " قد تجاوزتا هذا الموقف بتحويل الصراع الخفي إلى مواجهة حقيقية بين الشخصيات التي ترمز إلى فئات مختلفة ومتباينة ... إنهما روايتان ترسمان بمهارة لوحة بانورامية ذات روافد عديدة لحياة الجزائر الاشتراكية عارضتين شخصيات مرسومة بدقة بعيدة عن التجريد الذهني ومحتفظة بثقلها التاريخي،وبماضيها الممتد في حاضرها.والحق أن "ابن هدوقة" في هاتين الروايتين... عرف كيف يؤلف صورة حية عن المجتمع ويؤرخ لجيل كامل بآماله وآلامه وما تنطوي عليه نفوس الناس من خميرة طيبة تدعو إلى حب الخير والتطور »[2].

واستفاد الروائيون الآخرون إلى حد بعيد من التجربة الروائية لـ" عبد الحميد بن هدوقة " فـ«"مرزاق بقطاش" ثمرة تناقضات الاستقلال حاول أن يستفيد من تاريخ بلاده،ومن زخم الثورة الجزائرية في روايته " طيور في الظهيرة " مثلما فعل الكاتب " عرعار محمد " من قبله في روايته " مالا تذروه الرياح " التي غلب عليها الطابع الرومانتيكي ،ثم من بعده في عمله الثاني ... " الطموح ".طبعا مع الاختلاف الموجود بين التجربتين الروائيتين ... لكنهما تشتركان في الانتقادات التي بنيت على ركام السلبيات التي ورثها المجتمع من التقاليد البرجوازية الفرنسية بكل إيجابياتها وسلبياتها ومن تناقضات مرحلة التطور التي أعقبت الاستقلال » [1].

ويعتبر " الحبيب السايح " من بين الروائيين الذين اتجهوا نحو هذا النمط من الكتابة نتيجة تخلي القيادة الجديدة بعد الرئيس الراحل " هواري بومدين " عن الاشتراكية،إذ كان يرى بأن أدب الشباب هو « تجسيد بشكل أو بآخر،وفي كثير من نوعياته للمحتوى الديمقراطي الوطني المعادي للاستعمار والإقطاع، هذا المحتوى الذي شارك في إنمائه الأدب الاشتراكي،وكذلك أولئك الذين لهم مواقف وطنية.إن الأدباء الذين استطاعوا أن يسايروا المرحلة وأن يعبروا عنها هم أولئك الذين تبنوا إلى الآن الطرح العلمي للقضايا،وهذا بفضل التحولات الجذرية والديمقراطية التي تعرفها البلاد،ثم يضيف " الحبيب السايح " شرط التحزب للأديب لكي يرقى إلى المرحلة التاريخية التي تعيشها البلاد كما جاءت محددة في نصوص الميثاق الوطني »[2].

---

[1] – واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(387).

[2] – شريف عبد الواحد: تجربة ابن هدوقة الروائية،أعمال وبحوث كتاب الملتقى الرابع عبد الحميد بن هدوقة ،وزارة الاتصال والثقافة ،مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ، دار هومة ، الجزائر،(د ط)،(2001)، ص(182-183).

[1] – واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص(369).

[2] – عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر، ص(127).

وتتدرج روايته " زمن النمرود " ضمن نمط الواقعية الانتقادية وهذا « برصدها لعلامات دالة على أزمة تحول المجتمع الجزائري على الصعيد السياسي والاجتماعي تمثل الانتخابات البلدية التي نظمت في غضون عام (1978) مدارا لها. فالرواية تصور أزمة الديمقراطية في جزائر الاستقلال من خلال سردها لخفايا الانتخابات البلدية وأطوارها بمدينة " سعيدة " موطن الكاتب نموذجا لشتى المدن الجزائرية ، وتجسيدها أكثر من مظهر صراع بين طرفين متعارضين تمثل السلطة الحاكمة أولهما في حين يمثل جيل الاستقلال المتطلع إلى التغيير قصد التنعم بثمار الاستقلال ثانيهما. فهذه الرواية تستمد مصدر قوتها من استحضارها لهذا التاريخ الحي لجزائر السبعينيات ... وهي تنجز ذلك بكثير من الجرأة غير متهيبة من العواقب ... »[3].وهذا ما سأحاول الكشف عنه في العناصر اللاحقة من البحث بدراسة تحليلية شاملة.

2- الاتجاه الواقعي الاشتراكي :

الواقعية الاشتراكية هي سليلة الفلسفة الماركسية في عمومها،تقوم على تمجيد منجزات الطبقة العمالية وكافة الطبقات الكادحة في المجتمع ضد البرجوازية والرأسمالية والاقتصاد الحر في سبيل تحقيق المكاسب الاجتماعية المرجوة .وقد صور الأدب العالمي هذه المعاني مركزا على عناصر الصراع القائمة بين الطبقة المستغِلة والطبقة المستغَلة.

ولم تكن الرواية الجزائرية بمنأى عن الواقعية الاشتراكية كمذهب جديد في الأدب من منطلق نقد القائم والأمل في القادم.والحقيقة أن دوافع الواقعية الاشتراكية في الأدب الجزائري والرواية على وجه الخصوص هو الوعي بخصوصية الظروف المعيشية التي سادت المجتمع الجزائري في حقب تاريخية متعاقبة.ولعل تلك الظروف المادية أنتجت نموذجا نوعيا للوعي انعكس على الأدب الجزائري بعدما تبنته النخبة الحاكمة بغرض تقديم البديل النوعي للمجتمع الجديد.

وظهر هذا النوع من الكتابة بشكل بارز للغاية في رواية " الزلزال" لـ "الطاهر وطار" التي « كشفت اللعبة الرجعية بكل خلفياتها التي يطرحها الإقطاع كبديل لما هو قائم،والشيء نفسه يمكن أن يقال عن المجالات الصناعية التي عملت الجزائر فيها على التخلص من الهيمنة الامبريالية وتطبيق الديمقراطية ... » [1].وكل روايات هذا الكاتب تصب في مجال الواقعية الاشتراكية،طرح من خلالها« فكرة تتبع المرحلة النضالية للجزائر عبر كافة حقب تطورها التاريخي بدءا من الثورة الوطنية " اللاز" إلى

---

[3] – بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص(228 – 229).

[1] – واسيني الأعرج : تجربة الكتابة الواقعية عند الطاهر وطار ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،(د ط)، (1989)، ص(24).

الثورة الديمقراطية الوطنية في "العشق والموت في الزمن الحراشي" بكافة إشكالاتها التاريخية »[2].أما روايته " الحوات والقصر" فتصور« أزمة السلطة وعزلتها والطريق المسدود الذي وصلت إليه بتخليها عن معالجة مشاكل الرعية،ثم انهيارها في الأخير بعد النضال الذي خاضه "علي الحوات" ونجاحه في استعداء القرى السبع ضد القصر... وهذا المنظور الفكري يصب في المراجع الثقافية لمدرسة الواقعية الاشتراكية التي يشتغل الكاتب في إطارها،ويعتنق مذهبها... »[3].

ونسج "واسيني الأعرج" في روايته "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" على منوال "الطاهر وطار" في "اللاز" و"العشق والموت في الزمن الحراشي"،فالطفلة ذات الأشرطة الحمراء التي تقرن بالسعادة،وتقترن بالنجمة والضياء،هي الحياة الجديدة السعيدة التي ينتظرها الكادحون في ظل التسيير الاشتراكي والثورة الزراعية، بعدما تعرضت للمضايقة والذبح وقت الثورة التحريرية،مؤمنا بعودة تلك النجمة التي ترمز للاشتراكية،وبضرورة الحل الاشتراكي،بل وحتميته [4].

وأخيرا يمكن القول بأن الروائيين الجزائريين في السبعينيات والثمانينيات تبنوا هذا الاتجاه إيمانا منهم بأن الاشتراكية هي السبيل الوحيد لتحقيق العدالة والمساواة والرفاهية لجميع أبناء الشعب الجزائري.

---

[2] – المرجع نفسه: ص(27).

[3] – إدريس بودبية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص(270).

[4] – ينظر صالح مفقوده : المرأة في الرواية الجزائرية ، ص(262).

I- الأيديولوجية و الصراع الاجتماعي:

1- الرواية والأيديولوجية:

تعتبر الأيديولوجية من المفاهيم الأكثر تعقيدا ، ويرى الباحث "جورج لارين" أن ولادة هذا المفهوم « مرتبط بعقل الحداثة ، ومبرر نشأتها هو صراع العقل ضد المجتمع التقليدي في القرن الثامن عشر فهمت الأيديولوجية بوصفها "علم الأفكار" وبوصفها "سلاحا نقديا" وهي مفاهيم مؤسسة على العقل والعلم سلاح مجتمع الحداثة ضد الإقطاع و الأرستقراط والأفكار الدينية والميتافيزيقية والخرافية ، فثمة ارتباط بين العقل والمفهوم النقدي للأيديولوجية الناقد لكل ماهومضاد للمجتمع العقلاني »[1].

ويرجع الفضل في تطور مفهوم الأيديولوجية إلى"كارل ماركس" الذي أراد من خلال توضيح مفهومها تعرية مجتمع السيطرة و الاستغلال فلم تعد « علما ولكنها نوع من" تشويه الوعي " الذي يخفي تناقضات المجتمع فيعيد النظام إنتاج ذاته »[2].

وواصل تلميذه "ألتوسير" التنظير لها مفسرا دورها « داخل الأساس الاقتصادي – نموذج البناء الفوقي– ويريد تجنب مذهب الرد والحتمية ويخرج من هذه الصعوبة بإثبات أن السؤال عن الأساس وعن البناء الفوقي يطرح من وجهة نظر إعادة إنتاج علاقات الإنتاج ويرى إعادة إنتاجهم بواسطة الأيديولوجية ، وحقق هذا من خلال استجواب الأفراد بوصفهم رعايا مطيعين للنظام ، ويكون من طبيعة الاستجواب كآلية أيديولوجية ، تكوين الرعايا بشكل جديد يرون خضوعهم للنظام كاختيار حر. ولذلك فإن الأيديولوجية لا تنتج معرفة صحيحة والطبقة العاملة لا يمكن أن تحرر ذاتها من الأيديولوجية البرجوازية فهي تحتاج إلى مساعدة خارجية من العلم ، فمن أجل تحول أيديولوجية الطبقة العاملة بتلقائية إلى التحرر من الأيديولوجية البرجوازية يكون من الضروري أن تسعى لمساعدة العلم »[3].

واعتبر "تودورف" الأيديولوجية بأنها « التعبير عن الأفكار السياسية أو الدينية »[4].

و الأيديولوجية عموما تأخذ منطلقات فكرية مختلفة وأهدافا متباينة، لذلك نجدها متعددة الأنماط « نمط سياسي، نمط اجتماعي، نمط معرفي، ونمط مشترك بين الأنماط المذكورة »[5].

وما يهمني أنا في دراستي هذه النمطين السياسي والاجتماعي على اعتبار أ ن السياسة المنتهجة في البلاد تؤثر إما سلبا أو إيجابا على توجه المجتمع.

---

[1]- جورج لارين : الأيديولوجية والهوية الثقافية ،(ت) : فريد حسن خليفة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، (ط1) ، (2002) ، ص (17).
[2] - المرجع نفسه : ص (17).
[3] - المرجع نفسه : ص(18-19).
[4] - تزفيتان تودورف : نقد النقد ،(ت) : سامي سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، (ط1)، (1986)، ص(106).
[5] - عبد الله العروي : مفهوم الأدلوجة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، (ط1)، (1986)، ص(16).

والحديث عن السياسة وقضاياها أمر صعب وعصي لأنها صارت اليوم علما مستقلا فهي في «العصر الحديث تتحكم في كل قضايا المجتمع وتوجهات الأفراد نظرا لتعقد أساليب الحياة، وتنوع طرق توزيع الثروة واختلاف الأيديولوجيات (العقائد)التي تحكم المجتمعات المعاصرة...بل ربما توجد أكثر من أيديولوجية في المجتمع الواحد ، كل ذلك جعل السياسة قضية جد خطيرة لدى الحاكم والحكومة والمحكومين خاصة في دول العالم الثالث ،وفي مقدمتها الأقطار العربية ذلك أن كثرة الاحتكاك وسرعة وسائل الاتصال بين البلدان المتقدمة في الميدان التكنولوجي والرقي الحضاري والاجتماعي والحكم الديمقراطي »[1]. الشيء الذي أدى إلى بروز أيديولوجيات اجتماعية منددة بالفساد والتعسف في توزيع الثروة بين مختلف شرائح المجتمع نتيجة ظهور الطبقية واحتدام الصراع لاختلاف الأيديولوجيات المفروضة فـ « المستوى الأيديولوجي في البنية الاجتماعية هو إمكان ظهور التناقضات الطبقية بأشكالها المختلفة للوعي الاجتماعي ، غير أن هذا الوعي ليس واحدا عند كل الأفراد ، فهو يختلف بشكل عام باختلاف انتماءاتهم الاجتماعية ، أي باختلاف وضعهم الطبقي داخل البنية الاجتماعية الواحدة والاختلاف في الوعي بين فرد وآخر ، لعلاقة الفرد بعالمه الاجتماعي ليس في جوهره اختلافا فرديا بل طبقيا ، بالرغم من وجود اختلافات في هذا الوعي بين أفراد طبقة اجتماعية واحدة » [2].

وتشكل الأفكار السياسية والاجتماعية جزءا مهما من« الرواية الاجتماعية والاقتصادية حتى أن المطابقة بين الجانب الروائي والتاريخي تصح في بعدها الشامل العام »[3]. فالسياسة لم تعد بالمفهوم « "التقليدي"الذي يجعلها قاصرة على الكفاح العسكري ضد العدو الخارجي أو النضال الفكري والجسدي مع أجهزة الحكم الداخلي ، وإنما أصبحت السياسة مسيطرة على حركة البشر ، ومتحكمة في معظم قضاياهم المصيرية ، فالسياسة صارت كل شيء في حياة الإنسان المعاصر ، وقد ترتب على هذا أن معظم الروايات أصبحت تحمل دلالات سياسية»[4] .كما أصبحت تحمل أيضا دلالات اجتماعية هادفة منطلقة من منظور أيديولوجي محدد مكونة بذلك البعد المعرفي للنص الروائي.

والأيديولوجية الروائية «مفهوم مشكل وغير بريء، وهي هنا ذلك النسق من الأفكار والآراء والمعتقدات...التي يبثها النص الروائي كذات، هي بقدر ما تكون مستقلة، فإنها مخلوقة من خالق معين هو مبدع النص .وهذا النسق هو قناع لانتماء طبقي، ولموقف في الصراع الطبقي... »[1].

---

[1] - طه وادي : الرواية السياسة ، دار النشر للجامعات العربية ، القاهرة ، مصر ، (ط1)، (1996)، ص (95-96).

[2] - مهدي عامل : مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في التحرر الوطني ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، (ط3)، (1980)،ص (29).

[3] - علال سنقوقة : إشكالية السلطة في الرواية العربية الجزائرية ،بحث لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بإشراف د/نور الدين السد ،معهد اللغة العربية وآدابها،جامعة الجزائر ، (1996-1997) ، ص (30).

[4] - طه وادي : الرواية السياسية ، ص (102-103).

[1] – نبيل سليمان : الواقع ،التخييل ، الأدلجة في الرواية العربية الحديثة ،الرواية العربية بين الواقع والأيديولوجية،دار الحوار،اللاذقية ، سورية، (ط1)، (1986)،ص(49).

لم تعد الرواية العربية انعكاسا للواقع فحسب ، بل اندرجت هي نفسها داخل الحقل الأيديولوجي باعتبارها فكرية في خضم الصراع الإنساني، كما أصبحت أيديولوجية الخطاب الروائي أيديولوجية « محايثة باطنية نابعة من بنيته الداخلية من ناحية وهي كذلك أيديولوجية وظيفية تتحقق بمدى ودلالة تأثيرها الموضوعي الخارجي من ناحية أخرى وهي أيديولوجية قصدية ، أي يقصدها الكاتب الروائي قصدا ، فقد يقصدها ولا تتحقق من وراء قصده ، أولا يحقق بقصده خطابا روائيا ، وهي ليست تعبيرا بالضرورة عن أيديولوجية الروائي نفسه ، بل قد تختلف عن الأيديولوجية التي يتبناها بمسلكه العلمي أو موقفه وموقعه الاجتماعي ، وهي ليست محدودة بهذه الفكرة أو تلك ، أو هذا الموقف أو ذاك لشخصية أو أكثر من شخصيات الخطاب الروائي ، إنها المضمون العام النابع من بنية الخطاب الروائي والدلالة المؤثرة لمجمل هذا الخطاب ...»[2].

إن الرواية باعتبارها عملا فنيا أدبيا لا تستطيع أن « تسمع صوتها بصوتها فقط ، فهي دائما كجزء من منظومة ثقافية،ومن حقل أيديولوجي تصل إلى القراء عبر النقد والتنظير و انعكاسات الإشكالية الفكرية»[3] .

وتعتبر فترة السبعينيات المرحلة الأكثر اهتماما بالأيديولوجية السياسية والاجتماعية في الرواية العربية ، حيث ظهر جيل جديد من الروائيين اتجه إلى «الإشادة بالنزعة الثورية التي كانت تشجعها الأيديولوجية العربية القومية المسيطرة ، إلى أن أحدثت الهزائم التاريخية للأمة العربية انشقاقا في الوعي العربي ، ونذكر هنا بصفة خاصة هزيمة حزيران (1967)التي حطمت ثقة المثقف العربي بأنظمته السياسية » [4]. فوضعت هذه الصدمة ميلادا جديدا للرواية العربية « لا كملحمة تستوعب الصعود البرجوازي ، كما في الغرب ، بل كصيغة مفتوحة على كل الأشكال ، تلاحق مشاهد السقوط المفجع وانهيار الوضوحات ويقينياتها ، والهوايات وأشلاءها ، والأزمنة المتداخلة المكتسبة لمعانيها في تخصيص الفضاءات »[5].فتحول الخطاب فيها إلى خطاب عن الديمقراطية والمطالبة بالحرية الفردية والجماعية وبالعدالة الاجتماعية. فكانت بذلك في معظم الروايات دعوة صريحة إلى إدانة كل « أساليب القهر السياسي من خلال تصويرها وإبرازها لواقع القمع والاضطهاد والتعذيب السياسي الذي يسيطر على الحياة السياسية العربية ، ويحد من حرية الإنسان العربي ، ويعتدي على حقوقه الإنسانية ويمنعه من تناول أمور وطنه بحرية وديمقراطية »[1].

---

[2] - محمود أمين العالم : ملاحظات نظرية حول الخطاب الروائي – الواقع – الأيديولوجية ،المرجع نفسه ، ص(16).
[3] - محمد برادة : الرواية العربية واقع وآفاق ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، (ط1)، (1981)، ص (9).
[4] - عصام محفوظ : الرواية العربية الطليعة والشاهدة ، دار ابن خلدون ، بيروت ، لبنان ، (ط1)، (1980)، ص (17).
[5] - محمد برادة : الرواية العربية واقع وآفاق ، ص(177).
[1] - أحمد محمد عطية : الرواية السياسية العربية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، (ط1)، (1981)، ص (17).

وخير من مثل هذه الفترة "نجيب محفوظ" الذي عبر في رواياته عن وعي الذات العربية ، وانغرس في هموم الطبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة لينقل لنا أدق التطورات التي رافقت هذه الطبقة .و"غسان كنفاني" في تجربته الرائدة ذات الرؤية الثورية والحدود الواقعية التي استطاع من خلالها الوصول إلى التقاط لحظة الانغراس في الوسط الجماهيري بكل مأساويتها وفرحها.و "حليم بركات وجبرا إبراهيم جبرا" بإسقاطهما للتغيير الاجتماعي،وهذا برصدهما لثقافة الغربة للطبقات الاجتماعية .كما حاول"توفيق يوسف عواد" تسجيل الأثر المباشر للهزيمة على الواقع اللبناني .وصاغ "أمين شنار وتيسير سبول" حلمهما الأدبي في ظل دماء الحرب الساخنة . وفي استدارة المصالحة تظهر المعاناة الحقيقية لأبطال "حنا مينة" في دعوته إلى تغيير الواقع الاجتماعي بالثورة.ومحاولة "إسماعيل فهد إسماعيل" إقامة دائرة كاملة يتنفس في داخلها أفق الواقع عبر الاندماج في الحزب الثوري،بالإضافة إلى هذا كله ظهرت نزعة تدمير العالم في روايات "فاضل الغداري وعبد الرحمن منيف" محاولين فيها الوصول إلى أفق مفتوح [2].

أما في المغرب العربي فقد اتسمت المرحلة التاريخية لما بعد الاستقلال بـ« الحماسة والمسؤولية، وخلال مرحلة الوعي هذه نجد:

على المستوى المادي: تغيير الطبقة المهيمنة بتونس والجزائر .

على المستوى الثقافي:يلعب الكتاب دورا هامشيا،حيث يظهر الروائي من خلاله كمصور للانتصارات على الاستعمار،مقويا بذلك أيديولوجية الطبقة البرجوازية باسم وطنية مبالغ فيها»[3].

ولا أحد ينكر ويتنكر لعدم التوتر والاستقرار بهذه المنطقة وخاصة في المرحلة الممتدة بين « (1960-1974)... إذا كان ذلك من طرف المثقفين أو غيرهم ، وقبل هاته المرحلة كنا نتحدث عن "المسعدي" بتونس ، و"رضا حوحو" بالجزائر ، و"عبد الحميد بن جلون"بالمغرب. ويضع الثلاثة خطوط السبيل الروائي لما قبل (1960) ، ولكن نشاط هذا النوع لا يأخذ مجراه الطبيعي إلا انطلاقا من هذا التاريخ لا قبله»[4].

إن فكرة العمل على مستوى أقطار المغرب العربي إنما « جاءت نتيجة إدراك لهذا التمييز الذي لا يقف أمام التشابه وتقابل الصور وأفكار وبنيات الإلهام الروائي »[5].

وإنه لمن البديهي أن يصور الحديث الروائي في المغرب العربي « البنيات الاجتماعية وهذا لا يعني أنه يمثل غير مرآة عاكسة،بل إنه وعي ممكن أن ينفتح على المستقبل »[1].كما يبني آفاقه،

---

[2] - ينظر إلياس خوري : تجربة البحث عن أفق ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، لبنان ، (دط)، (1974).، ص (13-14).

[3] - سعيد علوش: الرواية والأيديولوجية في المغرب العربي ، دار الكلمة للنشر ، بيروت ، لبنان ، (ط1)، (1981)، ص (9).

[4] – المرجع نفسه : ص (10)..

[5] - المرجع نفسه : ص (11).

[1] - سعيد علوش: الرواية والأيديولوجية في المغرب العربي، ص(15).

ويظهر ذلك تحت ظاهرتين : « الواحدة تأرخة روائية والثانية ترجمة ذاتية .والظاهرتان تعملان ضمنيا بالرواية كمحركين طبيعيين لها .والأول هوية والثاني فردية ، لا الواحدة ولا الأخرى وقع عليهما الاختيار في حد ذاتهما لأن مرحلة الاستقلال كانت مرحلة حاسمة حيث كل جماعة اجتماعية تكشف عن القناع الذي ناضلت تحته .

وكتاب الشكل التاريخي يسجلون انتصارات الاستقلال ملحين على التاريخ كتأكيد للهوية الوطنية.

بالنسبة لشكل الترجمة الذاتية ، فإنها تتجه نحو تنديد ضمني بخيانة القضية الاجتماعية بعد الاستقلال متهمة البرجوازية بإعطاء القيم الاجتماعية صبغة فردية »[2].

والرواية كقيمة اجتماعية نقلت الصحيح والخاطئ بعصره ، إذ عكست حالة الأزمة بمجتمع المغرب العربي ، فالروائي لم يقدم ألبوما للصور ولا دروسا فحسب، بل بث أيديولوجيته ، نظرات رؤية ، مما يتصل بالعلاقات الإنسانية ، بالإنسان ومحيطه الاجتماعي والطبيعي أيضا بالتاريخ .وهذا الذي بثه الروائي ليس إلهاما ، ولا ذاتية خالصة ، إنه نتاج فردي اجتماعي معين ، وهذا الاعتبار لا يقلل من أهمية استقلالية النص و موضوعيته و إنما يسر هذا الاعتبار تشخيص وعي النص ومبدعه وصولا إلى الوعي الجمعي [3].

والرواية باعتبارها وسيلة إخبارية فنية معبرة عن اللحظة التاريخية الاستعمارية فإنه« لم يعد لها نفس الدوافع الأولى بعد التغيير الطارئ على هاته اللحظة التاريخية ، وعلى البنيات الاجتماعية بعد الاستقلال »[4].إذ سعى الروائيون إلى ملامسة الواقع– واقع الاستقلال –وهذا بتعرية المجتمع وفضح مساوئ السلطة، محاولين في ذلك رسم خطط التنمية انطلاقا من قناعتهم الفكرية.

والرواية الجزائرية باعتبارها جزء ا من الرواية المغاربية سجلت في فترة السبعينيات « شجاعة في طروحاتها ومغامراتها الفنية .لأن الكاتب أصبح ينطلق من رؤية تعبيرية متحررة لا يردعها الواقع السياسي الاستعماري الذي كان قائما باعتبار أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية والانفتاح ، فالقمع و الاضطهاد قد يدفع بالكاتب إلى اختيار مواقف ما كان ليختارها لو أن الإطار السياسي كان مختلفا »[5].

ولما كان الوضع مخالفا لذلك فإن الرواية في هذه الفترة اتجهت بوعي إلى التعبير عن« روح الشعب الجزائري وتوغلت إلى فضاءاته الاجتماعية الأكثر عمقا واتساعا بلغة هادئة تخلو من الانفعال والتبجحات البطولية الغارقة في الوهم»[1].

---

[2] – المرجع نفسه : ص(19).

[3] - ينظر نبيل سليمان : وعي الذات والعالم ، دراسات في الرواية العربية ، دار الحوار ، بيروت ، لبنان ، (ط1)، (1985)، ص(11).

[4] - سعيد علوش : الرواية والأيديولوجية في المغرب العربي ، ص(18).

[5] - إدريس بودیبة : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص(41).

[1] – إدريس بودیبة : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص(41).

ومن الشائع عن الرواية الجزائرية في تلك الفترة –فترة الحزب الواحد –أنها كانت «تتسم بهيمنة الطابع الأيديولوجي. المقصود بذلك أن استراتيجية الروائيين الجزائريين لم تكن تتوقف عند حدود تقديم مادة جمالية تعتمد على السرد ، بل كانوا يعتقدون أنها الطريق الصحيح إلى تغيير المجتمع وإلى تقدمه وحل تناقضاته»[2]. فكانوا بذلك يمثلون أيديولوجية أبناء عصرهم أي أنهم «كانوا متشبعين بدرجات متفاوتة بقيم الفكر الاشتراكي ، فقد كانت المرحلة متميزة بطابع الصراع الأيديولوجي بين الاشتراكية والليبرالية»[3].

وإن ظهرت "ريح الجنوب" كعمل أول في تأسيس الأيديولوجية الاشتراكية ، فإن الأعمال الروائية المبكرة لـ"الطاهر وطار" أكدت هذا التوجه ، إذ خَطَا بها خُطًا متقدمة من حيث المعالجة المتطورة بجمع ملامح سلوك واقع الثورة الجزائرية ، وواقع ما بعد الاستقلال سياسيا وثقافيا واجتماعيا. فما من أحد « يقرأ روايتي"اللاز و الزلزال" إلا ويحس أن صاحبهما ينطلق من رؤية أيديولوجية واضحة ، رؤية الاشتراكية العلمية ، والشيوعية العالمية التي تنادي بوحدة الحركة العمالية في العالم . وما وجود شيوعيين أجانب في نفس المكان ، وبنفس الحكم الذي سقط به"زيدان" ضحية مبادئه وموقفه الشيوعي النضالي المتصلب إلا أحد الدلائل على تفرد "وطار" بهذا الموقف الأيديولوجي . وحتى في روايته"الزلزال" التي يعالج فيها موضوعا اجتماعيا جزائريا صميما ، تذكر الشيوعية والموقف الشيوعي بديلين للإقطاعية والبرجوازية والمواقف الليبرالية المتخاذلة»[4].

وعموما فإن معظم الإصدارات الروائية التي ظهرت طيلة فترة حكم الحزب الواحد كانت تتبنى الأيديولوجية الاشتراكية في طروحاتها تماشيا مع توجه الدولة.

أما الفترة التي نعيشها حاليا والمتميزة « بظهور التعددية الحزبية ، من ضمنها قوى سياسية تستمد أيديولوجيتها من الدين ، وبالشروع في التحول من اقتصاد الدولة إلى اقتصاد السوق وباستفحال الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ثم الأمنية ، من الطبيعي أن تحدث هذه التغييرات أثرا عميقا في وعي الكاتب وفي عاطفته وإدراكه للواقع والعالم ، وأن يتعامل معها على صعيد نصه السردي وفق خصوصياته.وعلى المستوى الأيديولوجي أدى ظهور تيارات تعتمد استراتيجيتها السياسية على توظيف الدين إلى بروز أيديولوجية مضادة ، يمكن نعتها بالحداثية تقوم في أحد جوانبها الرئيسية على رفض التوظيف السياسي للدين.و الحداثية التي يمكن القول بأنها حلت في الجزائر محل الأيديولوجية الاشتراكية يمكن قراءتها في صورتها السردية خصوصا في نصوص "واسيني الأعرج" الأخيرة مثل "سيدة

---

[2] - إبراهيم سعدي : الجزائر كنص سردي ، أعمال و بحوث كتاب الملتقى الرابع عبد الحميد بن هدوقة ، ص (107).
[3] - المرجع نفسه :ص (108).
[4]- محمد مصايف : الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية و الالتزام ، ص(3).

المقام،ومرآة الضرير" ،وكذلك عند "جيلالي خلاص" لا سيما في "الحب في المناطق المحرمة" ، وفي رواية "الانزلاق" للروائي الناشئ "حميد عبد القادر"»[1].

وهذه الحداثية البارزة في الأعمال الروائية الحالية لا تعبر في كل الأحوال عن نفسها داخل النص السردي في صورة إشكالية سياسية محددة ، وهذا ما نلحظه على سبيل المثال في « رواية "البق والقرصان"لـ"عمارة لخوص" التي تتجلى فيها تخلص اللغة من الممنوعات المرتبطة بالجنس ، كما أن "رواية المتاهات" لـ "حميدة العياشي" في تصويرها للإرهاب لا يحيل بالضرورة إلى خلفية أيديولوجية معادية للإسلاموية.وما نجده أيضا في "الشمعة والدهاليز" لـ"الطاهر وطار" التي نحا فيها نحو نوع من الإسلاموية اليسارية.وإلى جانب هاته الروايات نلحظ في بعضها الآخر ضعفا أيديولوجيا ارتبط بالتغييرات الطارئة على المستوى المحلي والعالمي مثلما هو الشأن في"ذلك الحنيين" لـ"الحبيب السايح" التي استغرق فيها نوعا من النوستالجيا وفي لذة اللغة ، و"مرزاق بقطاش" في "خويا دحمان" حيث السارد ينغمس في التاريخ ، أو "بشير مفتي" في محاولته تأسيس الرواية الرومانسية في "المراسيم والجنائز"»[2].

عموما تبدو الأيديولوجية في النصوص الروائية المعاصرة أكثر تعقيدا مما كانت عليه من قبل وهذا بسبب اختلاف الرؤى والتوجهات الفكرية نتيجة تمزق الحزب الواحد.

2- البعد الأيديولوجي و الاجتماعي في رواية "زمن النمرود":

تعد رواية "زمن النمرود" منعطفا حقيقيا في مجال الكتابة الروائية في الثمانينيات سواء من حيث تمردها على اللغة العربية وطغيان العامية فيها وذلك قصد مخاطبة العامة من الناس، أو من حيث جرأتها الصريحة في تناول وضع البلاد الاجتماعي ، والاقتصادي والسياسي ،وهذا لكون مؤلفها من الروائيين الذين تأثروا بالوضع العام للبلاد في تلك الفترة وعايشوه بسلبياته وإيجابياته،فكانت روايته هذه صورة لذلك الواقع المليء بالتناقضات ، وهذا ما يفسر هيمنة الجانب الأيديولوجي عليها والذي يمكن عرضه على الشكل الأتي :

أ- أيديولوجية الاستعمار:

تشكل الثورة جزءا هاما من الإنتاج الروائي الجزائري بداية من مطلع السبعينيات حيث ظلت المرجعية الفنية والأيديولوجية لكل روائي.

والرواية التي أدرسها على الرغم من أنها تحكي وقائع حقبة زمنية محددة لجزائر الاستقلال ، إلا أنها لم تخل من الإشارة إلى الاستعمار وأيامه المرة ، ولعل هذا الطرح يؤكد لنا بأن الجزائريين لم ينعموا بعد بكامل استقلالهم ، فجاء الحديث عن الاستعمار وسياسته لتوضيح ذلك، وهذا يعود إلى رؤية "

---

[1] - إبراهيم سعدي :الجزائر كنص سردي ، أعمال وبحوث كتاب الملتقى الرابع عبد الحميد بن هدوقة ، ص (108).

[2] - المرجع نفسه : ص(109).

الحبيب السايح " بضرورة مواصلة الكفاح من أجل تنظيف خارطة البلاد السياسية وإعادة مسارها إلى ما اتفق حوله قبل وأثناء الاستقلال .

و برزت أيديولوجية الاستعمار في "زمن النمرود" عبر مقاطع متفرقة ظهرت فيها مسألة تزييف هوية الشعب عن طريق محاربة الإسلام واللغة العربية وتزوير الحقيقة التاريخية المرتبطة بالوطن والإعلاء من شأن المستعمر،فاستخدم الروائي لإبراز ذلك بعض الومضات الاستذكارية على لسان أبطال روايته،فهذا "يزيد"منسق القسمة يحدثنا عن صديق والده "المستاتور" الذي « كان يعرف "ابن باديس" ويقول عليه : إذا بغيتم الخير يعم والزوايا تكثر وفرنسا تعمر، حاربوا معنا "ابن باديس" جميع علمه كفر. في (1936) تحالف مع ذرية النمرود وقادر يتحالف مع الشيطان. قرأنا في التوراة والإنجيل ، وقرأتم في قرآنكم و"سيدي خليل".. ما وجدنا ..ما ينادي به.ابن باديس خارج إرادة الرب وإرادتنا من إرادة الرب . و إرادة الرب لا تقهر»[1].

وهذا القول التقريري يوضح جانبا مهما من أيديولوجية الاستعمار، الذي سعى إلى تجهيل الجزائريين حتى يتسنى له كبح كل مقاومة ، فيصبح تواجده بالجزائر أمرا حتميا، فلا مجال إطلاقا لمحاربة ما هو قضاء وقدر، وعلى الجزائريين أن ينصاعوا إلى ما يمليه عليهم،وأن يتجهوا إلى الزوايا التي أسسها لهم أشخاص هم من أتباعه،مستغلا في ذلك تخلفهم ليزيدهم تخلفا أكثر مما هم عليه.فمهمته بالدرجة الأولى كانت تحطيم الإنسان الجزائري وخنقه بقيود الأمية،وزرع الخرافات في ذهنه.وهذه الصورة تبرز لنا ذلك«الحاج "بوعلام"و"الأغا" يومها تصالحوا.مع" المستاتور" و"الشيخ المقدم" تغدوا في مقصورة الزاوية.الزردة ظلت وباتت حتى الصباح .. عشرة مجامر زاهرة لا هبة أكلها الزهاد. المجدوب – صاحب الحمامة الزرقاء –. في الليل بات يدور.حمامته على كتفه.كان كلما دخل مقبرة القبور تنفتح ويخرج منها الموتى .نساء . رجال. أطفال أجسادهم عارية بلا عورات.جميع موتى المقابر المجاورة كانوا وراءه يمشون...الناس ما عرفت ما قال– صاحب الحمامة الزرقاء– للموتى ليلتها.. الدنيا في الصباح جرت للوادي .وجدوا آثار أقدام حافية...الشيخ قال:هذا "ابن باديس" أرسل شياطينه .أمر كل الحضار والخدام بالزهدة " المستاتور" طرب وبارك للشيخ .قال له:العام القادم ما يبقى جياع ، ولا يجيء هم ..» [1].

ولم يكن الاستعمار يسعى إلى تزييف الوعي الشعبي فقط ، بل تعداه إلى سلب الأراضي من أصحابها الشرعيين ، وجعلهم عبيدا فيها يخدمونها لصالحه .وهذا "الحاج الحرايري" يخبرنا عن أحد

---

[1] - الرواية : ص (46).

[1] - الرواية : ص (47).

الملاكين الاستعماريين الكبار الملقب بـ"مارولي" قائلا عنه: « هذه الأراضي من هنا لسعيدة ،ومن هنا حتى "بالول"! كانت كلها له، بالطيارة كان يسيرها... العرب كانت تخدم من الفجر للمغرب»[2].

كما برزت أيديولوجية الاستعمار في سياسة الاعتقال ، والتعذيب اللاإنساني لكل من يحلم ويؤمن بحرية وطنه الجزائر ،وهذا المجاهد"المسعودي" يصف لكاتب القسمة "ولد ربيعة" سجن"بوشقيف"عندما ألقي عليه القبض من طرف قوات الاحتلال في معركة تسمى"تامسنة" قائلا له :« الله لا يريك سجن" بوشقيف"زنزانته كنا ندخلها عرايا مرات نبقى فيها الليل والنهار.لا شراب ، لا أكل ، كان الاستعمار يبغي أن نقروا أن نرتد.كاين من ارتد.ولكن الأغلبية صمدت.

كنا عندما نصطف في ساحة السجن– نسلم على بعضنا بعيوننا فقط–. وكان في السجن" حركي" اسمه" جدلابو" يأتينا ويختار أقوانا ويضربه على قلبه حتى يسقط .وإذا تكلم.. ذاك نهاره –كانت الكلاب تحرسنا.تشمنا بالواحد .إذا تحرك واحد نهشه...»[3].

بالإضافة إلى هذا فالرواية لم تخل من وصف الحرب الجهنمية التي خاضها الاستعمار ضد أبناء الشعب الجزائري والتي استخدم فيها وسائل حربية متطورة قصد إبادة كل الأحرار الذين آمنوا بحرية وطنهم والخلاص من نير العبودية .فجاء ذكر بعض المعارك وما حدث فيها للتدليل على ذلك فـ"المسعودي" الذي عايش وقائع الثورة وشارك فيها يحكي لنا بعض وقائعها قائلا : « في معركة "اللبة" جرحت واستشهد عشرة – الله يرحمهم –... الصباح على الخامسة بدأت المعركة.. أنا على الحادية عشرة بالتقريب غبت على الدنيا . جراحي كانت خطيرة .سمعت من بعد . قالوا : المعركة استمرت حتى الرابعة بعد الظهر ..كنا محاصرين من عدة مواقع .من "تامسنة" من "تيسرين " من "بالول" من "تاقدورة" وصلت نجدات من "السبايس" إلى العسكر جاءت من " سعيدة " ومركز " مارولي " طياراتهم الصفراء ظلت فوق رؤوسنا ....في المعركة استشهد عشرون مجاهدا ، الله يرحم الشهداء»[4].

وعموما فقد شكل العنف في الرواية الأداة الأساسية التي بنى عليها الاستعمار خطابه الأيديولوجي ، واستعمل القوة المادية لتحطيم الجسد وإعاقة مسار التحرر .كما كانت صورته مرادفة للتخلف والتهميش والدمار والتخريب .

ب– أيديولوجية "ذرية الذئاب":

يتبنى أفراد " ذرية الذئاب التوجه الرأسمالي المناقض تماما للمسار الاجتماعي والسياسي للدولة الجزائرية آنذاك. فهم يخونون وطنهم مقابل مصالح زائلة انطلاقا من شرعية اكتسبوها بنية غير وطنية. وهذه الصورة التي تصف لنا "الحاج عون الله" لدليل قاطع على صحة ما أقوله « الاستقلال جاء به

---

[2] - الرواية : ص (69).
[3] - الرواية : ص (95).
[4] - الرواية : ص(94- 95).

الأحرار، أنت سبقت الدنيا بنت الكلب..أكتافك أعراض ، مسؤول سياسي عيونك في مدينتنا دخلتها بالعباية – كما دخلت تونس – والسبحة والخطبة ، بعد سنة ، سنتين طولت رجليك .قلبتها " كوستيمات" ومن بعد .رفعت العصا .وكملتها بالكذب»[1].

وتواجد هذه الفئة داخل أجهزة الحزب المختلفة لا يكمن في كونه أداة للممارسة السياسية فحسب ، وإنما في كونه «جهازا ، أي في تبعيته لجهاز الدولة ، لا في استقلاله عنه ، لأن دوره في خدمة الممارسة السياسية لفئة من فئات الطبقة المسيطرة، أي في خدمة وصول هذه الفئة إلى الهيمنة تنطلق من وجود السيطرة الطبقية لهذه الطبقة ، ومن ضرورة الحفاظ عليها ، لا من ضرورة التحرر منها ، كما هو الحال بالنسبة للحزب الثوري فقوة السيطرة إذن في الطبقة المسيطرة ليست في أحزابها .بل في استخدامها جهاز الدولة كأداة أسياسية في ممارستها السياسية للصراع الطبقي لأن أحزابها تستمد قوتها من تبعيتها لجهاز الدولة ، أي من كونها أداة لهذه الأداة »[2].

لذلك فإن "الحاج عون الله" الذي يمثل رأس هذا التيار لم يتوان في تنصيب من يؤيدونه في الفكر في سبيل المحافظة على مصالحه وحمايتها بواسطتهم « تعرف جميع الموالين الكبار. يحكمون بأحكامهم.نصبت بعضهم مسؤولين قي القسمات والبلديات .أعطيتهم مراكز السلطة والجاه.هم أعطوك الصوف والزبدة والعسل.الزربيات والدعاية لك من عندهم زيادة»[3]. لأنهم اكتسبوا من وراء تنصيبهم هذا أموالا كثيرة ف "الحاج الحرايري" صار مصدر ثروته متعددا إذ « القهوة في وهران تخدم ، و الأرض في الحساسنة تدخل و المسؤولية في المنظمة تزيد وما يدخل من هنا وهناك بلا حساب ... »[4].

والشيء نفسه يمكن أن يقال على منسق القسمة "يزيد" الذي جنى ثمار تنصيبه لابن عمه "الحاج المزرقط" على كرسي البلدية . وحتى رئيسة الاتحاد النسائي "أم الشيخ" استغلت هي الأخرى منصبها و عملت على إثراء نفسها باكتنازها كمية كبيرة من الذهب ،فهي بذلك لم تخرج عن القاعدة النسائية المتعارف عليها داخل مجتمعنا المتمثلة في ثراء المرأة من خلال ملكيتها للحلي .

كما سعت "ذرية الذئاب" من خلال تواجدها على هرم السلطة إلى انتزاع الأراضي المؤممة من الفلاحين ، فعلى حد تعبير "يزيد" «الأرض بالمسؤولية و المسؤولية بالأرض »[1]، فهما شيئان متلازمان . ولعل هذا الفكر و التوجه الإقطاعي نابع أصلا من كونهم ينبذون الاشتراكية ، و لكونهم أيضا متأثرين بالإقطاعيين الكولونياليين ،فهم لم يتأخروا في مدحهم . و يظهر ذلك في الحوار الذي دار بين "الحاج الحرايري" و سائقه حول ما كانت تسمى مزرعة "مارولي" ، إذ عمل "الحاج الحرايري" على الإعلاء من

---

[1] - الرواية : ص(62-63).
[2] - مهدي عامل : مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في التحرر الوطني،ص (69).
[3] - الرواية: ص (63).
[4] - الرواية : ص (33) .
[1] - الرواية : ص (49) .

شأن مالكها عندما استرسل في الحديث عنه و عن مزرعته «هذه الأراضي من هنا لسعيدة ، ومن هنا حتى "بالول" كانت كلها له بالطيارة .كان يسيرها . هذه الأراضي لما كانت ملكه كانت تخرج الذهب .. العرب كانت تخدم من الفجر للمغرب، و الآن شف و تعجب »[2]. آملا في ذلك أن تعرضها الحكومة للبيع حتى يتسنى له و لأتباعه الاستفادة منها و هذا لكونه يؤمن بأن « الاشتراكية عند العرب و الله ما تتحقق »[3].لذلك نجده يعمل رفقة أتباعه على فساد تفاح التعاونية الفلاحية حتى يتخلى الفلاحون عن خدمتها « أيها الإخوة كلمتي قصيرة جئت من "سعيدة " و الطريق بينها و بين "بالول" معروفة ،تعبت . مشاكلكم كلها أعرفها، مشكل التفاح أعرفه،مشكل الصناديق أعرفه. نحن مسوؤلون تحملنا مسؤوليتها.و في كل مرة نأخذ القرارات اللازمة . كلمتي قصيرة أطلب منكم تقديم تقرير مفصل للأخ "يزيد" منسق القسمة ، وهو يبعث إلينا و نحن ندرسه . إذا لزم الأمر نبعث به إلى المنظمة والوزارة.اكتبوا. اكتبوا. نحن على مستوى الولاية ندرس جميع المشاكل..»[4]. فهمه الوحيد جمع الأموال من الفلاحين البسطاء عن طريق دفع الاشتراكات .

ولم تتوقف سياسة "ذرية الذئاب" في عرقلة بيع محصول التعاونيات الفلاحية، بل تعدتها إلى استنزاف خيراتها لصالحهم ، فهذا "التامدي" رئيس إحدى التعاونيات يبيع محصولها لصالحه خفية « "سي التامدي" في الصيف الماضي كان جلب شاحنة من الدلاع بلا فاتورة باسمه ، و باعه في حانوت التعاونية باسم التعاونية و الدراهم رجعت له »[5].

ولكي لا تنكشف مؤامراتهم إزاء الفلاحين البسطاء سعوا إلى تغليط الرأي العام حول النقابة الممثلة لهم بأنها سليلة الشيوعية ،هدف أصحابها تشويش أفكار الفلاحين لا غير فهي في نظرهم « ما أعطت و لا تعطي الخبز ، كلام فارغ "بوليتيك .. الدنيا هذه كلها مبنية على الحيلة ويح صاحب النية . إما تكون الثعلب، و إما تكون الدجاجة.. النقابة ما أوصى بها ربي ولا النبي، و لا الجدود، النقابة هي الشيوعية "»[1].

ولم تتوقف سياسة محاربة النقابة داخل التعاونيات الفلاحية بل تعدتها إلى المصانع ،وهذا خوفا من انتشار الأفكار المعادية لهم خاصة و أنهم مقبلون على الانتخابات .

ولم يكن هدفهم من وراء محاربة النقابيين الفوز في الانتخابات فحسب بل تجاوزوه إلى العمل على السير في خوصصة المصانع ، و يتجلى ذلك في تعاونهم مع المؤسسات الأجنبية الخاصة في تسيير شؤونها ، ومنع أي تدخل من العمال المحليين و بذلك عدم إعطائهم أية فرصة للتمكن من

---

[2] - الرواية : ص (69) .
[3] - الرواية : ص (73) .
[4] - الرواية : ص (82) .
[5] - الرواية : ص (138) .
[1] - الرواية : ص (31) .

اكتساب تقنيات تسيير الآلات الحديثة و إظهارهم بمظهر الإنسان العاجز أمام التكنولوجيا المتطورة « شركة أجنبية متعددة الجنسيات لا نراقبها تنشط كما تشاء . ومتى شاءت . عملاؤها وجدوا الجو الفارغ . ناوروا.وناوروا . أخروا الإنجاز. ارتفعت التكاليف ، الملايير. من المسؤول ؟؟ شركة في بلدنا تمنع من اكتساب الخبرة عملاؤها يمنعون العمال من دخول مراكز الوحدات . و مراكز الأمن.. من المسؤول عن تخريب البساط المتحركة ؟؟ العمال ..؟؟ لا ثمانية من عمال الشركة الأجنبية أثبتت إدانتهم »[2].

ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل راحوا يستغلون المصانع لإنتاج أشياء أخرى تعود عليهم بأرباح أكثر ، وهو ما حدث بالفعل في مصنع الورق .

إن هذا التيار في مجمله لا يهمه سوى مصالحه الخاصة فـ « الشعب و الحزب و الثورة و المسؤولية في حسابه زايد ناقص . تحرق الجزائر ؟ تخرب ؟ يحتلها الأعداء ؟ ما يهمه. يا أم الفقراء على مصالحه قادر يبيعك للشيطان »[3].

ولاستمرارية ثرائهم و بسط نفوذهم سعوا إلى تقديم "يزيد" على رأس سلطة القسمة خوفا من ضياع مصالحهم ، ومن محاسبة أعدائهم لهم « ما نفرط في مصالحنا عدونا ما يرحمنا »[4]. وهو ما يفسر وجودهم داخل أزمة اقتصادية و سياسية و أيديولوجية سببها الممارسة السياسة للطبقة النقيض،الشيء الذي أدى بهم إلى التفكير في تزوير الانتخابات « قولوا لي : كيف نقضي على "أولاد إبراهيم" في هذه الانتخابات ؟؟و بعدها تسهل علينا انتخابات المجلس الوطني.

الله يلعن من فكر في قانون الانتخابات ..

اللعنة وحدها ما تكفي. أنا علي المال و الوعد.. أنتم عليكم تجديد مسؤوليتي في القسمة »[1]. ولعل هذه الصورة توضح وجود هذه الطبقة داخل أزمة سياسية حادة فإذا ما «.. طبقت الديمقراطية كما تسمى كانت المصيبة ..»[2].

إن أزمة "ذرية الذئاب" المسيطرة تتحدد « داخل الحقل السياسي للصراع الطبقي بتغيير في علاقة السيطرة بين الممارسة السياسية لهذه الطبقة و الممارسة السياسية للطبقة النقيض ،أي للطبقة العاملة، أو التحالف الطبقي الثوري بقيادة الطبقة العاملة...»[3]. فبمجرد انكشاف أمرهم أمام الرأي العام بتزوير الانتخابات و محاولة منهم احتواء الأزمة لجأوا مباشرة إلى التضحية بمن رشحوه لقيادة القسمة – يزيد– حفاظا على مصالحهم .

---

[2] - الرواية : ص (167) .
[3] - الرواية : ص (71) .
[4] - الرواية : ص (141) .
[1] - الرواية : ص (141) .
[2] - الرواية : ص (140) .
[3] - مهدي عامل: مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني، ص (105).

وأخيرا إن ما يمكن قوله حول "ذرية الذئاب"، أنهم تدرجوا من الإقطاعية إلى الليبرالية الحديثة معتمدين في ذلك على تواجدهم بمختلف أجهزة الحزب الحاكم، ساعين بذلك إلى تحقيق مصالحهم الأحادية الطرف. فلم يعبروا عن طموحات و آمال الشعب الذي يعمل على تحسين ظروفه الاجتماعية بالتخلص من الاستغلال و العبودية .

جـ- أيديولوجية "ذرية النمرود":

تمثل "ذرية النمرود" في الرواية الفئة التي حرمت من نعيم الاستقلال على الرغم من مساهمتها الفعالة في دحر الاستعمار و نيتها الخالصة في بناء هذا الوطن.

وعلى الرغم من اشتراكها في هدف واحد تمثل في محاربة المفسدين من أذناب الاستعمار و الاستغلاليين و الانتهازيين الذين يحاولون فرض الرأسمالية كبديل لما اتفق عليه في بيان أول نوفمبر (1954) الداعي إلى العدالة والمساواة و استغلال خيرات الوطن لصالح كافة أبناء الشعب الجزائري. إلا أن رؤاهم الأيديولوجية داخل الرواية متباينة إلى حد بعيد ، فهناك من دعا إلى إرساء قواعد الاشتراكية كنظام سياسي و اقتصادي و اجتماعي باعتباره يمثل التوجه السليم لبناء الدولة ، و توزيع الثروة توزيعا عادلا بين أبنائها. و هناك من خالف هذا الاتجاه وذلك بدعوته إلى تطبيق الشريعة الإسلامية كحل جذري للأزمة الوطنية باعتبار أن الشعب الجزائري مسلم. وعلى هذا الأساس قمت بتقسيم أيديولوجية "ذرية النمرود" إلى أيديولوجية اشتراكية وإلى اتجاه ديني .

أولا-الأيديولوجية الاشتراكية:

حدثت الثورة الجزائرية نتيجة صراع تاريخي طويل مع الاستعمار ، و كان الفلاحون وقود كل الانتفاضات ، كما كانوا وقود الثورة المسلحة.

لقد فرض « الفلاحون رغبتهم بالاستيلاء على أراضي المعمرين" الكولون" فور تحقيق الاستقلال ، وهو ما سمي بالتسيير الذاتي ، و جاءت الثورة الزراعية في مرحلة السبعينيات نتيجة استمرار الفلاحين و طموحهم إلى فرض العدالة الاجتماعية و القضاء على استغلال الإنسان للإنسان »[1].

إن الفلاح الجزائري لم يعد يرضى في هذه المرحلة أن تهان كرامته و ثورته ، و لم يعد يتقبل أي شكل من أشكال الاستغلال و حياة التهميش و الانعزال و التخلف و الجهل ، و ذلك مرده في نظري إلى أنه ذاق مرارة القمع الوحشي الاستعماري من التعذيب إلى التجويع إلى السجن. وهو في كل هذا يستند إلى تاريخ مدرسة الحياة اليومية التي علمته بأن أفضل علاج للعبودية هو الثورة التي تصنع له حريته و تحقق له إنسانيته.

[1] - عبد الله بن قرين : النقد الأدبي الحديث في الجزائر ، ص (96).

و الثورة الزراعية بتأميمها لملكيات كبار الإقطاعيين ، كانت « فصلا جذريا في تاريخ نضال الفلاحين الجزائريين ، إذ اختفت العبودية الإقطاعية في مجال الزراعة ،وهذا لم يكن إلا بعد تجنيد وطني للقوى المؤمنة بالحرية ونبذ العبودية وزوال استغلال الإنسان للإنسان الذي لن يتحقق إلا بفرض نظام اشتراكي علمي تحت راية جبهة التحرير الوطني »[2].

و كانت القوى الفلاحية و العمالية في كل الانتفاضات ، وفي الثورة المسلحة وقود النضال من أجل التحرر الوطني بقيادة "جبهة التحرير الوطني" . فهي القوى التقدمية و الطلائعية التي صنعت التاريخ الحديث للجزائر بقيادة المناضلين الثوريين و المثقفين العضويين ، و كل الوطنيين المخلصين لوطنهم في إطار تنظيم أيديولوجي موحد عرف بـ "جبهة التحرير الوطني" وهو مفجر ثورة نوفمبر الخالدة التي دامت أكثر من سبع سنوات صمودا و تحديا للاستعمار الفرنسي الذي كان أعلى أشكال الامبريالية آنذاك .

و استطاعت هذه الثورة أن تحرر الأرض من الكولون و الإنسان من العبودية الاستعمارية و الاقتصاد الوطني من السيطرة الامبريالية. و« كانت سنوات الحرب درسا عظيما ترسخ في ذات كل جزائري فجعله يرفض أن يرى نفسه مرة أخرى عرضة للاستعمار الامبريالي بشتى أنواعه وكل أساليبه اللاإنسانية .وخلق فيه الطموح إلى الحرية والعدل و الاشتراكية.
لقد تثبت الاختيار الاشتراكي نظاما ومنهجا لتوجه الحكم في الجزائر بعد الاستقلال. وهذا ما نصت عليه كل المواثيق الرسمية للدولة الفتية بقيادة جبهة التحرير الوطني »[3].

إن تجربة الثورة الجزائرية كانت درسا عظيما لكل فرد جزائري ناضل من أجل ألا يرى نفسه مرة أخرى عرضه للقهر و الاستغلال و الظلم بقيادة "جبهة التحرير الوطني" التي اتسمت في نشأتها بسمات الأحزاب الاشتراكية – شأنها شأن الحزبين الشيوعيين السوفياتي و الصيني – في وضع ثوري. و كان هدفها الاستيلاء على سلطة الدولة عن طريق تحرير البلاد من السيطرة الاستعمارية.و كانت الجبهة شأنها شأن الحزبين الشيوعيين الصيني والكوبي تتمتع بتأييد الفلاحين و تقودها في الأغلب كوادر حضرية ، و مع ذلك فإن الخاصية المميزة للجبهة هي أنها لم تكن من الممكن أن تعرف بأنها اتحاد أحزاب و بأنها حزب واحد ... و جبهة التحرير الوطني ليست حزبا أيديولوجيا خالصا من النمط الغربي الليبرالي ، و لا هي حزب طبقي بالمقاييس الماركسية ، و لا هي ارستقراطية من النمط الفاشي ،إنما هي حزب مساواتي و ديمقراطي [1].

---

[2] - المرجع نفسه : ص (97).
[3] – المرجع نفسه : ص (99-100).
[1] - ينظر مغنية الأزرق : نشوء الطبقات في الجزائر ، (ت) : سمير كرم ، (م ا ع) ، بيروت ، لبنان ، (ط1) ، (1980) ، ص (218) .

واستمرت الجبهة في تركيبتها هذه إلى « سنة (1965) ، ثم أخذت إطارها الحزبي الأيديولوجي المنظم ، وكان الحزب مفتوحا أمام كل الجزائريين الذين يشتركون في النضال من أجل أهداف التنظيم »[2].

وبعد ما كان الصراع في الجزائر إلى نهاية الثورة داخليا قائما على أساس سياسي تطاحني بين الجماهير و القوى العسكرية للاستعمار، تحول في ظل الاستقلال إلى الأنتلجنسيا الوطنية ، و أخذ الصراع الاجتماعي مناحي متعددة فكرية و فنية و ثقافية و أدبية و نقدية من منطلق طبقي في مجتمع متعدد الأنماط الإنتاجية .

وتكمن خصوصية الجزائر المستقلة في الحقيقة في أن « العسكريين ينافسون تحت سيطرة البرجوازية الصغيرة الطبقات و الفئات الأخرى التي تتوق إلى الاستيلاء على سلطة الدولة من أجل الحصول على التأييد الاجتماعي. و من هنا كان تحرك الرئيس "بومدين" نحو إعادة الثورة إلى الفلاحين الجزائريين الذين منهم نبعت . ونفذ هذا من خلال الثورة الزراعية و بناء قرى اشتراكية تمد الفلاحين بمساكن مجهزة بكل المنافع الضرورية و الخدمات الصحية و المدارس لأطفالهم، و فرصة فلاحة الأرض جماعيا »[3].

إن استقلال الجزائر أفضى إلى بناء الدولة على أنقاض متبقيات الاستعمار المؤسساتية و الذهنية والسلوكية، ومنها التسيير الإداري لمؤسسات الدولة التي بنيت على جهود المجاهدين المتعبين من الحرب و بعض الشباب الذين تثقفوا و تحصلوا على شهادات جامعية مفرنسة و معربة . كما خلفت الثورة أيضا ذلك العجز الظاهر بعدم قدرة تسيير الفئة الثورية الشعبية الفلاحية لمؤسسات الدولة نتيجة أميتها و تعبها من الثورة و الجراحات مثل المعطوبين والمعوزين و الفاقدين لمساكنهم و مناصب شغلهم و الذين هم بحاجة إلى عون الدولة بحد ذاتها.

ولذا كان على الثورة بعد الاستقلال الاستمرارية في الشرعية الثورية و تبني هذه الفئات اجتماعيا و اقتصاديا. و كان على الدولة الفتية إلزامية بناء مؤسسات الدولة الموروثة من الاستعمار و تسييرها إداريا واقتصاديا مثل المناجم ، والبترول ،والسكك الحديدية، والطرق ،والمواصلات و بناء المدارس والجامعات ، واستغلال التعاونيات الفلاحية...و كل هذه المؤسسات أسندت لفئتي المجاهدين و الشباب الثوريين ، و منه أستخلص أيديولوجيتهما الاشتراكية .

- فئة المجاهدين :

---

[2] - عبد الله بن قرين: النقد الأدبي الحديث في الجزائر ، ص(124) .

[3] - الأزرق مغنية : نشوء الطبقات في الجزائر ، ص (158) .

تتبنى هذه الفئة الاشتراكية من منطلق تأثرها بالثورات التي خاضتها الشعوب المحتلة ضد الاستعمار الرأسمالي ، وهذا ما ظهر في حديث "المسعودي" عن انهزام فرنسا في حرب الفيتنام « عسكر فرنسا انهزم في الفيتنام .. أعلاه ما ينهزم في الجزائر.. والاستعمار في العالم واحد يفهم لغة واحدة ، لغة النار و الحديد ..»[1].

كما أن هذه الفئة لايمكن أن تحيد عن الاختيار الذي رسمه زعماء جبهة التحرير أثناء الثورة المسلحة و ما بعدها، ويظهر ذلك في تحديهم لمن يعرقلون مشروع الثورة الزراعية باعتبارهم فلاحين حرموا من خيرات أرض وطنهم الخصبة التي تمثل بالنسبة لهم رمزا من رموز السيادة الوطنية ،فلا مجال للاستغناء ولو على شبر واحد لمن يريدون فرض سياسية الاستعمار من جديد.فهذا"المسعودي" يتحدى رئيس اتحاد الفلاحين"الحرايري" الذي يسعى إلى تخريب التعاونيات الفلاحية بمنع بيع محصولها من التفاح «... هذه المزرعة انتزعناها من الكولون . نحن نسيرها. نحن نحل مشاكلها ... نبرهن لك يا "الحرايري " بأننا عمال أرض صح . العراقيل ما توقفنا . و نقدر على المسؤولية . تحملناها في" مارس 63"...إخواني عمال المزرعة يلزم أن يفهموا هذا .. أصدقاؤنا المسؤولون عددهم قليل.. مرة قلتها يا "بومدين" – الله يرحمك – "و الله إذا ما شمرتم على أكمامكم .. الشمس ما تزيد تطلع عليكم..هذه أرضكم عادت لكم ، دافعوا عنها" ...»[2].

وعلى الرغم من أمية هؤلاء المجاهدين إلا أنهم كانوا يؤمنون بضرورة التكتل والاتحاد للقضاء على الانتهازيين وتحقيق الاشتراكية « ...التنظيم هو عين الإنسان، وهو المومو، بالتنظيم تقدر على التمييز هذه حمراء . هذه خضراء .هذه سوداء .هذا طالع . هذا نازل . هذا عدو.هذا صديق . العالم كله – كما الفيلم– يبدأ بين عينيك يفوت . ما تخلط . إذا غلطت تصلح في الحين و تواصل الطريق عمالنا هذه شروط تنقصهم .. عند أغلبهم – كما عند المستفدين – جميع المسؤولين يقولون الحقيقة .و عندهم كذلك كل شيء مكتوب هو رسمي... هذا قرار هكذا.. وهذا قرار هكذا .. هذا مسؤول هكذا.. وهذا مسؤول.. الله غالب الذنب ما هو ذنبهم .. بلا ما تقضي على الأمية لا يمكن أن تحقق الاشتراكية»[1].

ولكي تنتظم أمور العمال و تسير لصالحهم ، سعوا إلى إعادة تشكيل نقابة العمال من جديد باعتبارها مسألة حساسة في كسب الصراع لصالحهم .

ونتيجة لتردي الوضع العام للبلاد بفعل المفسدين ممن يشغلون مناصب حساسة داخل أجهزة الحزب ،لم يترددوا في الدعوة إلى التغيير وإعطاء المسؤولية لمستحقيها«الحزب كونتم منه مملكة غلقتم

---

[1] - الرواية : ص (90) .
[2] - الرواية : ص (85) .
[1] - الرواية : ص (87) .

أبوابه في وجه المخلصين ،هذا الحزب هو حزب المجاهدين و الفدائيين والمسبلين .حزب الشهداء و آبائهم و إخوانهم...»[2].

وهذا التطهير لن يتم إلا بفعل الانتخابات الشرعية و النظيفة الخالية من تلاعبات التزوير و ذلك بعدم ترك السلطة الحالية تشرف لوحدها على العملية الانتخابية كما كانت عليه سابقا «...هذه المرة لو ينزل جبريل ما نسمح في حقنا القسمة هذه المرة هنا»[3].

وهم في ذلك لن يسمحوا في حقهم لأنهم يؤمنون إيمانا كبيرا بشعبيتهم و بفوزهم ، حتى وإن تطلب منهم ذلك ثورة أخرى « الاستعمار بدأناها معه بالشاقور و الخدمي و الزويجه و الآن لو يطمع الطيارة بالطيارة و الدبابة بالدبابة... خل المناضلين في حالهم بدون ضغط. بدون تهديد .رشح نفسك كمناضل. و إلا .. إذا وصلت للحمية عندنا الحمية.و إذا وصلت للملفات عندنا ملفات . و إذا وصلت للقانون ، القانون معنا ضدك »[4].

إلا أنهم في النهاية يرفضون أي تصادم دموي مع أعدائهم حفاظا على وحدة الوطن و سلامته، فكل من خان الواجب الوطني يتولى الله أمره .

ورغم هذا الموقف إلا أن الواجب الوطني يفرض عليهم البقاء في دائرة الصراع مادامت "ذرية الذئاب" على هرم السلطة تفرض سياستها ضد أبناء الشعب «نحن موجودون، و نبقى مادام المرض و القهر و الجوع..»[5] .حتى و إن استدعى منهم ذلك حمل السلاح ضد أعدائهم على الرغم من رفضهم لهذا الأسلوب لحل الأزمة .

إن الاشتراكية بالنسبة لهذه الفئة مبدأ لا رجعة فيه يجب تجسيده عن طريق إسناد الحكم إلى من دافعوا عن هذا الوطن « الاشتراكية يلزمها حزب ثوري وإلا تعثرت التجربة . الثورة كما " البابور" الحزب الثوري هو قايدها»[1].فلا يمكن تسليم السلطة إلا للذين ذاقوا مرارة الاستعمار وعرفوا قيمة الاستقلال.

- فئة الشباب:

إن فكرة الاشتراكية التي بلورها الشباب الثوريون الذين اقتنعوا بالشرعية الثورية وبمشاريع الدولة الفتية ببناء مؤسساتها ومساندة برامجها مثل الثورة الزراعية ، الثورة الثقافية والصناعية قادتهم حماستهم الثورية إلى تبني الأفكار الاشتراكية ومبادئها في الحرية والديمقراطية والمساواة والعدل ، ونفي الهيمنة الطبقية سوءا كانت إقطاعية أم برجوازية ، وهذا ما دفعهم إلى التحزب أو الانضمام إلى الحزب الطليعي الاشتراكي الذي ساير مشاريع الدولة في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي .

---

[2] – الرواية : ص(39) .
[3] – الرواية : ص(35) .
[4] - الرواية : ص (38) .
[5] - الرواية : ص (93) .
[1] - الرواية : ص (91) .

ويظهر النزوع الاشتراكي لهذه الفئة في "زمن النمرود" في الدعوة إلى المساواة بين جميع فئات المجتمع عن طريق توزيع خيراته توزيعا عادلا بين كافة أبناء الشعب ، فكل جزائري يملك حقه في الحياة الكريمة لأن الاستقلال جاء ليخلصه من العبودية والاستغلال وينقله إلى عالم الحرية والتنعم بما حرم منه مادام قد ضحى بالنفس والنفيس في سبيل استقلال الجزائر.

وبدأ نشاط هؤلاء الشباب من داخل التعاونيات الفلاحية إيمانا منهم بتطبيق الثورة الزراعية و جعل الفلاحين البسطاء أصحاب قرار داخل التعاونيات ، لذلك نجد الفلاحين يحبونهم كثيرا لأنهم يدافعون عن حقوقهم ومصالحهم فـ "أمين" مثلا « الثورة الزراعية تسكن له في المخ .ما رأيت مثله يحبه المستفيدون و هو كذلك يحبهم »[2]. لذلك وصفوا بالمشوشين من طرف غرائمهم لأنهم منعوهم من خوصصة الأراضي.

ولم يقتصر دورهم في الدفاع عن الفلاحين فقط ، بل سعوا إلى نشر أفكارهم وفرضها داخل المصانع الإنتاجية وذلك بالدعوة إلى تشكيل فروع نقابية تسهر على حفظ حقوق العمال وتجعلهم طرفا أساسيا في تسيير شؤونها. ويظهر ذلك في تحريض "هارون" لصديقه"كروم" ضد مديره « ..." السامط يغلب القبيح" ..سمطوا تغلبوا المدير وأمثاله...الحمية تغلب السبع ومدير مصنعكم سبع قاطع عليكم الطريق .وأنتم – الله يبارك– مئات اتحدوا على كلمة واحدة .المصنع جديد والمشاكل فيه كثيرة .وعندما يرحل " الجابون" ما يبقى فيه غير ولد العربية .فاهمني؟؟

– كونوا فرعكم النقابي هذه الأولى»[1].

وهذا الموقف لم يأت صدفة بل نتيجة دراسة عميقة ، فلا يمكن للعمال أن يستفيدوا من حقوقهم إلا بنضالهم المستمر وتنظيمهم داخل جهاز نقابي يضمن لهم حقوقهم « أنا درست ربما اقتنعت نهائيا بهذا النضال أمر حيوي.والعمال ينبغي أن يخوضوه حتى داخل نقابة صفراء»[2].

لذلك فهم يحلمون و يسعون لتشكيل هذه النقابة لأن وجودها يعني تمكنهم من فرض سياستهم وتواجدهم ضد الاستغلاليين. وهذا ما عبر عنه"أمين"«... ورقة كانت تحدد وجودك بالمصنع .أكبر مصنع في المدينة.أكثر من ألف عامل .قوة .تيار جارف.آه لو يصبحون قوة منظمة..هذا حلمك . أنت لن تكون نبيا ولا زعيما جديدا..في دماغك فكرة صغيرة تختمر. تعتمل .نضجت. قد تصير نبتة تنمو.تتحول شيئا أخضر. ثمرا يعطي بذورا تعطي نباتا.. قلتها في الجمعية العامة والعمال اهتزوا بدأت

---

[2] - الرواية : ص (33) .
[1] - الرواية : ص (118).
[2] - الرواية : ص (164).

النبتة تنموا يا إخوان»[3].هذه النبتة التي ستكون حجر عثرة في وجه المخربين للمؤسسات العمومية من"ذرية الذئاب". إذ « "لا مراقبة. لا تحكم في التسيير. ولا مجلس عمال ديمقراطي"...»[4].

وبسبب مواقفهم المتصلبة اتجاه "ذرية الذئاب" أودعوا السجن من طرف قوات الأمن الوطني التي كانوا يعارضون تدخلها في ما يجري داخل المؤسسات الإنتاجية ، ويرون بأن دورها يكمن في حماية الضعفاء والدفاع عن مكتسبات الاستقلال بمسايرة الثورة الاشتراكية واحترام خيار الشعب .

ورغم تواجدهم بالسجن إلا أن هذا لم يمنعهم من الإصرار على مواصلة نضالهم لأنهم يؤمنون ببراءتهم وبسمو رسالتهم .«..هي غرفة حبس .مساعدة على العمل .أخلق الظروف.قد تكتب على الجدران .من سبقوك هنا كتبوا أيضا .. "اقرأ الحبس يصنع الرجال " ..كنت تعرف المرور من هنا كان يجب ..تكتب محضر محاكمة لشركة "كروزو لوار" فضحتها محضر محاكمة لأسلوب العمل البيروقراطي في المصنع ، ولمعاناة واحتقار العمال سجلت موقفك كعامل»[5].

وفي النهاية بقيت الحسرة تخيم عليهم بسبب ما آلت إليه الولاية بفعل الانتخابات التي شهدت صداما دمويا بين الطرفين المتعارضين.وبقي الأمل يراودهم في مواصلة العمال لكفاحهم « من استفاد في "بالول" ؟ ومن استفاد في "سعيدة" ؟ الدماء هناك سالت والمصنع هنا مهدد العمال لا تنطلي عليهم إلى النهاية.

أغلب العمال في المصنع ذاق طعم الوحدة والانتصار هل سيواصلون؟؟ »[6].

وعموما فإن فئة الشباب تظهر أكثر تنظيما من فئة المجاهدين في الدفاع عن مبادئ الاشتراكية وبلورتها على أرض الواقع لأنها تنطلق من رؤية علمية محددة المنهج وواضحة الأهداف.

ثانيا- الاتجاه الديني:

إن النظرة إلى الجزائر بداية السبعينيات على أنها دولة اشتراكية ، وتوهم الانتصار الكامل في تطبيق الثورات الثلاث "الزراعية والصناعية والثقافية"،والزعم بأن الثورة قضت على الإقطاع وألحقت تقهقرا نهائيا بالبرجوازية هي أكثر من نظرة حماسية لدى المتعاطفين مع قضية الفلاح الجزائري والعدالة الاجتماعية من مثقفي البرجوازية الصغيرة التي تسعى إلى تحقيق أحلامها في النظام الاشتراكي. ولذا لم يستطع هؤلاء أن يعوا أن هذه الفكرة هي مقولة برجوازية روجت لها السلفية للقيام بما عرف بالثورة المضادة التي شملت ساحة التطبيق وعرفت بالعنف الطلابي في التطوع لصالح الثورة الزراعية والعمل على تحقيقها تطبيقا منذ (1984) [1].

---

[3] - الرواية : ص (163-164).
[4] – الرواية : ص(167).
[5] - الرواية : ص(170-171).
[6] - الرواية : ص (205).
[1] - ينظر عبد الله بن قرين : النقد الأدبي الحديث في الجزائر ، ص (96).

لقد استغلت الفئات الرجعية مقولة الجزائر دولة اشتراكية تطبق المساواة في كل شيء لأن الاشتراكية في عرفهم هي بلاد الطابور والجوع والفقر وإرجاع الإنسان آلة لخدمة المجتمع إضافة إلى كونها كفر وإلحاد وذلك لتتفيهها وتصويرها نظاما لا يمكنه قيادة البلاد باعتبار أن الشعب الجزائري شعب مسلم ولا خيار في حكمه سوى تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية السمحة.

ويغرق الاتجاه الديني في "زمن النمرود" الممثل في شخص "عوج الفم" في عالم أخلاقي يعارض عالما غير أخلاقي يمثله الرأسماليين والاشتراكيين على حد سواء .

وتقوم هذه المعارضة على العنف اللغوي،والعنف المادي .حيث يسعى "عوج الفم" بكل ما يملك للقضاء عليهما .وكان ذلك من مقهى "تشراك الفم" أين يتجمع فيها أغلبية المواطنين. فمن هنا بدأ لترويج الشائعات ضد من يحكمون الولاية حيث وصفهم بالمفسدين والاستغلاليين في كثير من الصور التي تعرضت إليها سابقا .غير أنه لا يمانع في الملكية الفردية لرأس المال ويظهر ذلك في حوار له مع أحد جلسائه « –رئيس البلدية قالوا يبني " فيلا " في "معسكر".

– وإذا كان ربي أعطاه ؟؟ أنت تمنعه »[2].

أما الاشتراكيون فهم في نظره كفار وملحدون ، وهو ينطلق في ذلك من منطلق الإسلام الوراثي « المعلومات عن المسائل القانونية والشرعية والفلسفية لا تنقصه ، يقرأ الآية دليلا كذلك. لكونه لا يحسن اللغة العربية كثيرا ما يلحن»[3]. ويرى في الجامعة الجزائرية مكانا لنشر الفكر الشيوعي وأنها حادت عن الطريق المرسوم لها «إذا جر إلى الحديث عن الجامعة أظهر كل حسرته. وضعها مترد .الطلبة كان يلزمهم ذلك الدرس القاسي لقنوه بقسوة.وكان يجب أن تحل منظمتهم ..تجاوزوا كل الحدود. ثم يلتفت إلى أحد جلسائه .الجامعة كانت يوم كان الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين..أما اليوم..التطوع والمتطوعون..كلام فارغ بني وي وي " حكوميست "...»[1].

أما العنف المادي فيظهر من خلال دعوته إلى التناحر بين الأطراف المتنافسة في الانتخابات « بصدد الانتخابات كرر لجلسائه مرتين: " بالول" و" عين الحجر" و" أولاد بخالد" هذه المرة تشعل فيها .الدنيا طلع لها الزبل للرأس إما يقع التغيير وإما تتخلط»[2].

ورغم دعوته إلى الصدام الدموي إلا أنه في النهاية أخذ موقف المندهش مما حدث بين الطرفين المتصارعين في الانتخابات « الهبل.والله الهبل .الناس في بالول تقاتلت ..قالوا: في"عين الحجر" كان الأمر ربما تكرر .رجال الدرك تدخلوا قبل الوقت .تصدق أنت ؟؟ وأنت ؟.

قالوا: فرضوا على "بالول" حضر التجول .ربما رفعوه .ربما مازال .

---

[2] - الرواية : ص (56).
[3] - الرواية : ص (20).
[1] - الرواية : ص (20).
[2] - الرواية : ص (22).

وهذا يحدث بعد الاستقلال ؟ كما "أولاد إبراهيم" ، كما" أولاد بخالد ". راحوا ضحية "الحرايري"»[3].

ونتيجة لما آل إليه وضع الطرفين المتعارضين فإنه اتخذ منهما موقف الحكيم الساخر،فهو يرى بأنه لا يمكن أن تفلت" ذرية الذئاب" هذه المرة من العقاب وهذا لكونها سعت إلى نشر الفوضى والتقاتل الدموي . والشيء نفسه ينطبق على "ذرية النمرود" فعلى الرغم من مساندتها لشعارات النظام إلا أنها في النهاية ستجد السجن في انتظارها .

وفي نهاية الرواية يخرج "عوج الفم" مهزوزا مهزوما بسبب عدم إقناع جلسائه بإيجاد البديل لحل الأزمة، فهو يؤول العقيدة لخدمة أغراضه السياسية وفقط ، لا يحمل إطلاقا صفة المسلم الحقيقي إذ الثورة في نظره«.. بلا دم ماهي ثورة..البلدية بالنسبة إليه بدعة...جارح في حديثه ميزة أخرى فيه .يطعنك بكلمة كما يطعنك بخنجر. يحدث أن يقودك إلى فخ لا تتوقع السقوط فيه...حدث أن جر يوما أحد ضحاياه في "التروللي" رفع صوته وأشار إليه. أنت شيوعي كافر وملحد.»[4].

يبدو من كل ما سبق أن الروائي وصف "عوج الفم" أحيانا بالسكونية وأحيانا أخرى بالديناميكية وذلك حسب متطلبات العملية السردية ، و كانت صفة الثبات هي الغالبة عليه ويعود هذا إلى رؤية الكاتب التي تجعل الفكر الرجعي سكونيا لا يتحرك إلا للتدمير والهدم ، وهذا ما حاول فعله "عوج الفم" عندما تعرض للذين يحاولون إنقاذ الوضع المتردي للبلاد.

د- أيديولوجية الروائي:

دخلت الجزائر بعد الاستقلال تجربة بناء الدولة الفتية في إطار نظام ديمقراطي واشتراكي فرضته الجماهير الجزائرية بمختلف طبقاتها عبر نضالها الطويل ضد الاستعمار وضد كل أنواع الاستغلال .ولذا اهتمت السلطة الفتية بالقضايا الوطنية الكبرى مثل تأميم المنشآت الاقتصادية الوطنية، واسترجاع أملاك الدولة ، وبناء المؤسسات الاشتراكية، وإنماء الاقتصاد الوطني ،والعناية بالأراضي الزراعية،وتكوين إطارات الدولة،والتركيز على التعليم والتربية والصحة والثقافة.هذه الإيجابيات المتعددة على كل المستويات كان لابد لها من قوى صارمة ومؤهلة للعمل على إنجاحها. لكن صعود الفئة البرجوازية واستيلائها على مناصب سلطوية ذات شأن في التخطيط والتسيير والتنمية الشاملة للاقتصاد الوطني والحياة الاجتماعية حالت دون تحقيق الأهداف الثورية المنشودة، مما أضفى على السلطة وإدارتها طابعا بيروقراطيا و تكنوقراطيا عرقل تطور التجربة الانتقالية في السبعينيات بمشاريعها الثلاثة

[3] - الرواية : ص (207-208).
[4] - الرواية : ص(21-22).

"ثورة زراعية ، ثورة صناعية،ثورة ثقافية ".لأن توسع الفئة البرجوازية وتغلغلها في الأجهزة الإدارية كان حجر عثرة في طريق تجربة الديمقراطية التي لم تمثل للبرجوازية مصالحها الطبقية على كافة المستويات.

وكان من نتائج انكفاء محاولة تلك القوى ازدياد خيبة الأمل وتفاقمها لدى الكتاب الجزائريين الواقعيين النقديين والاشتراكيين ، فعمدوا إلى الكشف عن معاناة الشعب ، وشنوا حربا ضد أعداء الثورة والشعب وذلك بتعرية الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

وتعتبر رواية "زمن النمرود" صدى لواقع الجزائر تلك الفترة ، حيث استقرأ فيها الروائي أزمة الجزائر وكشف مظاهرها على أكثر من صعيد .وبذلك فإن رؤيته السياسية والاجتماعية هي التي طبعت المواقف التي عبر عنها في الرواية، وهي رؤية تتراوح فيها تجربته الذاتية الأصيلة وتجربة مجتمعه.

والكاتب يدين سلطة الاستقلال باعتبارها امتدادا لحكم الاستعمار الفرنسي «كولون نصارى خرجوا ،كولون عرب دخلوا...»[1]. وهذا دليل على عدم تغير الأوضاع ، ففي الماضي كان الاستعمار يستفيد من خيرات البلاد بسبب انفراده بالحكم لها.وفي الراهن تستمر نفس السياسة من قبل الحزب الحاكم الذي تربع على عرش السلطة منذ فجر الاستقلال ومنع كل من لا ينتمي إليه ولا يسانده في توجهاته واختياراته من مشاركته الحكم «غير المناضل في الحزب لا يحق له تقلد مسؤوليات على رأس المنظمات الجماهيرية»[1].وهو الطرح الذي يرفضه الكاتب ويدينه « كان يجب أن يفهمونا.هذا الحزب حزب أو مملكة.يا التعليمات والتوجيهات شيء.يا العمل شيء آخر »[2].

فكان من المفروض أن يكون هذا الحزب حزب المجاهدين والمخلصين من أبناء الشعب لا الدخلاء من الانتهازيين والوصوليين الذين جنوا ثمار الاستقلال وحرموا منها من هم أصحاب الحق في ذلك «بني الحلاليف...كل من خدع في الثورة.. كل من كسر العاهد بعد الاستقلال هاهو اليوم بوها »[3].

ويكشف عن مدى جشع هؤلاء و تكالبهم على النهب بغية الثراء السريع و بناء القصور و إقامة المشاريع وامتلاك الأراضي و العقارات فـ«أموال الدولة و الشعب تسرق قدام ربي وعباده...»[4]. وهذا ما يفسر تشبثهم بالسلطة بغية المحافظة على مصالحهم الخاصة ،و يعبر عنه نموذج منسق القسمة "يزيد"«...عاودوا تنصيبي على رأس القسمة و بعدها أسمع توجيهاتكم و أعمل بها..و أطبقها صدقوني. و لكن عاودوا تنصيبي على رأس القسمة »[5]. ويعلل كل ما يقومون به من مناورات و مكائد قصد

---

(1) - الرواية : ص(92).
(1) - الرواية : ص(16).
(2) - الرواية : ص(36).
(3) - الرواية : ص (92).
(4) - الرواية : ص (137).
(5) - الرواية : ص (147).

الفوز في الانتخابات فتكون النتائج جاهزة مسبقا و هو ما أصبح يعيه الشعب جيدا، و ظهر هذا جليا في قول "عوج الفم":« يجددون أولا يجددون.ينتخب الشعب أو لا ينتخب.زائد ناقص.أقول لكم منذ الآن من سيكون منسق القسمة. من سيكون رئيس البلدية.و من سيكون رئيس الجمهورية القادم . كل شيء بالحساب ... كل شيء مخطط . الشعب تباع.غنم بلا راعي..»[6].

كل هذا يفيد إدانة الكاتب للديمقراطية الزائفة التي تقرها السلطة قولا و تدينها فعلا فـ « صفتهم صفة مسؤولين،و كلامهم كلام ثوار،و أفعالهم أفعال ذياب »[7]. لذلك نجده يقرن هذه السلطة بالاستعمار،و يظهر ذلك في حديثه عن "الحاج عون الله"«...وغدا يا سي"الحاج عون الله" في مدينتنا تصبح حكاية ويقول عليك ناسها عندما تحكي لأولادها عن أيام الاستعمار والقهر: عام "الحاج عون الله" كما تقول عام "البون" .عام "مريكان" و" ولالمان". عام "سطيف وقالمة" . ناس مدينتنا تدخلك في رأسها وتحكي عليك كما تحكي على "بيجار" و"جورج"..كما تحكي على "يوسف الخاين"»[8]. لأنه وببساطة هو وأتباعه استغلوا أمية الشعب في الاستحواذ على السلطة وتمرير مشاريعهم الهدامة. ضف إلى ذلك التمزق الاجتماعي الذي تعاني منه البلاد بفعل العروشية التي ورثتها من الاستعمار والتي استغلتها الفئة الحاكمة في بسط نفوذها ونشر الفوضى بين مختلف العرائش المكونة للبلاد « الوقت صعب.والأمان قل.اليوم صاحبك غدا بعشاء يبدلك ... الناس كلها أصبحت تسكت على الباطل ... إذا قلت الحق .. قالوا : مشوش .وزد.. الناس ملت .الناس أصبحت تبحث عن السلامة في الرأس.إذا عاودت الثورة..القليل يرفع السلاح ...»[1]. لذلك نجد الروائي يوجه خطابه إلى الشعب ويحثه على الوحدة من أجل الخروج من أزمته«... لو نقف كما الصف الواحد .كلمة واحدة .حزمة عرعار... حتى واحد في الدنيا ما يقدر يكسرنا...»[2]. وهذه الوحدة تكون بالالتفاف حول الثوار الحقيقيين الذين يؤمنون بمبادئ الاشتراكية فعلا فـ «الاشتراكية يلزمها حزب ثوري وإلا تعثرت التجربة، الثورة كما البابور في البحر. الحزب الثوري هو قايدها »[3].

ومن منطلق إيمانه بالاشتراكية وعدم إقصاء كل من يتبنى أفكارها يأتي دفاعه عن الشيوعيين ويعتبرهم طرفا فاعلا في استقلال البلاد و بنائها ، فالشيوعي بالنسبة له «..لا يكذب. لا ينافق . يحب الخير لجميع الناس .ما بينه وبين ربه يتولاه الله .البورجوازي هو الكافر .والإقطاعي هو الفاسق ... هذه الحقيقة..في حرب التحرير ، الشيوعي ما خان ما باع .استشهد كإخوانه المجاهدين...»[4].

---

[6] - الرواية : ص (21).
[7] - الرواية : ص (182).
[8] - الرواية : ص(66).
[1] - الرواية : ص(92).
[2] - الرواية : ص(60).
[3] - الرواية : ص (91) .
[4] - الرواية : ص (22-23).

وعموما فإن "الحبيب السايح" في روايته هذه حاول أن يصور واقعا تاريخيا واجتماعيا ارتبط ارتباطا وثيقا بفكره المستمد من المواثيق الرسمية للدولة الجزائرية فبالنسبة له «شرط التحزب للأديب لكي يرقى إلى المرحلة التاريخية التي تعيشها البلاد كما جاءت محددة في نصوص الميثاق الوطني»[5].وهذا دليل قاطع على إيمانه برسالة الأدب التي لا تعني المتعة والتسلية ، لذلك غلب على الرواية الطابع الانتقادي للواقع السياسي والاجتماعي للبلاد ، فـ« بعد ست عشرة سنة من الخطب السياسية والتوجيهات ما بقي أحد يجهل سياسة البلاد وما بقي أحد يحتاج إلى توجيهات.الناس في حاجة إلى حل مشاكلها،وإشراكها في العمل...»[6].ويكون ذلك بإبقاء الملكية العمومية للمؤسسات الاقتصادية والأراضي الفلاحية وعدم احتكار السلطة.فكان مدافعا عن الثورة الزراعية والمكاسب الثورية ساخطا على الرأسمالية ، ومدافعا عن التواجد داخل الحزب.وكانت في ذلك غيرته على الوطن تمنعه من الخوض في الاستمرار للدعوة إلى العنف كحل للأزمة الوطنية.

II – القيم الجمالية و مقولة الكاتب:

1– القيم الجمالية:

فرضت على الإنسان الجزائري قيما جمالية اجتماعية اكتسبها من مجتمعه الموروث الذي تراكمت فيه القيم إيجابا وسلبا عبر العصور وميزته بالسلم والسلام. فالجمال الإنساني إذن مستمر « قدر ما يحتاج إليه الإنسان المتمتع به بالضبط ..وجمال كل جيل موجود، ويجب أن يوجد لهذا الجيل ذاته ، ولا يخل مطلقا بهذا الانسجام ، وليس شيئا كريها بالنسبة لحاجات هذا الجيل الجمالية ، أن يذوي مع كل جيل جماله ، فسيكون للأجيال القادمة جمالها الجديد الخاص، وليس هناك ما يجب أن نشكوا منه ، وإنه لأمر آخر، بالطبع ، أن لا ينس الجيل الجديد جمال الأجيال السابقة والمثل الأعلى الجمالي الجديد للمجتمع الجديد لا ينمو ، بهذا المعنى ، إلا على أساس استيعاب كل غنى القيم الجمالية التي اكتشفتها الإنسانية وأنشأتها وحفظتها بثقافتها المادية خلال مئات السنين وآلافها»[1] .

و صنف علماء الجمال القيم الجمالية وفق السلوك الإنساني الفردي والجماعي سلبا وإيجابا وذلك لكون الفن« يعكس الواقع و يقيمه في آن واحد .وقيمة الفن الفاعلة، والمغيرة للمجتمع تتحدد قبل

---

[5] – عبد الله بن قرين : النقد الأدبي الحديث في الجزائر ، ص(127).

[6] - الرواية : ص (145).

[1] - جماعة من الأساتذة السوفيات : أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، ج (2) ، (ت): فؤاد المرعي ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، دار الجماهير العربية ، دمشق ، سورية ، (دط) ، (1978) ، ص(78).

كل شيء بأن الظاهرة الحياتية المعكوسة عكسا صحيحا في المؤلف الفني تقيم في الوقت ذاته تقييما جماليا معينا .فالحادثة الواقعية المدركة جماليا في المؤلف الفني، تقيم بحكم هذا الإدراك على أنها ظاهرة إيجابية أو سلبية جماليا »[2].

إن التصوير المتعدد الأوجه للإنسان في تطوره يمكن الأدب من التعبير تعبيرا متكاملا عن المثل العليا الجمالية لعصر ما على المستويين الإيجابي والسلبي ، ذلك أنه يرسم نظاما متشعبا من الصور... فصورة البطل الإيجابي الذي يرينا إياه المؤلف في كل تنوع عالمه الخارجي والداخلي ، وذات فاعلية اجتماعية ضخمة ، وهي مثال حي على السلوك الحياتي بالنسبة للقراء.فهؤلاء لا يستطيعون أن يربطوا ربطا مباشرا بينها وبين تجربتهم الحياتية ، و يستطيعون بتجربتهم أن يتأكدوا منها و يجسدوها فيها... إن التناقضات و النزاعات الحياتية تنعكس في موضوعات المؤلفات الأدبية، أي في النظام المشخص للأحداث التي تتجلى فيها أخلاق الأبطال.و لهذا الانعكاس طابع غير مباشر ذلك أنه ترسم في الموضوع مواقف حياته ترقى – كنتيجة – إلى نزاع اجتماعي بوصفها إمكانية لازمة عنه. يظهر فيها السلوك الإنساني النموذجي الخير و الطيب الذي يسمو إلى الروعة و الخلود.كما يظهر فيها السلوك الإنساني الشرير و البغيض الذي يرقى إلى القبح و الدونية و الانحطاط [3].

وعلى هذا الأساس قمت بتصنيف القيم الجمالية التي عبر عنها "الحبيب السايح" في "زمن النمرود"إلى صنفين الأولى سامية تمثلت في (العدالة،قول الحق،الكرامة،الشرف،الوفاء،الحب العفيف،الأخوة،حب العمل،الإنسانية،الوطنية).والثانية مبتذلة تمثلت في (الظلم،التجبر،التكبر،الخداع،السرقة،الدساسة،الضبابية،الشوفينية،فرض الذات ونكران الذات الأخرى،العداء للوطن) .

وتصنيفي هذا كان من منطلق واقع الصراع الاجتماعي الطبقي المصور في الرواية. فالتقويم الجمالي للواقع في الفن « مرتبط ارتباطا لا انفصام فيه بموقف الفنان السياسي و الاجتماعي و بنظرته إلى العالم ، و درجة إدراك الفنان ذاته بتقويمه الجمالي ليست دليل نضوج فنان ما فحسب، بل دليل نضوج فن كامل أيضا ، و تصبح درجة الإدراك هذه مؤشرا على الفنية الحقيقة في مرحلة تاريخية معينة... » [1].

و لما كان الروائي اشتراكيا فإنه خص السمو إلى من يدافعون عن الاشتراكية ، و على العكس من ذلك خص كل مظاهر القبح إلى من يعادونها.

أ- القيم السامية:

---

[2] - المرجع نفسه : ص (82).

[3] – ينظر المرجع نفسه : ص (158-159) .

[1] - جماعة من الأساتذة السوفيات : أسس علم الجمال الماركسي اللينيني ، ج (2) ، ص (83) .

إن الشعور السامي ينشأ في الإنسان حين «يقف ...بكبرياء في وجه القوى الرهيبة حين يصطدم بها ، هذه الكبرياء لا تنشأ في الإنسان نتيجة إيمان صوفي أو ديني بعالم آخر، بل على أساس قناعة داخلية بأن الإنسان سيد الطبيعة،و خالق أرفع القيم الموجودة على الأرض،وأنه سيسخر لنفسه في آخر الأمر الطبيعة كلها،وكل القوى التي لم يسيطر عليها بعد. وفي الحياة الاجتماعية تعتبر سامية الأشياء و الأعمال التي تنطوي على أهمية اجتماعية واسعة جدا والتي تؤثر بجوهرها تأثيرا مباشرا على مجرى التطور التاريخي، و تكون ذات أهمية شعبية أو إنسانية شاملة ، و تلعب دورا تاريخيا عالميا ، تؤثر تأثيرا اجتماعيا طيبا على حياة عدد من الأجيال المقبلة.

فالسامي خاصة جمالية موضوعية تتصف بها ظواهر وأشياء ذات دلالة اجتماعية عظيمة بشكل خاص،وذات أهمية تاريخية عالمية،وتحدد مضمون شعوب بأكملها أو الإنسانية جمعاء»[2].

إن القيم الجمالية السامية والرائعة التي لا يمكن أن تزول تمثلت في هذه الرواية في موقف "ذرية النمرود" من الواقع الذي فرضته عليهم "ذرية الذئاب" المتسم بالإقصاء والتهميش وشتى أنواع الظلم المختلفة فظهر نتيجة ذلك المطالبة بالعدالة،وما خطاب كاتب القسمة "ولد ربيعة" لمنسقها"يزيد" بالدعوة إلى ترك الانتخابات تسير بنزاهة،ومنح السلطة لمن يستحقها لدليل قاطع على ذلك «المسؤولية لمن تضع فيه القاعدة ثقتها...أنا أقرأ القوانين :الله يرحم بويا في ذاك القبر. إذا المناضلون وضعوا فيك ثقتهم..الله يبارك .بصحتك.وزد يومها طبق علي القوانين .أدخلني مجلس الطاعة .لكن فاقوا بينك وبين نفسك تعرف هذا»[1].

ويشكل قول الحق والجهر به حيزا كبيرا في الرواية، وهو تعبير عن عدم رضا"ذرية النمرود"بوضعها الحالي وبضرورة التحرر منه، وهذا "ولد ربيعة"يعلن صراحة لـ"يزيد"بأن الحزب صار مملكة حصنت ضد من يستحقونها«...الحزب كونتم منه مملكة. غلقتم أبوابه في وجه المخلصين. هذا الحزب حزب المجاهدين والفدائيين والمسبلين. حزب الشهداء وأمهاتهم وآبائهم وإخوانهم...كيف تقول غدوة يوم القيامة. إذا قاموا وحاسبوك ؟؟ أمثالك في الثورة كان الكلام معهم زيادة...»[2].

وتعد المقالة التي كتبها"هارون"ضد"يزيد وابن عمه رئيس البلدية "الحاج المزرقط" تحديا حقيقيا في الإعلاء من شأن الحق وإزهاق باطل المفسدين ، فالمهم بالنسبة له كشف الحقيقة التي ربما تكون محتجبة عن أعين الناس«آه .هي ليلة العرس.. برحت ضد واحد؟؟ عايرت ؟؟"الشاف" ليلتها أكلني. خزرة عينيه كانت ناقمة علي..و"يزيد" كان جنبه.ربما كذبوا علي.

---

[2] – المرجع نفسه : ص (88) .

[1] - الرواية : ص(36).

[2] - الرواية : ص (39).

آه هي .المقالة .وبعد؟؟قلتها:المراقبة منعدمة.وبعد؟؟ لا يزيد قايم بواجبه.ولا ابن عمه رئيس البلدية..قدام "الشاف" قايلها.»[3].

ونفس الشيء تقريبا نلحظه في موقف "أمين" من السياسة المنتهجة في تسيير شؤون مصنع الورق، التي يرى فيها إجحافا في حق العمال الذين منعوا من ممارسة نشاط عملهم بحرية بفعل الضغط المفروض عليهم من طرف الإدارة.«نطقت باسم المئات..كم واحد منهم تطهر في حديثك"الدبرة الكبيرة.هاهي: شركة أجنبية متعددة الجنسيات لا نراقبها.تتشط كما شاءت. ومتى شاءت.عملاؤها وجدوا الجو فارغا. ناوروا.وناوروا.أخروا الإنجاز.ارتفعت التكاليف الملايير.من المسؤول ؟؟ شركة في بلدنا تمنع العمال من اكتساب الخبرة.. عملاؤها يمنعون العمال من دخول مراكز الوحدات.ومراكز الأمن..من المسؤول عن تخريب البساط المتحركة ؟؟ العمال ..؟ لا.ثمانية من عملاء الشركة الأجنبية أثبتت إدانتهم.طردوا الفضل يعود ليقظة العمال"..
المدير وبعض أعوانه كانوا يسجلون.هل كنت تدري ؟ والعمال كانوا ينصتون. كنت تعلم.وأضفت "لا مراقبة.لا تحكم في التسيير.ولا مجلس عمال ديمقراطي" ..»[4].

وبسبب قول الحق عزل"المانكو"من الحزب، وحرم عليه التدخل في اجتماعات القسمة ووصف بالمشوش .

وتمتاز هذه الفئة بأنفتها والحفاظ على كرامتها فهي لا تسمح أن تداس شخصيتها وتهان، وهذا ما عبر عنه "هارون" أثناء وجوده بمقر فرقة الدرك الوطني «إيه.يا "هارون" .ها أنت الآن تصفع. وتذكر "المانكو" هو الأخر صفعوه. المخاط طار من منخرك .ماذا تفعل؟ تقوم وتدافع عن نفسك؟؟.دركيان من وراءك. و"الشاف" أمامك نهايتك– أن حاولت – تعرفها.
المحاكمة ثم السجن.ماذا تفعل ؟؟ ...بادله نفس النظرة.تحداه،أنت،كذلك.اغرس عينيك خنجرين في عينيه.كلمه بهما.لا تحرك لسانك.. قل له:أهنتني .قل له : لولا هذا المقر..لولا هذه البدلة الخضراء لسحقتك.قل له كذلك: لو أعطيتني فرصة. فرصة فقط. تتجرد من لباسك الرسمي وتخرج معي لحظة..نتقابل فيها رجلا لرجل.ندا لند... أبدا هذه هي الإهانة العظمى.واجه المحنة بشجاعة الرجال.ماذا تعلمت من "المانكو"..؟ واجه غريمك بشجاعة. تجنب الاستفزاز.هاأنت اليوم تمسك خيوط اللعبة.هو حدسك لم يخطئ.يقف وراء كل شيء.يريد تشويه سمعتك.تلويث شرفك ..يحقد عليك وعلى" زينب" و"يمينة" و "ولد ربيعة"ويتمنى سحقكم»(1).

---

[3] - الرواية : ص (153).
[4] - الرواية : ص(167).
[1] - الرواية : ص(154-155).

وامتدادا للكرامة يأتي الحفاظ على الشرف كأحد أهم المقومات الأساسية لشخصية المرأة الجزائرية العفيفة بأنوثتها،وبضرورة الدفاع عن ذلك حتى تضمن مستقبلها كزوجة . وهذا ما عبرت عنه الرواية في محاولة اغتصاب "يزيد" لـ"يمينة " ، إذ رفضت أن ترهن شرفها له دون رابطة شرعية ،فاستعملت القوة لصده حفاظا على سمعتها.

و لما كانت المرأة شريفة موسومة بجميع صفات الحياء ، كان الرجل بالمقابل وفيا لحبها صادقا في عاطفته اتجاهها ، فهذا "كروم" أحد أتباع "هارون" يصف شدة حبه و تعلقه بـ "ميمونة" على الرغم من زواجها «– لا أنا ربي خلقني و في صدري قليب شاعلة فيه النار ، "ميمونة" ، الحديث عليها قياس ... الشهر الداخل ، يا خويا "هارون" ،عرسها زوجها حاسده إلى يوم القيامة أعلاه ربي يحرمني منها و من شبابها و زينها .أعلاه؟؟؟.

يلعنك يا زمان في عقايبي تركبني غضه ... آه يا "إبراهيم" خويا . هذه حالة المسكين ... العاشق مكتف قدام صاحب المال ... أنا مهموم. أنا حزين و في صدري حرقة ... أتبعها أنتقل للعمل من أجلها،إلى سعيدة .أقف لها عند باب الحمام ... ما قدرت على صبرها.و كيف أنساها ؟؟»[2].

و في دائرة الوفاء دوما يظهر الإخلاص لمناضلي الحزب و الوقوف إلى جانبهم في محنتهم وعدم التخلي عنهم ، و هذا الموقف مثله "هارون" عندما طلب من أصدقائه مساندة "يمينة" و عدم التفريط فيها « "يمينة" كانت من أنشط البنات في "بالول" كما "زينب" كل واحد منكم يعرفها. أيام التطوع تتصل بالنساء في الدواوير في البرد و في الحر تشرح و تعالج عملها في المستوصف ما عليه غبار .. نوحد موقفنا و نقف معها.صديقتنا ما نفرط فيها »[1].

و لم يقتصر الوفاء للأحبة و الأصدقاء،بل تعداه إلى رسالة أسمى و هي الوقوف إلى جانب العمال ،فـ "أمين" الطالب الجامعي الذي كان دوما يحلم بالدفاع عنهم لم يتردد في ذلك فور تعيينه موظفا بمصنع الورق إذ عمل على تطبيق مبادئه الداعية إلى الدفاع عن حقوق العمال « ها أنت يا "أمين" .يوم دخلت المصنع عاملا . إطارا ... شيء واحد كنت تحلم به .أن تكون إلى جانب العمال هاهي سنة مرت على ذلك.بدأت تعرفهم . درست كثيرا حول الاشتراكية و الرأسمالية ، و الصراع الطبقي . الكتب و النظريات وحدها لا تكفي .اقتنعت بهذا .أردت أن تمارس.أن تقرن النظري بالعملي آمنت أن العلم إضافة نوعية .و اقتنعت أن واقع بلدك يختلف .ناهض كل من يحاول سحب التجارب الأخرى .أنت و أمثالك يتهمونكم بالعمالة.هل يهم ؟. إن الحقيقة جلى من الشمس و المبدأ أعلى حقيقة»[2].

---

[2] - الرواية : (120-121-122-123).
[1] - الرواية : ص (110) .
[2] - الرواية : ص (163) .

كما تجمع أفراد هذه الفئة الأخوة لإيمانهم بأن الانتصار على أعدائهم لن يتم إلا بفعل التضامن و التعاون و الاتحاد ، و هذا ما جاء في حديث "أمين" عن المصنع و عماله « مجلس العمال قاطع الجمعية . ماذا كان يفعل غير ذلك ؟.

المدير ، قبل أن يخرج ، أو قف.في وجهه قالها ولد جدي . " نطالبك بإلغاء قرار الطرد" شجاعة الرجال . في عينيه ." و إلا نحرم عليك هذا المصنع".و من ورائه جاء السيل صوتا واحدا .نبضا واحدا .أحسست ساعتها هذا.. كنت ترقى .ترقى إلى اللاحدود أخذتك النشوة. فاضت جوارحك.طاقة كامنة . كنت تقدرها .هاهي بدأت في التحفز.و السيل سينطلق. هل سيبلغ مداه ؟"أمين ..قاسم..أمين. قاسم.. المعمل للعمال . و الطاعة على الجميع .. مجلس عمل ديمقراطي "»[3].

و من بين الصفات التي تميزهم أيضا حبهم للعمل و فعل الخير،فهم مولعون كثيرا بعملهم يحبون تسيير شؤون مصانعهم بأنفسهم ، و هذا ما حدث فعلا في مصنع الورق « أول ماي : يحتفل العمال بالمصنع . أداروا كل ماكيناته .أنتجوا الحد الأقصى من الورق . من هنا يبدأ التسيير الذاتي قد يدوم أكثر من ثلاثة أيام ... ثلاثمائة عامل على متن الشاحنات أمام محافظة الحزب طالبوا بأخذ موقف نهائي مما يجري. و قدموا لائحة تنديد بمجلس العمال و الشركة الأجنبية و إدارة المصنع ... بات المصنع بين أيدي العمال. كونوا فرقا للمراقبة .و أخرى للأمن .انتخبوا رئيسا على كل ورشة نظام 3 في 8 بصفة رائعة . بعض الفرق كانت تحضر قبل الوقت ...»[1].

و نفس الشيء حدث في مزرعة" بلخير" التي عرفت مشكل تسويق التفاح نتيجة تمادي الجهاز المعني بذلك قصد إضعاف عمالها بغية التخلي عنها لصالحهم ، الشيء الذي دفع بـ"المسعودي" إلى رفع التحدي ضد "الحاج الحرايري" مبرهنا له بأنه باستطاعته و من معه من فلاحين تحمل المسؤولية.

كما تنزع "ذرية النمرود" في مواقفها إلى الجانب الإنساني المتمثل في الدفاع عن المسحوقين من أبناء الشعب و ذلك بتعرية الوضع الاجتماعي المزري و كشف خفاياه ،و تجلى ذلك بوضوح في حديث "ولد ربيعة" الموجه إلى صديقه "المسعودي"« – غلة الاستقلال ما ذقناها يا خويا "المسعودي" أنا قلبي دود . و الحالة طالت . أغنياء وقتنا اليوم .. كيف كانوا قبل الاستقلال ؟؟ من أين جاتهم الأموال ؟؟ ليلة القدر ؟؟ الاستقلال أغناهم؟؟.

---

[3] - الرواية : ص (168) .

[1] - الرواية : ص (175-176).

أعلاه أنت تبقى دائما، تكسب من عرق أكتافك ؟.أعلاه أنا كذلك ؟.أعلاه كل الناس مثلي و مثلك. ربي كتب علينا ؟. لا حاشا .أعلاه "يزيد" وأمثاله يزيد مالهم ؟؟ أعلاه ناس ما تحلق قوت يومها ؟؟ ... »[2].

وجاء رد "المسعودي" على "ولد ربيعة" مفعما بعاطفة قوية اتجاه الضعفاء، وذلك بتحمل مسؤولية الدفاع عنهم « – "ولد ربيعة" يا خويا.همك هو همي . ومثلنا أعطى ربي الخير في كل مكان موجود ...قلبك كما قلبي ، حام . لكن نحب الخير للناس . نحن وأمثالنا موجودون ونبقى ما دام المرض والقهر والجوع ..»[3].

ويعد الدفاع عن حقوق العمال الأميين والوقوف إلى جانبهم مظهرا من مظاهر إنسانية "ذرية النمرود" إذ يجب مساعدتهم وذلك بعدم تركهم فريسة للاستغلاليين والانتهازيين من"ذرية الذئاب". وهذا ما عبر عنه "المسعودي" لصديقه"ولد ربيعة" «– حقيقة.حالة صعيبة ومعقدة . يلزمها الفهم.والفهم التام يجيء من التنظيم. والتنظيم ناقص. لأن الجهل في الصدور– كما الكركاز– في الزرع نابت .. الناس هنا ما تقرأ ما تكتب. إلا القليل . هذه حالة صعبة .. سهل على "الحرايري" وأمثاله تغليط الناس والكذب عليهم الصباح و العشية .. وطول الوقت . وتبقى الحقيقة غايبة . قليل من يجدها .. هاهو أنت . أفرض نفسك ما تعلمت . هل كنت تقدر على يزيد وأمثاله ؟؟ قوة "يزيد" في أمية المناضلين وأنت في حلقومه علقة . لو قدر عليك كان طحنك .»[1].

ويشكل هاجس الوطنية أهم صفة تميز هذه الفئة ، وهو ما عبر عنه الروائي بالصرخة الداخلية التي أطلقها سائق "الحرايري" نتيجة الفساد الذي عم البلاد «.. يا الجزائر يا أم الفقراء . متى يخرج "حديدوان – باب الحديد" ؟؟ وينقذك من الأغوال »[2] . الذين نهبوا المؤسسات ودمروا الاقتصاد الوطني ، لذلك وجب إعادة المسار إلى ما كان عليه سابقا بمنح السلطة للثوار المؤمنين بضرورة بناء دولة قوية فـ « الاشتراكية يلزمها حزب ثوري . وإلا تعثرت التجربة . الثورة كما "البابور" في البحر الحزب الثوري هو قايدها »[3].

وفي الأخير أؤكد على أن الروائي أسقط كل هذه الصفات السامية على"ذرية النمرود"، لأنها حسب رأيه تمثل التوجه السليم في الحياة التي يتبناها هو تحديدا باعتباره من دعاة الاشتراكية والمدافعين عليها .

ب–القيم المبتذلة:

---

[2] - الرواية : ص (93).
[3] - الرواية : ص (93).
[1] - الرواية : ص (86-87).
[2] - الرواية : ص(71).
[3] - الرواية : ص (91) .

إن موضوع الفن بكل أنواعه وأشكاله هو « الإنسان في علاقاته بالواقع وبقدر ما تكون هذه العلاقات والصلات متنوعة. يدخل في دائرة الفن كل تنوع العالم المادي. فالفن يعطينا لوحة كاملة للحياة الاجتماعية إذ يرينا الإنسان في إنتاجه ، وفي حياته اليومية ، في معاناته الصميمية وتصرفاته الاجتماعية ... »[4].

وإذا دخل القبح في ميدان الفن فإنه يأخذ « صورة مثالية تمنحها له قوانين الجمال العامة كالتناسق والانسجام والتناسب وقوة التعبير الفردي ، ونتيجة هذه المثالية ليست تخفيف القبح أو التغيير منه بمداراته ، ولكن على العكس تماما ، أعني تأكيد طابعه الأصيل المميز »[5].

والأشياء القبيحة هي تلك التي تمثل « الخصائص المناقضة للحيوية العامة ، أو المناقضة لما أن نعده صورة أو صفة للوجود الحي خاصة بها . ثم يفرق "هيجل" بين الجمال في الطبيعة والجمال في الفن بأن الأول لم يقصد إلى إنتاجه بصورة واعية ويقصد التأثير الجمالي ، ومن ثم فإن العمل الفني مهما كانت الأشياء التي يحكيها قبيحة فإنها لا تجعل العمل نفسه قبيحا لأن العمل الفني يتمتع بقيمة جمالية منفصلة عن جمال الشيء أو قبحه»[6].

والفنان المتمكن والذكي هو الذي ينقل إلينا « الشيء الجميل في نظرنا أو كما هو معروف لنا أيضا. والمتعة التي تحدث لنا بسبب مهارة الفنان في نقل القبح تحمل في طيها ضمنا أن ما هو قبيح كل القبح ولكنه معجب في الفن فيه شيء يستطيع الإدراك أن يفهمه على أنه جميل وهذا الإدراك بطبيعة الحال هو إدراك الفنان أولا وإدراك المستمتع بفنه ثانية »[1].

إن السمات القبيحة في رواية "زمن النمرود" تبدو في تصوير شخصيات"ذرية الذئاب" مهلهلة من الداخل وخاصة فيما يخص العلاقة مع الجنس الآخر – المرأة – فظهر في الرواية رئيس البلدية وأصدقاؤه مدمنين على ممارسة الجنس مع نساء هن لسن حل لهم . كما أن الشخصيات الفاعلة في هذا الطرف المتمثلة في الحاج"عون الله" و " الحاج الحرايري" و" يزيد" ينطبق عليهم نفس الحكم إذ أن « ثلاثتهم يجمعهم الكبت الجنسي الذي يعبر في حالتهم عن غياب التوازن ويؤشر على فشلهم الذريع في إقامة علاقات إنسانية مشبعة ، الأول من خلال علاقته المشبوهة مع "أم الخير" والثاني والثالث عبر رفضهما على التوالي من طرف "جازية" و"يمينة" »[2].

ويشكل الظلم عبر صفحات الرواية الحيز الأكبر إن لم أقل أنها بنيت عليه ويظهر ذلك في إقصاء" المانكو" و"زينب" و "يمينة" من الحزب ، وفي منع ترشح معارضيهم لمختلف المنظمات

---

(4) - جماعة من الأساتذة السوفيات : أسس علم الجمال الماركسي اللينيني ، ج (2) ، ص (42).
(5) – عز الدين إسماعيل :الأسس الجمالية في النقد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، (دط) ، (1992) ، ص (51).
(6) - المرجع نفسه : ص (50) .
(1) - عز الدين إسماعيل :الأسس الجمالية في النقد، ص (49).
(2) - حسن بحراوي : الرواية والواقع ، قراءة في رواية (زمن النمرود) ، ص (79).

الجماهيرية وإبقاء السيطرة لصالحهم . وهذه الصورة توضح لنا مدى تماديهم وعزلهم لغيرهم بإقصائهم من ممارسة أي نشاط ، فكيف بمدير شركة يشغل منصب أمين عام للعمال ويدافع عن مصالحهم بثنائية المنصب « غير المناضل في الحزب لا يحق له تقلد مسؤوليات على رأس المنظمات الجماهيرية... مناضلونا قبل كل شيء ، وفوق أي اعتبار .

– قالوا : عدد آخر من الأشخاص سلم بطاقات العضوية في الحزب.مجلس القسمة كاد أن يتفجر حول هذا . أكثر من الثلث كان رافضا .

الأنصار في القسمة قالوا : للنفوذ القبلي دوره في مثل هذه المعارك . نسلم اليوم ونسحب غدا بمثل هذه البطاقات نضمن لأنفسنا ولحلفائنا الفوز كالعادة .مسألة كهذه يرتب لها في زردة خاصة . تنظم عادة خارج المدينة »[3].

ويتجلى الظلم أكثر في الزج بزعماء" ذرية النمرود" داخل السجن نتيجة مواقفهم المتصلبة الرافضة لأي شكل من أشكال التسلط ، وفي محاولة اغتصاب" يزيد" لـ" يمينة".

وتشكل المناصب الحساسة التي تشغلها هذه الفئة وتحلم بما هو أكبر منها مصدر جبروتها في كبح أي محاولة تدين أعضائها ، ويظهر ذلك في تمني "الحاج الحرايري" النيل من"عوج الفم " و"ذرية النمرود" باعتبارها تمثل خطرا حقيقيا عليه خاصة فيما ينسج حوله من شائعات«آه يا "عوج الفم".لو كنت في منظمتي..النفي معك .. إلى "رقان" .. لا يكفي. أمثالك و "ذرية النمرود" .. لو أحكم يوما واحدا في حياتي .. أجمعكم و أبطحكم على الأرض مسلسلين في طريق طويل.فوقكم بالدبابات آمر بالمرور. أضلاعكم أسمعها تتهرس . تنطحن . آخرتها تصحو كالعادة،و أتكفل بك . اصبر يا "عوج الفم"»[1].

و لما كان أعضاء "ذرية الذئاب" من المتعلمين فهم يرفضون مشاركة غيرهم من الأميين في تسيير شؤون البلدية للإعلاء من منزلتهم و الحط من مكانة الطرف المنافس لهم ، فهذا "الحاج الحرايري" يتكبر على"أولاد إبراهيم" و ينعتهم بأرذل الصفات لإحباطهم نفسيا«الاستقلال بن الكلب .. يا "أولاد إبراهيم " الغشم .. فقط اليوم ظهرت لكم القسمة ؟؟ و البلدية كذلك ؟؟ يا "أولاد ابراهيم" هذه مسائل تلزمها التجربة ، و أنتم غشم عجم .. الواحد منكم كما الحلوف "يزيد" باق في القسمة و ربي كبير .

يا "أولاد إبراهيم" من أين دخلت لكم السياسة ؟؟ هه الحزب أصبح "دار فطيمة" .. أركب بغلك و ادخل في الباب بين حنة يدك .»[2].

---

[3] - الرواية : ص (15-16).

[1] - الرواية : ص (27).

[2] - الرواية : ص (27).

و عندما لاحظوا شعبية منافسيهم من الأعضاء الفاعلة في "ذرية النمرود" في ازدياد مستمر لجاوا إلى الكذب عن طريق ترويج الشائعات ضدهم بأنهم كفار و ضد مبادئ الحزب « هاهو "سي مقدر" و أمثاله استغلوا مناصبهم . عملهم مراقبتنا . تكليحنا . تهديدنا و طردنا .
قالوا : ما سكتوا . كذبوا ما حشموا . حرفتهم الاتهامات الباطلة . هذا شيوعي . هذا مشوش . هذا مخرب . هذا ضد الحزب ..التقارير و التليفونات ما تنقطع على "الحاج عون الله " بألسنتهم لحسوا سباطه. من ثمة ، من العاصمة يعطيهم بركته . مرة على مرة يضرب دورة هنا. »[3].

و لم يقتصر دورهم على الكذب بل تعداه إلى صفة أرذل تمثلت في الخداع ، و يظهر ذلك في الخطاب التمويهي الذي وجهه "يزيد" إلى كاتب القسمة "ولد ربيعة" بخصوص "ذرية النمرود" و تصويرها له بأنها على ضلالة و أنه هو وأتباعه من يسيرون على الدرب السليم « يا "ولد ربيعة " تأكد هم يخدعونك. و يقسمون صفوفنا ليسوا من حزبنا . يسيطرون على العمال و الشبان . و أنت تعرف يا"ولد ربيعة" لا أنت عامل ، و لا أنت شاب ."هارون" أعرفه خيرا منك . ولد المرأة . من "أولاد بخالد". بيننا دم وهم . أخذته "ذرية النمرود" يوم حضر مؤتمر الشبيبة . ما يرجع لو سببنا له عند قاهر"همشروش" . أصبح عدوي غدا يصبح عدوك ... هو خطر عليك كما خطر علي . أفكاره أصبحت هدامة.بدأ يجلب لك الشك عند المسؤولين .نائب المحافظ و"الحاج الحرايري" في المدة الأخيرة قالها لي : كاتب قسمتكم علاقته طيبة مع الشبان خاصة "هارون".أنت تعرف ماذا يقصد يا "ولد ربيعة " كلام "ذرية النمرود" يغر. أنصارهم حتى في حزبنا . يقولون تجديد الحزب و هم يبغون السيطرة عليه . الله يلعنهم...»[1].

و يظهر الخداع أكثر من ذلك في التلاعب بنتائج الانتخابات ، إذ نجد "سي مقدر" المشرف على هذه العملية يتآمر على تزويرها بمكر شديد « أنت "سي الطاهر" تواصل الاتصال برؤساء الأفواج تمنيهم و تعدهم بالترقية داخل المنظمة و الحزب . بشرط كل واحد يلعب دوره .. كل واحد يقنع غيره و يقول : "سي يزيد" مناضل قديم قادر.إلخ .. أنت تعرف . و بعدها يفهم الأرقام في القايمة و يحفظها .
– القايمة إذا كانت ثنائية نكتب أسماء الأعداء في الجهة اليسرى و أسماء جماعتنا في الجهة اليمنى . و يوم الانتخابات نطلب من جماعتنا مسح الجهة اليسرى . الأمر سهل»[2].

و بفعل المناصب الحساسة التي كانوا ولازالوا يشغلونها أصبحوا من ذوي الأموال الطائلة وهذا بنهبهم لخيرات المؤسسات العمومية دون التفكير في مصيرها و مصير عمالها . و لعل الصورة التي رسمها سائق التعاونية لمديره "التامدي" تبرز لنا كيفية ثراء "ذرية الذئاب" « ... ذك سيارة المدير"التامدي" شراها بدراهم التعاونية .. مرة سألته عليها تبوقل . نهرني وقال لي : تدخل في حياتي

---

[3] - الرواية : ص (61).
[1] - الرواية : ص (36-37).
[2] - الرواية : ص (146).

الخاصة ؟ بعد أيام قليلة استدعاني و قال لي : كلهم سراق.. و المحاسب سرق ثلاثة ملايين و أعطاها لابن عمه "الحاج المزرقط" يشري له بها سيارة . و لكن انفضح و مازال يترس في الحبس. عمال التعاونية كانوا كتبوا رسالة سرية لرئاسة الجمهورية .. متطوع من المتطوعين كان قد ساعدهم قالوا فيها : أموال الدولة و الشعب تسرق قدام ربي وعباده ..." سي التامدي " في الصيف الماضي كان جلب شاحنة من الدلاع بلا فاتورة و باعه في حانوت التعاونية و الدراهم رجعت له »[3].

و لكي يتسنى لهم الاستمرار في النهب و بسط نفوذهم لم يتوانوا في تدبير الدسائس لكل من يعترض طريقهم من الطرف الآخر . فهذا "الحاج الحرايري" يدبر الكمين لكاتب القسمة "ولد ربيعة" بغية تنحيته و إخلاء الجو لصديقه "يزيد" «– و هذا "ولد ربيعة ".. مازال تابعك ؟؟ هو معلم . تدرس معه معلمة ؟؟ حك راسك . دبر له حيلة . تعرف المعلمة ؟؟ اتصل بها يا سيدي . ادفع لها إذا بغت . المهم "ولد ربيعة "يقع في الشبكة.من ثمة تسهل علينا الحالة .. الفضيحة و الحبس يلزم "ولد ربيعة" . إذا المعلمة رفضت.. المعلمات أعطى ربي الخير.ابحث عن امرأة ، اتصال.فهمها بالأمر ... يتزوجها أو يدخل الحبس ... كسره حطمه .. هاهو سلاح آخر . قال: شيوعي. ملحد. كافر . له اتصالات مع "هارون" و "هارون" له اتصالات مع "أمين" و "أمين" له اتصالات مع الروس. الناس هنا مغندفة والأمخاخ سهل أكلها . قال : "ولد ربيعة" ..فاسق . النهار بكامله وهو يسب الأولياء »[1].

إن مصدر تصرفاتهم و أعمالهم السلبية هذه إنما هي نتيجة ظلاميتهم الرافضة لأي تطور للبلاد فهم يجهلون نهاية الطريق الذي يسلكونه ، فـ "الحاج الحرايري" مثلا بالنسبة له « الشعب و الدولة و الثورة و المسؤولية في حسابه زائد ناقص . تحرق الجزاير ؟ تخرب ؟ يحتلها الأعداء ؟ ما تهمه . يا أم الفقراء.. على مصالحه قادر يبيعك للشيطان »[2]. فالاستقلال بالنسبة له ينحسر في إعطاء الحرية للناس في العمل و الإنتاج دون أية قيود قانونية تنظم ذلك وكأني به في غابة يأكل فيها القوي الضعيف.

وبسبب جهلهم لعواقب سياستهم التي انتهجوها نراهم ينظرون إلى المستقبل بضبابية يملؤها الخوف نتيجة ازدياد أعدائهم وإلحاحهم المستمر على تطبيق الديمقراطية في الحكم، وهذا ما جاء في الحوار الثلاثي الذي دار بين"الحاج عون الله" و"الحاج الحرايري" و"يزيد" «– الحق معك. المشاكل كبرت و العديان كثروا. تقاوم من؟. كما العلك صرنا في الأفواه. تقاوم من؟ ذرية النمرود؟ المناضلين

---

[3] - الرواية : ص (137-138).
[1] - الرواية : ص (81).
[2] - الرواية : ص (71).

المرتبطين بهم؟ المتعاطفين معهم من حزبنا؟ تقاوم المفرخ الجدد في الحزب؟؟ تقاوم من يشد العصا من الوسط؟؟ تقاوم الصامت في حزبنا؟ من تقاوم؟؟

–يا"سي يزيد"..معه الحق. إذا حللنا وجدنا الجميع ضدنا. كل واحد منهم يبغي نهايتنا. واحد يعمل عليها الليل والنهار. واحد يكنها في صدره وما يتكلم. واحد يقولها بالجهر... هذا بسبب الديمقراطية... ربي يعلم. ربما تتبدل هذه السياسة؟؟ ربما؟؟... كما الطفل صرت بينكم؟؟ هذه نصائح ما عندها معنى. قولوا كيف العمل؟؟ الوقت دهمنا والعدة ما جمعناها. يكفي من مجاملتي..أنا نبهتكم... »[3].

لذلك نجد الفكر الشوفيني يسيطر على أذهانهم فهم دوما يحاولون إثبات ذاتهم ونكران الذات المعادية لهم. وهذا ما عبر عنه "سي مقدر"في الخطاب الذي وجهه للمرشحين لرئاسة القسمة ،إذ لا يمكن في نظره بأي حال من الأحوال أن تكون السلطة إلا للذين مارسوها من قبل،ويعني بذلك استمرارية بسط نفوذهم« –أيها الإخوة المناضلون. المسؤولية تلزمها التجربة والتدبير... حسب ملفاتكم بين أيدينا.. قليل منكم عنده تجربة تمكنه من تحمل منسق قسمة...أيها الإخوة المناضلون لا يخفى عليكم. معنا في القاعة مناضل كبير. بذل جهده وعرقه ووقته..

–وما تنسى ماله..

–في سبيل هذه القسمة ومناضليها..لذا من غير المعقول أبدا الاستغناء عن تجربته...أيها الإخوة تكوين إطار في الحزب يلزم الوقت والجهد... أيها الإخوة.. بدون إطالة. وهذه رغبة المسؤولين في المحافظة... نقترح عليكم كمنسق الأخ المناضل "سي يزيد"»[1].

وفرض الذات على حساب الغير نابع أصلا من كونهم لا يؤمنون بإنسانية الطرف الآخر الذي يبحث عن فرض وجوده والتمتع بحقوقه. فهم يرون بأن البقية من أبناء الشعب ينحصر دورها في خدمتهم لذلك وجب معاملتهم بوحشية كي ينصاعوا لأوامرهم ،وهذا ما جاء على لسان"الحرايري" تحديدا عندما قال: « العرب، ما يليق بهم سوى السوط. العربي سوطه يخدم كما البغل، وجوعه يتبع كما الكلب. شف وتعجب..حتى الرعيان والخماسة بالأمس، اليوم شبعوا كروشهم. الله يلعنك يا استقلال »[2].

وهذا الموقف التعسفي اتجاه الآخرين الذين يمثلون أغلبية الشعب مرده إلى المعاداة والحقد الدفين اتجاههم لأنهم يعارضون سياستهم التي لا يعترفون فيها لا بالثورة الاشتراكية ولا بالشهداء الذين ماتوا من أجلها، ولا بالمجاهدين والمناضلين الذين يسعون إلى تكريسها على أرض الواقع. وهذا ما عبر عنه"عوج الفم" في وصفه" للحاج عون الله" «النمرودي في عرفك هو كل واحد نطق بالثورة. آمن بها. كل واحد

---

[3] - الرواية: ص(142-143).

[1] - الرواية: ص(188-189-190).

[2] - الرواية : ص(69).

شاف المنكر وقال يتغير. في المهرجانات والتجمعات، تكلح. حلقك ينشف. يقبضك الوسواس. تكذب وتقول:" تحيا الثورة الاشتراكية" وفي نفسك تلعنها. وتلعن المؤمنين بها. تقول الرايس قال: وأنت تحرف كلامه. تحاربه" السم في العسل". تقول: جبهة التحرير كذا وكذا. وأنت مغلق أبوابها. تحارب وتطارد مناضليها الصحاح.

تقول في التجمعات: المجد والخلود للشهداء. وأنت تأكل كل يوم حقوق أولادهم. وتدوس قبورهم. لو كان الشهداء من قبورهم قاموا. مثل الخاين حاكموك.

ناس "سعيدة" في تاريخها ما عرفت الظلم مثل ظلمك.. ربما عرفوا ظلم الكولون. ظلم"بيجار"...»[3].

وعموما فإن كل هذه الصفات القبيحة التي نعت بها الروائي "ذرية الذئاب" إنما هي في حقيقتها حكم قاطع على الفشل الذريع لسياستها التي تعبر عن استمرار الاستعمار على الرغم من استقلال البلاد، وهو حسب رأيي طرح يتماشى وفكر الروائي الرافض للرأسمالية والمدعم للاشتراكية التي هي في نظره مكسب لا يمكن التنازل عنه بأي شكل من الأشكال، لأنها تضمن العدالة والمساواة لأبناء الشعب الواحد ،وتضمن لهم حقوقهم الاجتماعية والسياسية.

2-مقولة الكاتب:

إن لكل رواية مهما كان عدد صفحاتها أو حجمها، ومهما كانت لغتها أو لغاتها أو ترجمتها أو أساليبها، فهي تحوي في متنها مقولة أو ما يسميه نقاد البنيوية"الجملة".

ومقولة رواية" زمن النمرود" بإشارات عنوانها الذي يحيلنا إلى فترة أول جبروت على وجه الأرض، أو هيمنة الفرد على السلطة، أو الهروب بمال الشعب ومؤسسات الدولة نحو الخفاء للفناء. وهنا تجلت الديمقراطية الزائفة لحرية الفرد والجماعة على الرغم من التنظيم المبكر للشعب الجزائري المكافح والمناضل أبدا نحو التحرر و الانعتاق من الاستعمار والهيمنة الفردية والاستعباد. ويبقى الكاتب "الحبيب السايح" محبا للأرض والوطن و مدافعا عن حرية الإنسان الفردية والجماعية.

---

[3] - الرواية: ص(65).

I- ملخص رواية "زمن النمرود":

اختار "الحبيب السايح" الكتابة الروائية النقدية حيث المسؤولية التاريخية تفرض نفسها على الروائي أمام الواقع السياسي و الاقتصادي والاجتماعي.

ورواية "زمن النمرود" أخذت شكل الصراع داخل عالم تتفاوت طبقاته من حيث مراكز القوى. إنها ليست رواية عن صراع أفراد داخل بلدية من أجل اعتلاء رئاسة مجلسها، أو بين نقابة محلية للفلاحين و عمال المصانع و على الهيئة المشرفة عليها. بل إنها رواية عن الوطن الأم الجزائر، و ما حدث فيها من تغيير على جميع الأصعدة، و ما ينبغي أن تكون عليه.إنها مواجهة ضد الانتهازيين الذين حاولوا تخريب الاقتصاد الوطني و تدميره بسعيهم لتحطيم المسعى الاشتراكي آنذاك.

والرواية صورت أزمة الديمقراطية في جزائر الاستقلال ، و بالتحديد فترة نهاية السبعينيات و بداية الثمانينيات ، و هذا بعرضها و فضحها للانتخابات المحلية البلدية و الولائية التي أجريت في غضون (1978) بمدينة "سعيدة" نموذجا ، و التي تمثل مسقط رأس الروائي.

لقد جسدت هذه الرواية تلك الانتخابات في صراع ناري بين طرفين متعارضين. الطرف الأول همه الوحيد من دخول هذه الانتخابات الوصول إلى السلطة من أجل كسب الثروة و الإبقاء على استمرارية نفوذه و مصالحه ، و شخصياته أطلق عليها الروائي اسم "ذرية الذئاب" أو"الحلاليف"، أو "بني كلبون". أما الطرف الثاني الذي يمثله المجاهدون المخلصون ، و فئة الشباب الواعين بتحمل المسؤولية و ضرورة بناء اقتصاد وطني قوي ، فأطلق عليهم تسمية "ذرية النمرود" فـ«النمرودي هو كل واحد نطق بالثورة ، آمن بها، كل واحد شاف المنكر و قال يتغير» [1].

وبالنسبة للشخصيات التي تمثل الكتلة الأولى نجد "الحاج عون الله" مسؤول سياسي كبير في الحزب دخل السجن سنة (1958) ، و بعد الخروج منه فر هاربا إلى تونس ، ثم عاد بعد الاستقلال إلى أرض الوطن كزعيم سياسي دافع عنه من أجل استقلاله. كان همه ضمان مستقبله، لم يتمن يوما واحدا في حياته نجاح الثورة. كان شعاره محاربة "ذرية النمرود"«أغلقوا الطريق في وجه "ذرية النمرود" داخل حزبنا، نظفوا المنظمات الجماهيرية منهم » [2] .حيث نصب من أجلهم الجواسيس في مختلف أجهزة الحزب و المنظمات. وهذه الشخصية تمثل رأس حربة "ذرية الذئاب".و يأتي في المركز الثاني من حيث الأهمية "الحاج الحرايري" مسؤول اتحاد الفلاحين ، مناضل هو الآخر في الحزب لكنه يكفر بمبادئه ، كذاب لدرجة ادعائه المشاركة في ثورة التحرير،همه الوحيد المحافظة على مصالحه و توسيع ممتلكاته على حساب غيره . و في المركز الثالث "يزيد" مجاهد سابق و منسق لخلية القسمة حاليا ، ومع ذلك

---

[1] - الرواية: ص (65).
[2] - الرواية: ص(48).

فهو أيضا لا يؤمن بمبادئ الحزب كسابقيه ، همه الوحيد الظفر برئاسة القسمة لأنها في نظره تمثل الطريق المؤدية لكسب النفوذ و المادة على حساب الضعفاء . كما أنه يعمل على تفريق شمل البلدية و يكن الحقد الشديد لـ "ذرية النمرود" و على رأسهم غريمه المعلم "ولد ربيعة" كاتب القسمة الذي يمثل بالنسبة له حاجزا منيعا في الوصول إلى مآربه الخبيثة .

أما عن الشخصيات الثانوية التي يمكن إضافتها إلى هذا التكتل فنجد الأمينة الولائية للاتحاد النسائي "أم الشيخ" ذات العلاقة الوطيدة بـ "الحاج عون الله" لذلك سعت إلى طرد "يمينة و زينب" من الاتحاد النسائي ، كما طلقت زوجها ورمت به إلى ما وراء الحدود .و نجد أيضا شخصية"سي مقدر" مدير مصنع الورق الذي سعى إلى تزوير نتائج الانتخابات بإيعاز من أعمدة "ذرية الذئاب".يضاف إلى هاتين الشخصيتين شخصيات أخرى كـ"الشاف" قائد فرقة الدرك الوطني الذي خضع لأوامر سلطة الحزب فتعرض لشخصيات "ذرية النمرود" بالسجن والتعذيب . و أخيرا نجد "التامدي" و هو مدير تعاونية فلاحيه نهب أموالها و بددها في شرب الخمر و التبراح في الأعراس.

أما عن التكتل الثاني الملقب بـ "ذرية النمرود" فهو يتكون من جيلين ، الأول جيل الثورة من المجاهدين الأوفياء لوطنهم ،و يمثله كل من (المعلم) الملقب بـ "ولد ربيعة"، مجاهد مخلص قاوم كل مظاهر الفساد داخل قسمة البلدية خاصة بوقوفه في وجه "يزيد" كاتب القسمة،فاتهم بالإلحاد و الفسق . كما نجد "المانكو" الذي فقد ذراعه اليمنى في حرب التحرير واشتغل حارسا بالقسمة بعد الاستقلال ، يحضر اجتماعات الحزب دون أن يلفظ كلمة واحدة لأنه عزل منه بسبب اتهامه بالتشويش و هذا لرفضه سياسة أعضاء الحزب،و كان آخر ما ناله التقاعد فبقي متحسرا على ما آلت إليه الأوضاع . و الشخصية الثالثة "المسعودي" هو الآخر مجاهد التحق بالجبل و أودع السجن حيث عذب فيه شر تعذيب . تقلد بعد الاستقلال منصب رئيس فوج عمال بإحدى المزارع التي كان ساخطا على من يديرون شؤونها.

أما من جيل الاستقلال فنجد مجموعة من الشباب آمنت باستقلال وطنها و بضرورة استمرارية الثورة ، و ذلك بالعمل على تجسيد الاشتراكية ، يتصدرهم " أمين "، نقابي و مناضل ذو اطلاع واسع على الأنظمة الاقتصادية العالمية – الاشتراكية و الرأسمالية – سعى إلى توحيد عمال مصنع الورق الذي يعمل به فطرد منه و زج به في السجن بحجة تحريض العمال . تليه في المركز الثاني شخصية "هارون" ابن الثانية و العشرين سنة أمينا ولائيا للشبيبة ، دخل السجن هو أيضا بسبب مقال انتقد فيه"ذرية الذئاب". كما نجد أيضا شخصية "عوج الفم" الذي كان نائبا في مجلس البلدية لمدة أربع سنوات ، لم يخف عداءه للاشتراكيين و لا لأعدائهم ، لأنه باديسي الفكر و التوجه لكنه يتقاطع مع الاشتراكيين في مقاومة المفسدين من "ذرية الذئاب" فهو نمرودي «ابن باديس مات و ترك زريعته ، ذرية النمرود...

» [1] . و"عوج الفم" هذا لا يرحم أحدا بلسانه فهمه الوحيد ترويج الشائعات من داخل "مقهى تشراك الفم".

ومن الشخصيات الثانوية التي تضاف إلى هذا التكتل "يمينة و زينب"، الأولى ممرضة حاول يزيد اغتصابها لكنها قاومته بكل ما أوتيت من قوة ، فروج لتشويه سمعتها و أمر"أم الشيخ" بطردها من المنظمة النسائية .أما الثانية فهي معلمة طردتها "أم الشيخ" أيضا من المنظمة النسائية و هذا لموقفها المساند لـ "زينب" ولـ "ذرية النمرود"عامة.

كما أن هناك شخصيات أخرى ورد ذكرها في الرواية إلا أنها هامشية.

إن الحدث المركزي لهذه الرواية يدور حول الانتخابات لمجلس البلدية ، وعلى هذا الأساس قسمت أحداثها إلى –ثلاثة، فالمقطع الأول الأكثر طولا ثري بمظاهر الصراع بين الكتلتين المتناحرتين فـ "ذرية النمرود" عملت على تنظيم نفسها و إسماع صوتها للرأي العام بتمرير أفكارها داخل المصانع و التعاونيات الفلاحية و المنظمات الجماهيرية و في المقاهي ، بينما ركزت "ذرية الذئاب"على أعيان العروش و على من يمثلها داخل كل الأجهزة الموجودة بالبلدية وخارجها من أجل تدبير المكائد لغريمها . كما يظهر في هذا المقطع استرجاع بعض أحداث الماضي و ما تحمله من وقائع.

أما المقطع الثاني فيمثل ذروة الصراع حيث الانتخابات بدأت فعلا، فوصل الحد بين الطرفين إلى التصادم الدموي بعد أن وصلت "ذرية النمرود" إلى الفوز بالانتخابات ، الشئ الذي ألهب نار الثورة ضدهم من طرف "ذرية الذئاب".

أما المقطع الأخير فكان صورة حية للديمقراطية الزائفة،إذ زورت "ذرية الذئاب" نتائج الاقتراع وزجت بمعظم زعماء "ذرية النمرود" في السجن.

و بخصوص الزمن الروائي فتمثل في الماضي الذي استحضر فيه الروائي بعض الوقائع التاريخية كسنة (1936) التي تمثل انعقاد المؤتمر الإسلامي الذي سعى فيه "ابن باديس" إلى لم شمل جميع التيارات السياسية الجزائرية من أجل الوصول إلى أرضية مشتركة و من ثم الذهاب إلى فرنسا للتحاور مع سلطتها . كما ورد أيضا ذكر سنة (1945) و هي إشارة إلى الأحداث الدامية التي عرفتها الجزائر آنذاك .بالإضافة إلى استحضار بعض سنوات الثورة المسلحة بذكره لسنتي (1956–1958) ليذكر بعد ذلك سنة (1963) و هي السنة التي تمثل انتخاب أول رئيس للجمهورية الجزائرية المستقلة.

أما زمن المستقبل فيظهر في حلم "ذرية النمرود" في انتزاع السلطة عكس الطرف الثاني الذي يسعى لاستمرار بسط نفوذه و رفض سلطة "ذرية النمرود" بالعنف و التحايل و التزوير. كما أن الزمن الفلسفي ينزع إلى مفهوم الخطاب المطلق إذ تجاوز الذات الكاتبة المبدعة و المحلية ، وتجلى ذلك في

[1] - الرواية : ص (46).

قصة"الشيخ بوعلام" و "الحاج المجذوب" صاحب "الحمامة الزرقاء".يضاف إلى ذلك الحلم الذي يشكل « الهروب من الواقع ، يسهم في تداخل الماضي بالحاضر بالمستقبل و يبرر ذلك و من ثمة يقوم بتكسير النسق التقليدي للزمن فضلا عن إسهامه في تعدد الفضاءات و تداخلها و كشفه عن مدى تأزم الشخصيات و تداخل حدود الحقيقة و الخيال في الوقائع المروية إلى حد التماهي و تعدد مواقع الحلم في الرواية و كأنه يمثل أفق خلاص من وطأة معاناة الواقع » [1] .

وأخيرا نرى التداعي حاضرا و يظهر ذلك في استحضار ماضي الشخصيات و حاضرها.

و تعتبر مدينة "سعيدة" المكان الرئيسي لأحداث هذه الرواية، حيث تناول فيها الروائي بالوصف و التصوير و التشخيص عدة أمكنة ذات دلالات و رموز فنية نابعة من رؤيته الأيديولوجية للمجتمع و التاريخ. و فيها ركز على مكانين هامين يمثلان بؤرة الأحداث هما:

المقهى الذي يمثل مكانا لتجمع كل الفئات خاصة البسيطة منها إذ يعتبر مكانا للممارسة السياسية بكل حرية، حيث تتعرض من خلاله السلطة الحاكمة إلى النقد اللاذع. كما تبرز فيه شخصية "عوج الفم" كزعيم سياسي يكشف خبايا الطرفين المتصارعين.

أما المكان الثاني فهو"دار القسمة" التي تمثل النفي و العزلة عن الممارسة السياسية حيث السيطرة فيها لـ"ذرية الذئاب"، و من يخرج عن توجهاتها و قراراتها يطرد من الحزب، كما تمثل أيضا مكانا لنسج و دس المكائد من طرف "ذرية الذئاب" لأعدائها.

إن رواية "زمن النمرود" ماهي إلا دعوة لضرورة التغيير الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي و أن القضية ليست قضية شخص واحد بل هي قضية أمة و مجتمع ينبغي تحريره .

ويمكن القول أن الروائي طرح قضية المواجهة و التغيير كحل للمسألة التاريخية بكل جوانبها. و على الرغم من إشارته إلى بقاء الصراع الاجتماعي و السياسي و سيطرة أعداء العدالة على الحكم، إلا أنه أكد أن أمثال "ذرية النمرود" موجودون للقضاء على الظلم و القهر و الاستبداد على الرغم من أن التاريخ كتب عليهم ألا ينتصروا ، أو أنهم ينتهون إلى السقوط لانتصار الموقف المعادي للحق و العدالة و الديمقراطية.

II- الشخصية الروائية في رواية" زمن النمرود ":

[1] - بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص (238).

1- مفهوم الشخصية الروائية:

يعتبر مفهوم الشخصية من المفاهيم الحديثة في المعاجم العربية،حيث ورد ذكرها في "المعجم الوجيز"(الميسر) على أنها« صفات تميز الشخص من غيره.ويقال:فلان ذو شخصية قوية:ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل».[1]

و الشخصية الروائية تعددت مفاهيمها حسب نظرة كل ناقد لمعناها الجوهري ،فـ"فيليب هامون" رأى بأنها «ليست مفهوما أدبيا محضا،وإنما هي مرتبطة أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص ، أما وظيفتها الأدبية فتأتي حين يتحكم الناقد إلى المقاييس الثقافية والجمالية»[2].

وميز"ميشال زيرا فا" بين الشخصية الحكائية (Personnage) والشخصية في الواقع(Personne) حيث اعتبر« الشخصية علامة دالة فقط على الشخصية الحقيقية:"إن بطل الروايةً هو (شخص personne) في الحدود نفسها التي يكون فيها علامة على رؤية ما للشخص"»[3].و معنى هذا أن الشخصية الروائية لا تعكس فعلا الشخصية كما هي عليه في الواقع بل تلامسها فقط.

أما "رولان بارث" فرأى بأنها«نتاج عمل تأليفي» [4].و يقصد من وراء هذا أن«هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف و الخصائص التي تستند إلى اسم (علم) يتكرر ظهوره في الحكي»[5].

و البنيويون المعاصرون ينظرون إليها على أنها بمثابة «دليل(signe) له وجهان احدهما دال (signifiant) والآخر مدلول(signifier) ،وهي تتميز عن الدليل اللغوي اللساني من حيث أنها ليست جاهزة ولكنها تحول على دليل فقط ساعة بنائها في النص ،في حين الدليل اللغوي له وجود جاهز من قبل، باستثناء الحالة التي يكون فيها منزاحا عن معناه الأصلي ،كما هو الشأن في الاستعمال البلاغي مثلا ،وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث أنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها .أما الشخصية كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها ،وسلوكها ،وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته ،ولم يعد هناك شيء يقال في الموضوع»[6].

ولهذا السبب لجأ بعض النقاد إلى ربط الشخصية الحكائية بالقارئ،من بينهم"بومانت Bomant الذي أكد على أنه من الطبيعي والصعب« أن نجد بين أنفسنا شخصية من الشخصيات التي نعرفها ولم نفهمها نوعا من التعاطف ، ومن هنا كانت أهمية التشخيص:caractérisation في القصة فقبل أن

---

(1) – مجموعة من المؤلفين : المعجم الوجيز (الميسر) ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، (ط1)،(1993)،ص(285).

(2) - أحمد شريبط: الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر ،رسالة ماجستير بإشراف د/ محمد ناصر ، معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة الجزائر ، (1986- 1987) ، ص (37).

(3) - حميد لحمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ص (50).

(4) - المرجع نفسه : ص(50).

(5) - المرجع نفسه : ص(51).

(6) - المرجع نفسه: ص (51).

يستطيع الكاتب جعل قارئه يتعرف مع الشخصية وجدانيا يجب أن تكون هذه الشخصية حية ،فالقارئ يريد أن يراها وهي تتحرك ،و أن يسمعها وهي تتكلم ،ويريد أن يتمكن من أن يراها رأى العين»[1].

وهذا ما عبر عنه"فيليب هامونHamon. PH"عندما رأى بأن«الشخصية في الحكي هي تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص »[2]. فحيويتها وحكايتها شرط ضروري لكسب مشاعر القارئ وبالتالي التعاطف معها.

إن الشخصية الروائية ما هي إلا أحد «الأفراد الخياليين ، أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداثها،ولا يجوز الفصل بينها وبين الأحداث، فبناء كل عنصر يحتاج إلى الثاني، فالشخصية لم تعد تحدد بصفاتها وخصائصها الذاتية ،بل بالأعمال التي تقوم بها ونوعية هذه الأعمال»[3].

إن كل عمل روائي أو قصصي يقوم أساسا على وجود الشخصية فهي «مصدر إفراز الشر في السلوك الدرامي داخل عمل قصصي ما ، فهي بهذا المفهوم فعل أو حدث ، وهي التي في الوقت ذاته تتعرض لإفراز هذا الشر أو ذلك الخير ، وهي بهذا المفهوم وظيفة أو موضوع ، ثم أنها هي التي تسرد لغيرها ، أو يقع عليها سرد غيرها ،وهي بهذا المفهوم أداة وصف ، أي أداة للسرد و العرض ، و ببعض ذلك تشكل ثلاث مستويات حولها ، و قل إنها هي التي تشكل هذه المستويات و تخضعها لأهدافها و أهوائها تبعا للخيط الخلفي غير المرئي الذي يسيرها و يتحكم فيها، و الذي يكون وراءه شخص نطلق عليه المؤلف»[4].

و في الأخير لاحظت أن مسألة الشخصية طرحت العديد من القضايا المتعلقة بالأمور النظرية و التطبيقية معا وهذا لكونها تعالج مواضيع قابلة للإدراك وتتطرق لها من كل الجوانب.

2 – الشخصيات في رواية "زمن النمرود ":

إن أي مقام حكائي لابد من توفره على«شخصية واحدة على الأقل ، فالقصة كي تروى تكون بحاجة إلى شخصية موضوعة في زمان و مكان خاصين بها ،و للإشارة إلى الشخصية تصادفنا في معظم الأوقات منذ السطور الأولى من الرواية و أحيانا منذ الوهلة الأولى،وهناك قضية مازال الجدل قائما فيها و لم تحسم بعد،وهي الطريقة التي يقدم بها الراوي شخصيته إلى القارئ،وهذا راجع إلى وجود تقديمات مختلفة للشخصية حسب كل روائي،فهناك من جهة الروائيين الذين يمارسون شخصياتهم بأدق تفاصيلها،و هناك من يحجب عن الشخصية كل وصف مظهري »[1]. وهناك من ينوع شخصياته،وهذا التنويع لا يكون إلا لتقديمها مختلفة الحلقات متصادمة الطبائع متناقصة السجايا [2].و هذا ما لاحظته

---

(1) - عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، (ط8)، (د ت)، ص (116).
(2) - حميد لحمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ص(50).
(3) - المرجع نفسه: ص (25).
(4) - عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(دط)،(1995)، ص (67).
(1) - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ،المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان،(ط1)،(1995)، ص (223).
(2) - ينظر عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي ، ص(175).

في رواية "زمن النمرود" حيث تنقسم شخصياتها إلى « طرفين متعارضين،تتعدد أشكال صراعهما السياسي و الاجتماعي اعتبارا لتباين المصالح و اختلاف المواقف من الواقع الراهن ،و من جزائر الاستقلال،و من ثمة تباعد الرؤى إزاء نحت معالم المستقبل يمثل الطرف الأول عالم ذرية النمرود،أو شياطين ابن باديس على حد تعبير خصومهم من السياسيين الذين يشغلون مناصب داخل أجهزة السلطة،في حين يمثل الطرف الثاني عالم ذرية الذئاب،أو الحلاليف،أو بني كلبون مثلما تنعتهم ذرية النمرود»[3].

أ- **شخصيات "ذرية النمرود ":**

بالنسبة لـ"ذرية النمرود" نجدها تتكون من جيلين،الأول جيل الثورة من المجاهدين المخلصين لوطنهم،و الثاني جيل الاستقلال الذي يمثله مجموعة من الشباب آمنت باستقلال وطنها و بضرورة بنائه و المحافظة عليه.

أولا- جيل الثورة : و يتكون من الشخصيات الآتية:

- **ولد ربيعة** : ابن شهيد التحق بالثورة بعد القضاء على أحد العملاء،كما جرح في إحدى المعارك المسماة بـ (اللبة)، و أودع السجون الفرنسية بالجزائر .وبعد الاستقلال مباشرة التحق بمهنة التدريس. يمتاز بوعي عميق بمختلف مظاهر الواقع وانحراف السلطة «كاتب القسمة معلم ، يفهم أكثر من غيره من المناضلين في القسمة ، يفهم علاقته و مساعيه ، يدرك ما يجري داخل القسمة و خارجها . ما يجري في البلدية لا يفوته يعرف قانون المنظمات الجماهيرية ..»[4].

و ينزع في مواقفه و خطاباته داخل الرواية إلى انتقاد "ذرية الذئاب "و يحملها مسؤولية نكسات جيله و خيبة أمله في الاستقلال، و يظهر ذلك في الحوار الذي دار بينه و بين صديقه "المسعودي"«غلة الاستقلال ما ذقناها يا خويا "المسعودي".. أنا قلبي دود،و الحالة طالت،أغنياء وقتنا اليوم: كيف كانوا قبل الاستقلال ؟؟..من أين جاتهم الأموال ؟؟ ليلة القدر ؟؟الاستقلال أغناهم..؟؟.

أعلاه تبقى أنت دائما تكسب من عرق أكتافك؟ أعلاه أنا كذاك ؟ أعلاه كل الناس مثلي و مثلك، ربي كتب علينا ؟ لا حاشا أعلاه "يزيد" و أمثالهم يزيد مالهم ؟؟ أعلاه الناس ما تلحق قوت يومها؟؟ أعلاه جاهدت أنت ؟؟ و اعلاه مات الشهداء؟؟.

آه خويا "المسعودي" آه .أنا مع الحلاليف صبري نفذ ، عييت، كذبي طال على التلاميذ في المدرسة ... أنا عقلي خرج و صدري ضاق ، عاقبتها الإنسان يخرج من رحمة ربي »[1].

---

[3] - بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية العربية في المغرب العربي ، ص(232).

[4] - الرواية: ص (35).

[1] - الرواية: ص (93).

و كان يرى بأن الانتخابات المقبلة ستحمل التغيير لصالحهم لذلك نجده يطلب من منسق القسمة "يزيد " عدم الضغط على المناضلين وترك الانتخابات تسير بوتيرة نزيهة وإلا فالحمية والقانون هما اللذان سيكونان الحد الفاصل بينهما «خل المناضلين في حالهم، بدون تهديد، رشح نفسك كمناضل، و إلا.. إذا وصلت للحمية عندنا الحمية ، و إذا وصلت للملفات عندنا ملفات ، و إذا وصلت للقانون القانون معنا ضدك » [2].

و نتيجة لموقفه هذا فإن كلا من منسق القسمة ورئيس اتحاد الفلاحين عملا على تشويه سمعته وذلك بإلصاق التهم به،فهو في نظرهما شيوعي،كافر،وملحد.

و لما جاءت عملية فرز أصوات الانتخابات التي آلت بفعل التزوير لصالح "ذرية الذئاب"، أصيب في رأسه نتيجة الصدام الدموي الذي دار بين الطرفين المتعارضين،وانتهى به المطاف إلى السجن .

-**المسعودي** :مجاهد ، شارك مع الفرنسيين في حرب الفيتنام و هناك تعلم القراءة و الكتابة قبل أن يفر مع عدد من الجنود إلى الجزائر في السنة الثانية من الثورة للمشاركة فيها. و بعد وصوله إلى أرض الوطن التحق بالثورة المسلحة و ذلك بمركز للمجاهدين في الدوار الذي يقطن به .

و بعد الاستقلال مباشرة اهتم بالفلاحة فكان رئيس فوج عمال لمزرعة تدعى "مزرعة بلخير" التي عرفت مشكلا في بيع (التفاح) ،وهذا بسبب تماطل مسؤول اتحاد الفلاحين "الحاج الحرايري" و بقية المسؤولين في مختلف إدارات الولاية في حل المشكلة الشيء الذي دفع به إلى تحديهم وتحمل المسؤولية «هذه المزرعة انتزعناها من الكولون ، نحن نسيرها ، نحن نحل مشاكلها ...»[3].

ولكي تنتظم أمور الفلاحين وتسير بوتيرة جيدة،كان يدعو إلى تشكيل تكتل يحمي مصالحهم «هذه خذها من عندي يا خويا، التنظيم هو عين الإنسان ، وهو المومو، بالتنظيم تقدر على التمييز، هذه خضراء ، هذه سوداء، هذا طالع ، هذا نازل ، هذا عدو ، وهذا صديق العالم كله . كما الفيلم . يبدأ بين عينيك يفوت ، إذا غلطت تصلح في الحين و تواصل الطريق،عمالناهذه شروط تنقصهم ..عند أغلبهم . كما عند المستفيدين ... »[4].

كما كان يؤمن بضرورة تغيير الوضع الحالي فهو يرى بأن ««الاشتراكية يلزمها حزب ثوري ، و إلا تعثرت التجربة ، الثورة كما (البابور) الحزب الثوري هو قايدها »[1]. لذلك يجب إزاحة "ذرية الذئاب" من مناصبها.

---

[2] - الرواية : ص(38).
[3] - الرواية: ص (85).
[4] - الرواية : ص(87).
[1] - الرواية : ص (91).

-**المانكو:** مجاهد هو الآخر أيضا ، شارك في الحرب العالمية الثانية ضد النازية و رفض خلالها نياشين الفرنسيين فسجن بسبب ذلك .ومع بداية الثورة المسلحة التحق بإخوانه في الجبل ،و فيها فقد ذراعه اليمنى .وكل ما حصل عليه من الاستقلال كان حارسا في البلدية يفتحها ويغلقها،وينظم كراسيها تحسبا للاجتماعات التي كان يحضرها دون أن يتفوه ولو بكلمة واحدة،لأنه وببساطة طرد من الحزب بسبب موقفه المعارض لسياسة "ذرية الذئاب" «... أنا عاهدت نفسي،من ذاك الاجتماع كان الحاج عون الله و يزيد حاضرين اجتماعنا ، كل المجاهدين كانوا حاضرين اجتماعنا ... خطبوا علينا ، بعد قالوا لنا:عندكم انتخابات ، اختاروا ممثليكم في المنظمة في القايمة كانت أسماء ... لكن يوم تنصيب قسمتنا فرضوا علينا ممثلين... تغلغلت ، قمت و قلت : هذا ما هو حق ...كتبوا في التقرير علي .. مشوش.و عزلوني .كان ورائي "يزيد" ببركة "عون الله... كتبت و كتبت.. رسالاتي كلها ما فاتت سعيدة ربي يتولاهم»[2].

وفي النهاية بقيت حسرة الظلم تخيم على نفسيته مستسلما بذلك لقضاء الله و قدره «جاهدنا في سبيل الله و الوطن ، وهذه كانت شهادتنا "الله أكبر تحيا الجزائر ".

اليوم انتزعنا استقلالنا الحمد لله . الباقي ربي يجازي كل واحد على حسب نيته...لكن ما يضر هو الظلم، الظلم عندما يجيئك من ولد عمك »[3].

و هي صورة معبرة عن حالة التهميش و الإقصاء التي عاشتها هذه الشخصية .

ثانيا-جيل الاستقلال :و يمثله مجموعة من الشباب آمنت باستقلال وطنها و بضرورة مواصلة ثورة البناء و التشييد ، و ذلك بالعمل على تجسيد الاشتراكية. و يمثل هذه الفئة الشخصيات الآتية :

-**أمين** : و هو رأس" ذرية النمرود " ، و كبير المتطوعين ، و صوت الوعي للمستفيدين من الثورة الزراعية و التأميمات ماضيا و عمال مصنع الورق في سعيدة حاضرا . دخل المصنع عاملا ثم أصبح إطارا و هو ما يزال طالبا بمعهد العلوم الاجتماعية ، درس الكثير حول الاشتراكية و الرأسمالية و الصراع الطبقي . اقتنع بضرورة إقران النظري بالعملي ،فاتهم بالتشويش وبالعمالة لصالح المعسكر الشرقي «النضال أمر حيوي ، و العمال ينبغي أن يخوضوه .. حتى داخل نقابة صفراء »[4].

وبسبب جلب "الحاج عون الله" لعدد كبير من العمال من خارج الولاية،وإسناد مهمة تسيير مصنع الورق لشركة أجنبية عملت على تخريبه وإقصاء عماله ،وقف "أمين" في وجه المسؤولين قائلا : «...

---

[2] - الرواية : ص (151-152) .
[3] - الرواية: ص (163).
[4] - الرواية : ص (164).

"لا مراقبة لا تحكم في التسيير و لا مجلس عمال ديمقراطي"... »[1].مؤكدا لهم بأن«المعمل للعمال، و الطاعة على الجميع... مجلس عمال ديمقراطي»[2].

و نتيجة لموقفه هذا من المسؤولين بتحميلهم للوضع الذي آل إليه المصنع أودع السجن رغم مساومته بالعدول عن رأيه مقابل الإفراج عنه ، إلا أنه بقي متشبثا برأيه .

– **هارون** : يأتي في المركز الثاني من حيث الثقل ،وهو من متطوعي الاستقلال ، استقطبته "ذرية النمرود" يوم حضر مؤتمر الشبيبة باعتباره ابن شهيد و من دعاة حرية المرأة. و لد في السنة الثانية من اندلاع الثورة التحريرية ،و من ثمة يكون ابن الثانية و العشرين زمن الأحداث التي ألقي عليه القبض فيها من طرف أعوان الدرك الوطني بسبب نشره لمقال فضح فيه فضائع منسق القسمة و رئيس البلدية و الجهاز الرقابي « قلتها: المراقبة منعدمة . و بعد ؟؟ لا يزيد قائم بواجبه، و لا ابن عمه رئيس البلدية .. قدام الشاف قايلها»[3]. فألصقت به تهمة المساس بالحريات الفردية، و تشويه أجهزة السلطة .

و لعدم ثبوت الأدلة الكافية ضده نجا ،غير أنه أثناء تعيين أعضاء القسمة و المجلس الشعبي البلدي أصيب في رأسه نتيجة موقفه المعارض للتزوير، وأودع السجن مرة ثانية بحجة نشر الفوضى و التحريض بعدم نزاهة الانتخابات .

–**عوج الفم** : وهو من الشخصيات الفاعلة في أحداث الرواية ، و يمكن ضمه إلى "ذرية النمرود" على الرغم من اختلافه معها في الفكر من حيث تبني مبادئ الاشتراكية كاختيار للنهوض بالدولة فـ «عداؤه للاشتراكية لا يخفيه . يعتبرها بؤسا. فقرا و شقاء. يحاول إقناع غيره بموقفه . يناقش بحماس »[4]. متهما كل من يحمل الفكر الاشتراكي بالإلحاد و الفسق و الشيوعية. إلا أنه يتقاطع معهم في محاربة المفسدين من الإقطاعيين والليبراليين من "ذرية الذئاب"،فهم في نظره مخالفين لتعاليم الإسلام أيضا ويعملون على نهب خيرات البلاد .

ويمتاز "عوج الفم"بتضلعه وتبحره في أمور السياسة المحلية،كما يمتلك أيضا معلومات كثيرة عن السياسة العالمية والمسائل القانونية،والشرعية والفلسفية،والأدبية .ويعرف جيدا المسؤولين المحليين للبلدية لأنه كان أحد مسؤوليها .أما الآن فالبلدية بالنسبة له بدعة .

كان يدرك جيدا أن الانتخابات القادمة شكلية والشعب فيها ضحية «قال لجلسائه: يجددون أو لا يجددون،ينتخب الشعب أو لا ينتخب. زائد ناقص. أقول لكم منذ الآن من سيكون منسق القسمة. من

---

[1] - الرواية : ص (167).
[2] - الرواية : ص (168).
[3] - الرواية : ص (153).
[4] - الرواية : ص(20).

سيكون رئيس البلدية . و من سيكون رئيس الجمهورية القادم . كل شيء بالحساب .. كل شيء مخطط الشعب تباع. غنم بلا راعي... »[1].

ولنشر أفكاره اتخذ من مقهى "تشراك الفم" مكانا لترويج الشائعات ضد "ذرية الذئاب" قصد إضعافهم في الانتخابات المقبلة،وذلك بتعرية ماضيهم التاريخي المزيف وبحاضرهم المليء بالاختلاس والمجون . وهذا ما جعل " الحاج الحرايري " يتوعد بالنيل منه بعد حل مشكلة التفاح.

و بسبب ما جرى في الانتخابات من صدام دموي بين الطرفين المتصارعين بدا "عوج الفم" سعيدا لأنه رأى "الحاج الحرايري" و أنصاره سيدفعون ثمن تزويرهم للانتخابات ،فأطلق العنان للسانه قائلا:«هذه أفعال "الحرايري"، لكن هذه المرة قبض عليه الكماش. والثمن دافعه . التحقيق يقع و يقر بفضيحته، الله ، الله يا بني الحلاليف .. كولوا بعضكم »[2].

كما بدا ساخرا من "ذرية النمرود" و على رأسهم "أمين" ، لأنهم يؤمنون بالشعارات التي يتبناها النظام و يساندونه في ذلك «"أمين الحكوميست" خرج صباح اليوم من الحبس . ولد نقابي... ماركس جديد ؟؟ قلتها له مرة ، كان منسق كل "الحكوميست" هذا النظام تسانده يستعملك ، في النهاية يرميك نفاية .. حكيم كبير ؟؟ هه، هاهو نظامه دخله الحبس »[3].

و في النهاية قرر"عوج الفم" ترك المقهى لأنه لم يعد باستطاعته إقناع جلسائه بأفكاره .

ومن الشخصيات الثانوية التي تضاف إلى هذا التكتل "يمينه و زينب "، وهما من المتطوعات و عضوتين بالاتحاد النسائي.الأولى ممرضة سنها لا يتعدى العشرين ، حاول منسق القسمة"يزيد" اغتصابها ، ولما رفضت طلب من رئيسة الاتحاد النسائي "أم الشيخ" إقصائها من الاتحاد بعد أن طردها من الحزب بحجة فساد أخلاقها و ذلك لتعاطيها الرشوة ،و أخيرا قام بنقلها إلى مستشفى آخر.

أما"زينب" فهي معلمة بالابتدائي ، هي الأخرى تعرضت للطرد من الحزب و من الاتحاد النسائي ، بدعوى صداقتها لـ "يمينة"،و لكونها من مناصري "ذرية النمرود" بقيت كصديقتها تتمنى يوما يأتي على"ذرية الذئاب".

وهناك شخصيات أخرى ورد ذكرها في الرواية تنتمي إلى هذا التكتل ، إلا انه لم يكن لها نفس الدور كالشخصيات التي تعرضنا إليها سابقا ، و من أمثلة ذلك "سائق الحرايري" الذي يساند فكريا و نفسيا "ذرية النمرود" ، إلا أن لقمة العيش فرضت عليه البقاء سائقا عند "الحرايري".

و هكذا فإن كل هذه النماذج من "ذرية النمرود" «تشترك في خيبة أملها في الاستقلال الذي لم يحقق لها ما كانت تتطلع إليه من غد أفضل. فكان موقفها المعارض للسلطة و دعوتها إلى ضرورة

---

[1] - الرواية : ص (21) .
[2] - الرواية : ص (207-208).
[3] - الرواية : ص (208).

تجديد هياكلها و إعادة النظر في ممارستها حتى تتحقق العدالة الاجتماعية و تستفيد جميع فئات الشعب الجزائري من ثمار الاستقلال ، لا أن تتعمق ألوان معاناتها و تقتصر الاستفادة على الفئة الأصولية و الانتهازية التي تستغل مناصبها و نفوذها لقضاء مصالحها الخاصة ، و تحقيق أسباب الرفه لها و النعيم »[1].

ب- شخصيات "ذرية الذئاب":

تمثل شخصيات هذا التكتل الفئة التي جنت ثمار الاستقلال ، وهي تشغل مناصب حساسة داخل أجهزة الحزب ، تسعى من خلالها خدمة مصالحها لا غير ، ونتيجة لسخط خصومهم عليهم فإنهم نعتوهم بأرذل الصفات "كذرية الذئاب" ، أو "الحلاليف" أو "بني كلبون" . و يمثلها على الترتيب كل من :

-**الحاج عون الله**:يمثل رأس هذا التكتل ، وهو مسؤول كبير في الحزب بالعاصمة ، له أتباع وأعوان كثيرون لكنه « يكره الاشتراكية كما دم الضرس . يحاربها لو يجد الطريق . يحصد من فوق الأرض كل واحد مؤمن بها . هذا الحقد يجري له في الدم . هذا مرضه »[2].

وعندما اندلعت الثورة ادعى بأنه التحق بالجبل و سجن مع زعمائها . وبعد خروجه منه فر هاربا إلى تونس حيث كون بها تجارة . وبعد الاستقلال مباشرة عين محافظا للولاية، وبفعل مركزه هذا قام بتنصيب العديد من أمناء القسمات ورؤساء البلديات من " الخبزيست " قصد إضعاف "ذرية النمرود"،حيث كان يجمعهم ويحرضهم عليها«عدو واحد حاربوه "ذرية النمرود". وأنت تقصد كل الثوريين.. تؤكد لهم و تؤكد . حاربوا ذرية النمرود تأكلوا الخبز...»[3].

كما كان ينافق مسؤوليه، ويتظاهر بالولاء للثورة الاشتراكية ، و يمجد الشهداء و جبهة التحرير،و بالمقابل يقصي مناضليها الأوفياء ، و يحرف كلام الرئيس عن الثورة و حزبها .

إن مركز"الحاج عون الله" السلطوي جعل منه رأس الفتنة فيما يحاك من دسائس و مناورات ضد "ذرية النمرود". فالنمرودي في عرفه هو «كل واحد نطق بالثورة، آمن بها. كل واحد شاف المنكر و قال يتغير »[4].

- **الحاج الحرايري:** يأتي في المركز الثاني من حيث النفوذ في هذا التكتل ، يشغل منصب اتحاد الفلاحين، و يزعم أنه درس في زاوية "مولاي إدريس" بالمغرب ، ثم عاد إلى الجزائر و شارك في الثورة التحريرية.و بعد أن مرض رجع ثانية إلى المغرب ، و لما نالت الجزائر استقلالها عاد إليها كمسؤول كبير في القطاع الفلاحي .

---

(1) - بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص (233-234).
(2) - الرواية : ص (61).
(3) - الرواية: ص (63-64).
(4) - الرواية: ص (65).

وكان "الحرايري" كسابقه لا يؤمن بمبادئ الحزب و يكره "ذرية النمرود" إلى حد النخاع ، همه الوحيد المحافظة على مصالحه . كما كان ينبذ النقابة و يرى بأنها سليل للشيوعية .

بالإضافة إلى هذا كله كان مستاء كثيرا من الملكية الجماعية للأراضي ،و يرى أنها سببا في ركود الإنتاج. وكان في ذلك ينتظر قرارا حاسما من الحكومة ببيع تلك الأراضي حتى يتسنى له و لأتباعه الاستحواذ عليها «أنا من عندي الحكومة من الغد تبدأ في بيع أراضي المزارع و التعاونيات.. خسارة في خسارة،و أنا واحد قادر على الشري.إذا قدرت أشترك مع غيري "يزيد" قادر يشري. أصحاب المال والخير أعطى ربي»[1]. لذلك نجده يرفض مد يد المساعدة للفلاحين لتسويق التفاح قصد تحطيمهم و التنازل عن خدمة الأرض.

كما أنه داهية في السياسة يقوم بحبك الدسائس و المناورات بغية الإطاحة بـ"ذرية النمرود" في الانتخابات ، إذ يأمل في الوصول إلى منصب محافظ و يعمل على ذلك بمساعدة أنصاره ممن يشغلون مناصب سياسية من أجل إبقاء سيطرته فـ «الشعب ، و الحزب و الدولة ، و الثورة ، و المسؤولية في حسابه زايد ناقص ، تحرق الجزائر ؟ تخرب ؟ يحتلها الأعداء ؟ ما يهمه ... »[2].

– **يزيد** : يأتي في المركز الثالث من حيث النفوذ السلطوي، حيث يشغل منصب "منسق القسمة". يتميز بوصوليته و انتهازيته ، و يأمل في المحافظة على مركزه . كان له الفضل الأكبر في تعيين ابن عمه "الحاج المزرقط" رئيسا للبلدية بغية حماية مصالحه وتوسيعها.

وكان في موقع منصبه يكره كاتب القسمة "ولد ربيعة " إذ يرى فيه صورة المزاحم له، لذلك توعده بالنيل منه خاصة عندما هدده بالملفات. كما ساهم مع "الحاج الحرايري " في تعطيل تسويق التفاح، بالإضافة إلى محاولة اغتصابه لـ "يمينه" و ظلمه لصديقتها "زينب"، و محاولة منعه لـ "ذرية النمرود" من دخولها الحزب ، لأنه يرى بأن المسؤولية لا يمكن أن يتحملها إلا الأغنياء وأصحاب النفوذ ، لا الفقراء من الفلاحين « ربي خلق و فرق كتب لكل واحد رزقه في اللوح المحفوظ . دخلوا في شرك ربي كفار . المسؤولية بالأرض و الأرض بالمسؤولية مثل المرأة للرجل. يا عباد الله : قادر يتحمل المسؤولية راعي أو خماس ؟.. »[3].

و لما قرب موعد الانتخابات سعى إلى تزويرها متحديا في ذلك خصومه مخاطبا إياهم قائلا: «بالقوة أنا منصب، بالجاه أنا منصب، بالمال أنا منصب »[4].

---

[1] - الرواية : ص(72).
[2] - الرواية : ص (71).
[3] - الرواية : ص (49).
[4] - الرواية : ص (196).

و بغية تحقيق ذلك و ضمان بقائه على رئاسة القسمة لم يتردد في رشوة "الحاج الحرايري" من أجل تزوير الانتخابات لصالحه «العربون و صلكم..؟ الكبيرة يوم تنصيبي. لكن أضمنوا فوزي في الانتخابات. و على رأس القسمة نصبوني ..»[1].

وبالفعل فقد حدث و أن زورت نتائج الانتخابات لصالحه مما أثار غضب " ذرية النمرود "، الشيء الذي أدى إلى حدوث اشتباك بين الطرفين المتصارعين أصيب على إثره في الرأس ، إلا أنه لم ينعم كثيرا بمنصبه الجديد القديم إذ سرعان ما عزله"الحاج عون الله" «"الحاج عون الله" كان يظل عند "أم الشيخ ". البارح كان هنا . و أوصى بعزل "يزيد "من القسمة . و قال : صار ورقة خريف أسقطتها ريح بالول .. و ربما تتعفن ...»[2].لأن تواجده بالقسمة صار خطرا على منصبه .

ومن الشخصيات الثانوية التي يمكن إضافتها إلى هذا التكتل"سي مقدر" مدير مصنع الورق الذي استخدمه "الحاج عون الله" وسيلة في تزوير نتائج الانتخابات ، و "أم الشيخ" رئيسة الاتحاد النسائي وعشيقة "الحاج عون الله" التي تعمل على توسيع شعبية "ذرية الذئاب" داخل الوسط النسائي . كما قامت بطرد كل من "يمنية و زينب" من عضوية الاتحاد باعتبارهما من أنصار"ذرية النمرود" . كما نجد أيضا شخصية "الشاف" قائد فرقة الدرك الوطني الذي لم يتأخر ولو للحظة واحدة في اعتقال زعماء "ذرية النمرود" و تعذيبهم ظنا منه أنه يخدم السلطة.

إن هذه الأقطاب من "ذرية الذئاب" المسؤولين في الحزب والحكومة «ما عندهم صفة تميزهم كل يوم في لون .الشيطان يحار فيهم . حياتهم كلها مبنية على الخدعة . ناس ترهن شرفها قالها الجدود.. "على كرشه ، يخلي عرشه " جدودهم سبقوهم عند القادة و الباشاغوات »[3]. كما أن ثلاثتهم «يجمعهم الكبت الجنسي الذي يعبر في حالتهم عن غياب التوازن و يؤشر على فشلهم الذريع في إقامة علاقات إنسانية مشبعة ، الأول من خلال علاقته المشبوهة مع "أم الشيخ " و الثاني والثالث عبر رفضهما على التوالي من طرف "جازية و يمينة " »[4].

وخلاصة القول فإن "الحبيب السايح" من خلال شخصياته المحورية استطاع أن يتناول الأبعاد الاجتماعية ، و المؤثرات السياسية المتصلة بكل شخصية . أما الصراع الأساسي في الرواية فقد دار في الواقع الاجتماعي ، و من خلال العلاقة الجدلية بين هذا الواقع و بين الشخصيات تنمو الشخصيات و تتحرك وفقا لمنطق النمو الذي ينظر إلى حياة الفرد على أنها تراكم من لحظات الزمن المقيدة اجتماعيا . و ربما كان هذا هو السبب في أن تصبح شخصيات "ذرية النمرود" موقفا و نمطا للحياة

---

[1] - الرواية : ص(177).
[2] - الرواية : ص (212).
[3] - الرواية : ص(86).
[4] - حسن بحراوي :الرواية والواقع ، قراءة في (زمن النمرود) ، آفاق ، مجلة سنوية يصدرها اتحاد كتاب المغرب ،الرباط،المغرب، ع(1)، (1990)، ص (79).

يكشف عن رؤية "الحبيب السايح" التي طرحها في هذه الرواية و التي تقوم على قضية الصراع مع الواقع .

وعموما فإن الروائي قدم أبطال "ذرية النمرود" على أساس أنهم يمثلون نموذجا للمقاومة الاشتراكية لتيقنه من أن المقاومة الفردية لا تجدي نفعا، و أن القضية ليست قضية فرد بل أنها قضية وعي جماعي مرتبط بالصراع الاجتماعي الذي عاشته الجزائر نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات .

III- الزمكان الفني في رواية " زمن النمرود ":

1- زمن الصراع ومقاومة الفساد:

أ- مفهوم الزمن الروائي:

لم يكن الزمن وتوظيفه يشكل « قضية صعبة في الرواية الكلاسيكية، لكنه في الرواية الحديثة أصبح مشكلة عويصة، وذلك أنه لم يكن إلا توقيتا للأحداث فأصبح عنصرا معقدا وشريانا حقيقيا من شرايين الرواية »[1].

إن الزمن الأدبي غير الزمن الفلسفي ، أو النحوي ، أو الرياضي ، فهو« زمن متسلط شفاف متولج في أشد الأشياء صلابة ، ومتحكم في أغلب الأمور اعتباطا ، والذي يظهره على هذه الحركة التأثيرية و التأثرية مع قابليته للتعامل مع السياق الزمني الذي يمكنه من الاحتكام والتأويل في تفسير أو تحليل أي نص من النصوص ولا سيما الأدبية منها »[2].

وربط "ابن رشد" الزمن بالحركة والتغيير وبالموجود حيث رأى « أنه لايمكن أن نتصور شيئا موجودا لا يدم وجوده أدنى لحظة زمنية للأشخاص والجماعات على حد سواء فمصيرنا وحياتنا مرتبطان وجوبا بالزمن »[3] .

إن الزمن يتخلل الرواية كلها لذلك « لا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية ، فهو الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية »[4]. كما أنه« مفهوم مطرد أو متصل وتجزئتنا له ليست إلا الوقوف على العناصر التي تؤلفه صحة أو خطأ »[5] .ومن هنا تظهر إشكالية البحث في مقولته .

ويؤثر على الشكلانيين الروس أنهم « كانوا من الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب ، ومارسوا بعضا من تحديداته على الأعمال السردية المختلفة .وقد تم لهم ذلك حين جعلوا نقطة ارتكازهم ليست طبيعة الأحداث في حد ذاتها ، وإنما العلاقات التي تجمع تلك الأحداث وتربط أجزاءها»[6]. كما أن تقنيات الحركات الزمانية في الآثار الروائية « ليس من السهل الحصول على حركيتها سواء تعلقت بالنص من الداخل أو من الخارج، وتكون أكثر تعقيدا أو تشاكلا حتى تتداخل الأزمنة الداخلية بالخارجية، وهذا التداخل هو الذي يعدد الأبعاد الزمانية »[7].

---

(1) - مصطفى التواتي: دراسات في روايات نجيب محفوظ الذهنية ، الدار التونسية للنشر ،تونس، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،(دط) ،(دت)، ص (107).
(2) - عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي ، ص (288).
(3) - يحي عبد السلام : فن الرواية عند محمود المسعدي ،رسالة ماجستير بإشراف د/سعيد حسن منصور، قسم اللغة العربية، جامعة الإسكندرية ، مصر، (1987-1988) .ص (130).
(4) - سيزا أحمد قاسم : بناء بناء الرواية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، مصر،(د ط)،(1984)، ص (36-37).
(5) - عبد الجليل مرتاض: البنية الزمنية في القص الروائي ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(دط) ، (1993)، ص (25).
(6) - حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص (108).
(7) - سمير المرزوقي،جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،(دط)، (دت)، ص(78).

ويميز الباحثون في زمن الخطاب الروائي بين« السرد والقصة المتخيلة كما يفعل "ريكاردو" أو بين زمن القصة وزمن الحكي كما يقوم بذلك "جيرار جنيت"» [1].

فالحكاية الأدبية المكتوبة لا يمكن تحقيقها إلا في « زمن القراءة طبعا،وإذا أمكن تتابعية عناصرها بقراءة نزوية أو تكرارية أو انتقائية ، لم يمكن ذلك الإبطال أن يصل إلى حد العجمة التامة، فالمرء يستطيع عرض شريط سينمائي عكسا، صورة فصورة ،ولكنه لا يستطيع قراءة نص عكسا حرفا فحرفا ولا حتى كلمة فكلمة،ولا حتى جملة فجملة دائما،دون أن يتوقف عن كونه نصا إن الكتاب – أي كتاب – أكثر تقيدا بعض الكثرة مما يعبر عنه اليوم غالبا بخطية الدال اللساني الشهيرة التي يسهل إقصاؤها علميا...فزمنية الحكاية المكتوبة شرطية أو أداتية نوعا ما ، وما دامت الحكاية المكتوبة حادثة – ككل شيء آخر – في الزمن فإن توجد في الفضاء ، وبصفتها فضاء يكون الزمن اللازم لـ"استهلاكها ".هو الزمن اللازم لعبورها أو اجتيازها ، كما تعبر طريقا أو تجتاز حقلا»[2].

إن زمن القصة « صرفي ، وزمن الخطاب نحوي ، لذلك فخطية زمن الخطاب ليست إلا إشكالية "صرفية" ومن خلالها يتم تزمين زمن القصة »[3].

لذلك يجب أن يتفطن الباحث عند تحليل الهيكل الزمني للنص القصصي إلى أن «زمن القصة مزدوج على الأقل ، فهناك من جهة زمن الملفوظ القصصي أو المدلول أي الحكاية نفسها بوصفها تسلسلا زمانيا وارتباطا بين الأحداث ،و من جهة أخرى الخطاب أي ترتيب السارد للأحداث في النص القصصي كدال. ويمكن اعتبار بعد زمني ثالث هو زمن السرد القصصي ، أي الموقع الزمني للسارد نفسه بالنسبة للزمنين المذكورين آنفا »[4].

وعند دراسة قضية الزمن في الإبداع الروائي نميز بين نوعين من الزمن ، الزمن الداخلي والزمن الخارجي فـ « الزمن الداخلي ويقصد به زمن القصة ، أي زمن وقوع أحداثها ، وزمن الخطاب ، وزمن النص الذي من خلاله يتجسد زمن الكتابة وزمن القراءة »[5].

أما الزمن الخارجي فالمقصود به زمن الكاتب، أي التأثيرات المباشرة التي تساهم في تشكيل موقف الروائي ورؤيته للواقع فـ «الرواية ليست تجسيدا للواقع فحسب، ولكنها فوق ذلك من هذا الواقع»[6].

وهناك أيضا زمن القارئ أي زمن قراءة الرواية .

---

(1) - السعيد يقطين:القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء،المغرب،(ط1)،(1985)،ص (159).
(2) - جيرا جنيت : خطاب الحكاية ، (ت): محمد معتصم ، عبد الجليل الأزدي ، عمر الحلى ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، (ط3)، (2003)، ص (46).
(3) - سعيد يقطين: القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب ، ص (160).
(4) - سمير المرزوقي ، جميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة ، ص (78).
(5) - سعيد يقطين : انفتاح النص الروائي ،المركز الثقافي العربي ، المغرب ، (ط1)، (1989)، ص (73).
(6) - حميد لحمداني: النقد الروائي و الأيديولوجية (من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي) ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ،(ط1). (1990) ، ص(51).

ومن حيث المدة الزمنية ميز"تودوروف" بين زمنين « الزمن الذي يستغرقه الفعل الروائي ، والزمن الذي يحتاجه القارئ لقراءة الخطاب الذي يستدعيه هذا الفعل»[1].

ب- توظيف الزمن في رواية "زمن النمرود":

عند قراءتي لرواية "زمن النمرود" اتضح لي زمن وقوع أحداثها بشكل واضح ، كما لاحظت فيها تداخلا بين الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل تداخلا أبرز مهارة "الحبيب السايح" في التلاعب بالزمن ، كما لمست فيها الزمن النفسي .وعلى هذا الأساس قمت بتقسيم الزمن في هذه الرواية إلى زمن وقائعي أي تاريخي ، وزمن فني تداخلت فيه الأزمنة الثلاثة ، الماضي ، والحاضر والمستقبل ، وأخيرا إلى زمن نفسي .

أولا- الزمن الوقائعي:

إن زمن الوقائع« متعدد الأبعاد يحمل في الوقت الواحد أحداثا عدة »[2] ،ومستوى القصة « "كتاريخ" ، أو كما نفضل أن نقول بالعربية كوقائع تخص هذا الكون التخيلي لعالم القصة ونتعرف إليها من خلاله ، على هذا المستوى يمكننا أن ننظر في المنطق الذي يحكم الأفعال في نظام الحوافز الذي يدفع حركة الشخصيات وفي العلاقات فيما بينها»[3].

ويتجسد الزمن التاريخي في النص الروائي في « صور مختلفة منها استخدام الوقائع التاريخية التي تقع في الفترة الزمنية التي اختارها المؤلف إطارا لروايته معالم الطريق يستطيع القارئ أن يتعرف عليها كوسيلة للواقع الخارجي في النص التخيلي، وهذا ما يسميه "رولان بارث" effet de) réel) الإيهام بما هو حقيقي» [4].

لقد سجلت رواية "زمن النمرود" وضع الجزائر السياسي والاقتصادي، والفكري والاجتماعي نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات فـ« البوتقة التي ينصهر فيها زمن خلق رواية "زمن النمرود" تتكثف بين (1979-1981) »[5]. حيث بدأت السلطة الجديدة من بعد "هوا ري بومدين" في التخلي عن الاشتراكية والتحول التدريجي نحو الرأسمالية ، وهذا ما أشارت إليه الرواية صراحة « أقتل العبد ، لا تقتل سيده.العبد إذا رأى الضوء تكبر. وإذا طلع عليه النهار تجبر. يا غشام ولد راعي"بوعلام" ..تقولي : حزب فيه أمثالك ما هو حزب .أحصها .يجيء نهارك. أنت كذلك علموك الهدرة ؟؟وأصبحت تطعن

---

(1) - تزفيتان تودوروف: الشعرية ، (ت) : شكري المبخوت ورجاء سلامة ، دار توبقان للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، (ط2) ، (1990)، ص(48).

(2) – يمنى العيد: القصة القصيرة والأسئلة الأولى ، اللغة/الأدب / الأيديولوجية ، دراسات في القصة العربية ، وقائع أدباء ندوة مكناس ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، (ط1) ، (1986)، ص (28-29).

(3) - المرجع نفسه : ص(29).

(4) - سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص (48).

(5) - بشير بويحرة محمد : بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970- 1986) ، ج (1) ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر،(ط1) ، (1986)، ص (28-29).

؟؟ هه .جند الخماسة والرعيان بني عمك أولا تجند ثورتكم الزراعية راحت مع من جاء بها .في مقبرة العالية اندفنت حذاه.. »[1].

وبدأ المسؤولون التفكير في انتزاع الأراضي من الفلاحين « لو بقي الكولون هنا ، أو هذه الأرض باعتها الحكومة لناس كبار أو كراتها لهم ..كان الخير تدفق وعم ، ولكن شف وتعجب ..الأرض عقرت مع عرب لوط »[2].

ولم تتوقف قراراتهم السياسية عند بيع الأراضي ، بل تعدتها إلى كل القطاعات ، وكان شعارهم في ذلك « أعطوا الناس الحرية واطلبوا الإنتاج،العرب ما ينفع معهم سوى السوط. الاشتراكية هذه ما جاءت للعرب . والعرب من خلقهم حار فيهم ، لا حزب ينظمهم ولا حكومة قدرت تحكمهم ، فلاحون كلهم من الرعيان والخماسة ..المنظمة ماهي قادرة على تنظيمهم .والعرب تتنظم والله حبة»[3].

إن التراكمات الحدثية لهذه الرواية كانت « وسط عالم النص تتماوج وتتحلل داخل مدينة "سعيدة" ومن "مقهى المولودية" بالذات التي كانت تلعب داخل النص دور المفجر للأحداث والمحرك لآليات الزمن في النص كله »[4].

لقد صورت الرواية ما جرى داخل هذه المدينة من صراعات وما خطط فيها من مكائد وطموحات فبدا « الوضع متوترا جدا ينذر بالانفجار، الولاية كلها تغلي،النمل يجري في الرؤوس ...»[5].وهذا بسبب الانحراف الذي شهدته فـ« قهوة المولودية هذا الصباح كانت المصدر الأول ، تفسخ فيها الخبر ، منذ الاستقلال هي كذلك ، ظلت ملتقى كل الأخبار، كما ظلت مصدرها ، أخبار تدور حول السياسة والسياسيين ..أخبار تتعلق باختلاس أموال الدولة،أخبار أخرى تدور حول الفضائح الجنسية ، أكبرها كانت هذه السنة قالوا:..رئيس البلدية خبطها إلى الشارع خرج،كان الوقت ليلا يبحث عن عشيقته وقع أن نسي هذا تركها مع صديق له،خلا إليها أخذا لدوره ،وصل إلى بيت عائلتها،على الباب دق بحجر التقطه ،فتح الباب ، قيل له : قالت : ستقضي الليلة عندك ، كفر ، سخط ، لعن العائلة والحكومة والشعب »[6].

وهذه الصورة السافرة لرئيس البلدية إنما نمت عن « فهم دقيق وإحساس مأساوي بعدم جدوى الواقع المدني واهتزازه أمام آليات الزمن التي رمت بالمثقف في خضم الشبكة المعقدة بين الإدارة المغتصبة ، وبين الحدث كنتاج لحركة زمنية طبيعية ، ثم بين الفعل كعنصر أساسي لتقديم السيمفونية،

---

[1] - الرواية : ص (49).
[2] - الرواية : ص (70).
[3] - الرواية : ص (72) .
[4] - بشير بويحرة محمد : بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ،ج(1) ، ص (163) .
[5] - الرواية : ص (18) .
[6] - الرواية :ص (11).

فأصبح دوره لا يتجاوز في "زمن النمرود" الارتياد على مقهى المولودية»[1] التي كان المعلمون يشكلون فيها « الفئة الأكبر عددا ، الأكثر ارتيادا، لا مكان لهم بعد العمل للترفيه إلا هي ، ولا حديث لهم إلا عن السمسرة حول أخبار ...أحداث... معظمها لن يتأكد محورها تلك المتعلقة بالأجرة ، بالترقية أو حركة التنقل ، حديثهم عن السياسة لا يخرج عما تمليه وسائل الإعلام الرسمية، ولكنهم يقبلون عن الشائعة ويروجونها »[2].

والملاحظ على الزمن الوقائعي لهذه الرواية هو ارتباطه بتشريح الشخصيات الذي يحمل في طياته « غاية تهدف إلى الكشف عن خبايا الزمن السياسي ووضعه تحت الأضواء الكاشفة التي كان زمن الخلق الجديد يبثها بين أركان وزوايا الواقع قصد قراءة وفهم الذات الجزائرية انطلاقا من مفهوم الزمن الداخلي المنهمر وسط الذاكرة والبيئة الشعبيتين ، والرافض للدعاية والانتماء غير الشرعيين»[3].

ثانيا- الزمن الفني:

الزمن الفني « مكثف تخييلي قادر على الإيحاء الفني بالمطابقة ومن ثمة يقبل القارئ جملة روائية تغطي عدة سنوات ، كما يقبل عدة صفحات تغطي خمس دقائق مثلا لأن العبرة في الإيحاء بسرعة الزمن وبطئه ، وليست بتجسيد ما تم في الزمن الخارجي الحقيقي كاملا غير منقوص »[4].

وهو أيضا « زمن أحادي ينمو بالكلام في التوالي ، إنه زمن انتظام الصياغة وتكوينها في جمل تتوالى و ترتصف مقيمة القول »[5].

إن الزمن في رواية "زمن النمرود" تداخل فيه الماضي والحاضر، والمستقبل ، فالزمن الماضي يحيل في مداه البعيد على جزائر الاستعمار،وفي مداه القريب على جزائر الاستقلال وبذلك فإن الماضي جزء إلى فترتين لكل واحدة خصوصياتها ، فالأولى تعيدنا إلى الظلم الذي مارسه الاستعمار الفرنسي وبالأخص "الكولون" ضد أبناء الشعب الجزائري وذلك باغتصاب أراضيهم وجعلهم عبيدا يخدمونه « آه " مارولي " ...سمعت عليه .قالوا : كولون كبير.

-هذه الأراضي من هنا لسعيدة ، ومن هنا حتى "بالول".. كانت كلها له بالطيارة كان يسيرها. هذه الأراضي لما كانت ملكه كانت تخرج الذهب..العرب كانت تخدم من الفجر للمغرب.....»[6].

---

(1) - بشير بويحرة محمد: بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ،ج(1) ، ص (163) .

(2) - الرواية: ص (12).

(3) – المرجع نفسه : ص (164).

(4) - سمر روحي فيصل : بناء الزمن في الرواية العربية السورية ، الأسبوع الأدبي ،مجلة أسبوعية يصدرها اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، سورية، ع(449) ، (1995/02/02)، ص (05).

(5) – يمنى العيد: القصة القصيرة والأسئلة الأولى،اللغة/الأدب/الأيديولوجية، دراسات في القصة العربية ، وقائع أدباء ندوة مكناس ، ص (29).

(6) - الرواية : ص(69).

وورد في الرواية ذكر سنة (1936) التي تمثل تاريخ انعقاد المؤتمر الإسلامي ومطالبة الجزائريين بالعدالة والمساواة« إذا بغيتم الخير يعم والزوايا تكثر وفرنسا تعمر حاربوا معنا"ابن باديس" جميع علمه كفر في عام (1936) تحالف مع "ذرية النمرود" ، وقادر يتحالف مع الشيطان .... »[1].

كما ورد ذكر أحداث الثامن ماي التاريخية «أكثر من أربعمائة عامل – والبقية في المصنع – تقف على باب الولاية ، كانوا مروا مع أكبر شارع في المدينة يهتفون ، قد تكون المرة الثانية في تاريخ المدينة لقد سبقتها هتافات (1945)»[2].

واستمرت الرواية في عرض التاريخ الجزائري وبالخصوص الثورة التحريرية الكبرى فأعادت إلى ذهن القارئ بعض الأحداث الهامة التي ألهبت فتيل الثورة الجزائرية في عام (1956)، ومشاركة الجزائريين في حرب الهند الصينية ضد الاستعمار الفرنسي وما أحدثته من وقع داخل البلاد بإمكانية التخلص من العبودية « ...كنا عشرة جزائريين دخلنا الحدود التونسية عزيمتي كانت قوية ..الانتصار على الاستعمار الفرنسي ما فارق مخي وكنت أحدث نفسي عسكر فرنسا انهزم في الفيتنام ..أعلاه ما ينهزم في الجزائر.. والاستعمار في العالم واحد يفهم لغة واحدة. لغة النار والحديد»[3]. بالإضافة إلى ذكر سنة (1958) التي تمثل قمة التصعيد في الثورة الجزائرية مما استدعى القيادة الفرنسية بزعامة "ديغول" آنذاك إلى الإسراع في محاولة امتصاص غضب الجزائريين وذلك بالتوعد بإجراء إصلاحات مستعجلة لصالح أبناء الشعب الجزائري .

أما فيما يخص المدى القريب فإن الزمن يحيلنا إلى جزائر الاستقلال وخاصة السبعينيات وما شهدته من تحولات وهذا بالبدء في التخلي عن النظام الاشتراكي، وتبني الرأسمالية ويتجلى ذلك في الصورة التي رسمت لـ"الحاج عون الله" « ..تكذب وتقول : تحيا "الثورة الاشتراكية" ، وفي نفسك تلعنها ، وتلعن المؤمنين بها تقول الرايس قال : وأنت تحرف كلامه ، تحاربه " السم في العسل ".

تقول : جبهة التحرير كذا وكذا وأنت مغلق أبوابها تحارب وتطارد مناضليها الصحاح.

تقول في التجمعات : المجد والخلود للشهداء. وأنت تأكل كل يوم حقوق أولادهم وتدوس قبورهم .

لو كان الشهداء من قبورهم قاموا مثل الخاين حاكموك .ناس سعيدة في تاريخها ما عرفت الظلم مثل ظلمك »[4].

وظهر هذا الظلم في الرواية بتفكيك نقابات العمال داخل مصنع الورق وطرد بعضهم بالإضافة إلى الضغط على الفلاحين بتكديس إنتاجهم من أجل التخلي عن خدمة الأرض وبالتالي بيعها واستثمارها من طرف أصحاب رؤوس الأموال .

---

[1] - الرواية: ص (46) .
[2] - الرواية : ص (175).
[3] - الرواية : ص (90).
[4] - الرواية : ص(65).

أما الزمن الحاضر فيبقى هو « المهيمن على عالم الرواية وواقع الشخصيات في النص وهو يمثل زمن التجربة والمعاناة ، ومن ثمة بؤرة الأحداث ففيه تجد المناورات وتحاك الدسائس بين الطائفتين المتصارعتين والمتنافستين في الانتخابات "ذرية النمرود" و"ذرية الذئاب" وفيه تحدد مصائر الشخصيات ، ويحافظ بعضها على موقعه في السلطة "الحاج عون الله والحاج الحرايري"، ويفقد بعضها الآخر ذلك الموقع وقد عجز عن المقاومة والصمود " يزيد " ، بينما ينتهي بعضها الآخر إلى السجن نتيجة معارضته للسلطة ومقاومته لانحرافها وتعريته لها عن الآخر"أمين، ولد ربيعة هارون"»[1].

أما الزمن الثالث وهو المستقبل فيتضح من خلال الصراع بين الطرفين المتعارضين من أجل الفوز بالانتخابات فلكل طرف طموحه الذي يسعى من ورائه في هذه الاقتراعات ، فـ"ذرية الذئاب" تعمل على مواصلة بسط نفوذها من أجل الحفاظ على مصالحها « نصارح بعضنا ، بدأنا نتراجع اليوم بعد اليوم .أنا قلتها: يوم تركنا "الحاج عون الله " تشتت شملنا والرجلة ماتت فينا . في آخرك يا زمان يجيء ولد ربيعة يقودني من أنفي ؟؟.

ما نفرط في مصالحنا ياسي" يزيد" ، عدونا ما يرحمنا »[2].

إن شخصيات "ذرية الذئاب" في الرواية« يعيشون زمانا أحادي البعد يسير بهم في اتجاه الخلف بلا هوادة ، يعضد هذا الرأي ويبرهن على وجاهته ، وذلك الاستعمال المتواتر من طرفهم لتقنيات العودة إلى الماضي أو أشكال الاستذكار المختلفة ،مما يحول الرواية إلى نوع من الذاكرة التي تتولد فيها صور الماضي وتصبح جوابا على التطور التاريخي المعاق ... »[3].

ومن أمثلة ذلك حديث منسق القسمة عن والده « الله يرحمك يا بويا في ذلك الكلام ، كان "الحاج بوعلام "يملك السماء والأرض ، أربع نساء، مائة راعي ، والخماسة في أراضيه بلا حساب الكولون ما قدروا عليه ، مزرعته ما ملكها "ولد رومية" ولا " خينتو" .

كان يركب عوده الأدهم ، ويسري كالبرق ، يطيح على الرعيان والخماسة .نظرة واحدة يعرف الخماسة ما كان يسألهم .حديثه كان السوط – عبد حرطاني – ملكه أولاد سيدي الشيخ ...الراعي كان على ركبتيه يسجد ويعطى ظهره، لا كلام. لا آه. إذا تنهد طرده »[4].

وهذه الصورة تمثل الرغبة في استمرار السيادة والتسلط ولا مجال للتبخر في أوساط العامة من الشعب .

أما المستقبل بالنسبة لـ "ذرية النمرود" فيتجلى في طموحهم في الفوز بالانتخابات وبالتالي « تجاوز أخطاء الماضي وإحداث القطيعة مع مخلفات الاستعمار وأذنابه ممن لا يزالوا أحياء يسعون

---

[1] - بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص(237).
[2] - الرواية : ص (141).
[3] - حسن بحراوي: الرواية والواقع ، قراءة في(زمن النمرود) ، ص (79).
[4] - الرواية :ص(45).

ويؤثرون في الحياة السياسية للبلاد »[1].إذ كانوا يؤمنون بضرورة التغيير الجذري لكل هياكل الحزب « ...حزبنا ينقصه التطهير والتجديد والتدعيم ،هذا الحزب يلزمه ثوار إيمانهم إيمان الشهداء بالحرية والعدالة، ما أخفي عليك ...الناس بدأت تنسى عهد الشهداء .هذه مصيبة الله لا يبلينا.

– هذا الحق ، الاشتراكية يلزمها حزب ثوري وإلا تعثرت التجربة ، الثورة كما "البابور" في البحر الحزب الثوري هو قايدها »[2].

ويعتبر الحلم أحد أشكال توظيف الزمن المرتبط بالمستقبل « إذ يشكل نوعا من الهروب من الواقع المعيش، يسهم في تداخل الماضي بالحاضر بالمستقبل ، ويبرر ذلك ، ومن ثمة يقوم بتكسير النسق التقليدي للزمن فضلا عن إسهامه في تعدد الفضاءات وتداخلها وكشفه عن مدى تأزم الشخصيات ، وتداخل حدود الحقيقة والخيال في الوقائع المروية إلى حد التماهي ، وتعدد مواقع الحلم في الرواية ، وكأنه يمثل أفق خلاص من وطأة معاناة الواقع »[3].

ومن أمثلة ذلك قول "عوج الفم ":« أنا لو تعطى لي أربعة وعشرون ساعة من الحكم..كل سراق سعيدة ...كبارهم وصغارهم أفريها معاهم ، أعرفهم واحدا وحدا»[4].

ويبدوا أن الروائي استفاد إلى حد كبير من تقنيات الرواية الحديثة ويمثل ذلك التداعي والتذكر حيث كانت « الانتخابات نقطة الانطلاق لسلسلة التداعيات التي تتخلل خطاب الرواية ويتبلور في تيار الوعي من جهة والومضات الروائية من جهة ثانية وهي ومضات يستقل بعضها بوحدات قصصية خاصة به ، وبعضها الآخر معرج في إطار وحدات سردية أخرى وتتم هذه الومضات عبر فعل التذكر ومسلك الذاكرة»[5].والصورة الآتية توضح لنا ذلك : « أنا التحقت بالثورة .واحد ما أجبرني، ولا قادني من نيفي ، جريت اتصلت بالخيط .كنت قضيت على "تشاطوالبياع" والتحقت بالجبل ..في معركة "اللبة" ، جرحت واستشهد عشرة – الله يرحمهم – لكن في معركة " تامسنة" الجرح كان أكبر...»[6].

غير أن الزمن في بعض المقاطع من الرواية ينزع نحو « المطلق المتجاوز في ذلك حدود الذات الكاتبة والمحلية الجزائرية ويتجلى ذلك في قصة (الحاج بوعلام والشيخ المجذوب صاحب الحمامة الزرقاء) على سبيل المثال »[1]،و التي مفادها أنه « في يوم من الأيام ... المجذوب – صاحب الحمامة الزرقاء – قالها له في الزاوية : أنت تسود .. ذريتك يجيء عليها وقت فيه الهم و الدم و البغلة تلد ، لازم الدم يطيح ،خماستك و رعيانك ، و خدامك سوسة تاكل عظمك.ذريتك ما تكون في

---

[1] - حسن بحراوي :الرواية والواقع ، قراءة في (زمن النمرود) ، ص (79).
[2] - الرواية : ص (91).
[3] - بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص (238).
[4] - الرواية : ص (56).
[5] – المرجع نفسه : ص(239).
[6] - الرواية : ص(94).
[1] - ينظر بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص (238).

عظمتك، تتشتت، و أرضك تتقسم.الوادي حامل ...حامل بالهم و الدم. و الزاوية يجيء عليها وقت تتهدم.المجذوب – صاحب الحمامة الزرقاء – في الليل بات يدور، حمامته على كتفه، كان كلما دخل مقبرة القبور تنفتح و يخرج منها الموتى. نساء، رجال، أطفال، أجسادهم عارية، بلا عورات جميع موتى المقابر يمشون... الناس ما عرفت ما قال – صاحب الحمامة الزرقاء – للموتى ليلتها... الدنيا في الصباح جرات للوادي . وجدوا آثار أقدام حافية... »[2].

من كل هذا يبدوا أن رواية " زمن النمرود " رواية ذات زمنين متقابلين يمثل الصراع مدارهما « زمن آلي هو المستقبل الذي بدأت تباشيره تلوح في أفق التصحيح و التغيير الوشيك.. و زمن ذاهب يجر ذيوله و ينذر بنهاية حقبة مليئة بالثقوب.. و بينهما يؤسس الحاضر المتأجج زمنه الملتهب الخاص .. مسكونا بالألم و المعاناة و حافلا بالمخاض و اللحظات العسيرة.. »[3] .

ثالثا–الزمن النفسي :

إن الزمن النفسي « زمن التحدي تعلق بالواقع الداخلي و المعاناة الفردية لشخصيات الرواية ، و يعكس حركة استقبال الحس لعناصر الأشياء الخارجية ورد فعل الذات على ما يعلق حولها »[4].

و هو زمن «تجربة الشخصية ذاتها و العالم الاجتماعي ، السياسي المحيط بها... »[5].

وفي إطار الزمن النفسي « ينكسر الزمن في ذهن الشخصية للتعامل نفسيا مع ماضيها و هي تعيش تجربة صعبة في الحاضر، و هذا التكسير للزمن مرتبط أساسا بعملية الاسترجاع المجسد عن طريق المونولوج... قد يترجم لنا الحاضر بكل خلفياته النفسية و الفكرية مأساة البطل الزمنية و على أساسه تتداعى صور الماضي و طموحات المستقبل مكثفة تجربة الشخصية و معمقة لدورها في الحياة »[6].

والصورة الآتية تعبير صادق عما قلته فشخصيات "ذرية النمرود" تقرر موقفها من" ذرية الذئاب" انطلاقا من ماضيها الحافل في الدفاع على أرض هذا الوطن ، و إنقاذه من الاستعمار الذي ارتكب في حق الجزائريين أبشع الجرائم الإنسانية « غلة الاستقلال ما ذقناها يا خويا "المسعودي " أنا قلبي دود ، و الحالة طالت ، أغنياء وقتنا اليوم كيف كانوا قبل الاستقلال ؟؟ من أين جاتهم الأموال ؟؟ ليلة القدر ؟؟ الاستقلال أغناهم ؟؟ أعلاه أنت تبقى دائما تكسب من عرق أكتفك ؟ أعلاه أنا كذلك ؟ أعلاه كل الناس مثلي و مثلك،ربي كتب علينا ؟ لا حاشا.

---

[2] - الرواية : ص (45-46-47).

[3] - حسن بحراوي : الرواية والواقع ، قراءة في (زمن النمرود) ،ص(80).

[4] - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (دط) ، (1994) ، ص (129).

[5] - سمر روحي الفيصل : بناء الزمن في الرواية العربية السورية ، ص(05).

[6] - باية خوجة : صورة البحر في روايات حنا مينة، رسالة ماحستير بإشراف د/ أبو العيد دودو، معهد اللغة والأدب العربي،جامعة الجزائر ، (1995-1996)، ص (210-211).

أعلاه "يزيد" و أمثاله يزيد مالهم ؟؟ أعلاه ناس ما تلحق قوة يومها ؟؟أعلاه جاهدت أنت و اعلاه مات الشهداء؟؟ ... يا"ولد ربيعة " يا خويا همك هو همي ، ومثلنا أعطى ربي الخير ...قلبك كما قلبي حامي ، لكن نحب الخير للناس ..نحن وأمثالنا موجودون ونبقى ما دام المرض والقهر والجوع»[1].

إنها بحق صورة معبرة عن سخط الرعية لما آل إليه وضعها نتيجة الاختلاس والتهميش الشيء الذي أدى بها إلى الصراخ « يا الجزائر يا أم الفقراء ، متى يخرج " حديدوان من باب الحديد " ؟؟ وينقذك من الأغوال »[2].وهي صورة تؤكد عن معاناة الجزائري الذي حقق الاستقلال ولم ينعم بخيرات بلاده التي ظلت رهينة الاستغلاليين.

أما الزمن النفسي بالنسبة لـ" ذرية الذئاب " فيتحدد في كونها إذا خسرت الانتخابات فإن مصيرها سيؤول إلى المجهول « إذا طبقت الديمقراطية كما تسمى كانت المصيبة ..واجب قولها ...

– بالسيف علينا.. يلزمنا تحضير قاعدة واسعة من المناضلين ..

– المال يصنع الطريق في البحر .. وأنا وعدتكم وما كذبت .. القسمة باق فيها .بالمال بالجاه أو .. بالقوة نهايتي تكون نهاياتكم.أفهموا ..»[3].

إن ما يمكن قوله حول الزمن النفسي لرواية "زمن النمرود" أنه تحكم فيه الماضي بثقله التاريخي و الاجتماعي والسياسي بما فيه من بطولات واضطهاد وظلم ، ومآسي ، وظل هذا الماضي يشكل مرحلة حاسمة ومهيمنة في وعي الشخصية النفسي ، وعن طريقه استطاعت شخصيات "ذرية النمرود" إعطاء قيمة مادية ومعنوية لحاضرها الداخلي والخارجي ، وعن طريقه تراءت لها طرق المستقبل .

2– الفضاء البطولي في تاريخ الجزائر الحديث:

أ– مفهوم المكان الروائي:

يعتبر مصطلح المكان من المكونات الأساسية للسرد، و قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود الرواية أو العمل الفني جميعا، و كذلك فإن «مكان الرواية ليس هو المكان الطبيعي، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة و أبعاده المميزة »[1] . كما يعد « الأرضية المناسبة والخصبة للشخصيات.. إنه حدث و جزء من الشخصية» [2].

---

[1] - الرواية : ص (93).

[2] - الرواية : ص(71).

[3] - الرواية : ص (140).

[1] - سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص (74).

[2] - رابح الأطرش :بناء الرواية العربية الجزائرية (1970-1985)، رسالة ماجستير بإشراف د/ مصطفى عبد الشافي الشورى ، قسم اللغة العربية، جامعة عين شمس ، مصر (1990-1991)، ص (155).

والمكان الروائي كما يسميه بعض النقاد «الفضاء، مجرد وعاء يحتوي الأحداث الروائية و لا عبرة له إلا لكونه حاملا لتلك الأحداث... ولا أهمية له على صعيد الكتابة الروائية خارج الرموز التي يوصف بها أو يدل عليها... لكن الرواية عندما تقوم بتصوير المكان لا تستطيع أن تتحاشى البعد الإنساني لأن مقولة المكان تبقى متعذرة بدون حضور الإنسان الذي يمنح لهذا المكان زمنه و حدوده،وهذا يعني أن حضور المكان باختلافاته الممكنة ليس جغرافيا فقط ، و لكنه معنى اجتماعي ، و بالضبط إنه معنى رمزي ، و أيديولوجي عندما نفسر ذلك المعنى الرمزي » [3] .

وترى "جوليا كريستيفا" أن الفضاء الجغرافي ليس منفصلا عن دلالته الحضارية فهو «يتشكل من خلال العالم القصصي ، يحمل معه جميع الدلالات اللازمة ، و التي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم و هو ما تسميه "أيديولوجيم" العصر (idiolgime). والأيديولوجيم هو الطابع الثقافي العام الغالب في عصر من العصور،ولذلك ينبغي للفضاء الروائي أن يدرس دائما في تناصيته ، أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما أو حقبة تاريخية محددة » [4]

وينطلق "لوتمان" في تحديده لمفهوم الفضاء من مسألة التقاطبات ،فالفضاء هو «مجموعة من الأشياء المتجانسة الظواهر، و الحالات ، و الوظائف ، و الصور، و الدلالات المتغيرة التي تقوم بينها تلك العلاقات المكانية المعتادة (كالامتداد و المسافة) .بل أن لغة العلاقات المكانية تصبح من الوسائل الأساسية للتعرف على المواقع ، فمفاهيم مثل الأعلى/ الأسفل ،القريب / البعيد ، المتفتح/ المغلق ، المحدود / اللامحدود ، و المتقطع /المتصل .كلها تصبح أدوات لبناء النماذج الثقافية دون أن تظهر عليها أية صفة مكانية .ويرى "لوتمان" أن النماذج الاجتماعية ، والدينية ،والسياسية ،والأخلاقية في عمومها تتضمن نسبا متفاوتة وصفات مكانية ،تارة في شكل تقابل السماء /الأرض ،وتارة في شكل نوع من التراتبية السياسية والاجتماعية حين تعارض بوضوح بين الطبقات "العليا" والطبقات "الدنيا"،وتارة أخرى في صورة صفة أخلاقية حين تقابل بين "اليسار واليمين" ،أو بين المهن "الدونية والراقية "...وكل هذه الصفات والأشكال تنتظم في نماذج العالم تطبعها صفات مكانية بارزة وتقدم لنا نموذجا أيديولوجيا متكاملا يكون خاصا بنمط ثقافي معطى » [1].

والفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى للسرد «لا يوجد إلا من خلال اللغة،فهو فضاء لفظي(espace verbal)بامتياز ، ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح ،أي عن كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع ،إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في

---

[3] - محمد الدغمومي : الرواية المغربية والتغيير الاجتماعي ، ص (83-84).
[4] - حميد لحمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ص (54).
[1] - حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص (34).

الكتاب ، ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه ويحمل طابعا مطابقا لطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ الفكر نفسه »[2] .

إن الفضاء في الرواية ليس سوى «مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن ، والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث أي الشخص الذي يحكي القصة والشخصيات المشاركة فيها ... فالمكان لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليس لديه استقلال إزاء الشخص الذي يندرج فيه. وعلى مستوى السرد فإن المنظور الذي تتخذه الشخصية هو الذي يحدد أبعاد الفضاء الروائي، ويرسم طوبوغرافيته ويجعله يحقق دلالته الخاصة وتماسكه الأيديولوجي » [3].

والفضاء في الرواية ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة لأنه « يعاش على عدة مستويات من طرف الراوي بوصفه كائن مشخص و تخيليا أساسا، و من خلال اللغة التي يستعملها، فكل لغة لها صفات خاصة لتحديد المكان (غرفة، حي، منزل...)، ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، و في المقام الأخير من طرف القارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة »[4].

ويعرف "لوتمان" المكان بقوله هو:«مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات ، أو الوظائف ، أو الأشكال المتغايرة ، و تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الاتصال ، المسافة ... الخ»[5].

ويؤكد"جاستون باشلار" على أن «المكان في الفن ليس مكانا هندسيا خاضعا لقياسات وتقسيم مسح الأراضي ،بل هو مكان عاشه الأديب كتجربة ، وأن هذا المكان لا يعيش على شكل صور فحسب ، بل يعيش داخل جهازنا العصبي كمجموعة من ردود الفعل ، فلو عدنا إليه حتى في الظلام فلسوف نعرف طريقنا إلى داخله »[1].

إن المكان في الراوية العربية «مكان أمومي ،فاستعادة المكان بعمق في الأدب العربي تستدعي الأم كنمط أصلي كما تستدعي أيضا صورة مجتمع الأمومة الذي كان سائدا في فترات التاريخ العربي »[2].

ويمكن وضع المكان في الرواية العربية تحت ثلاثة عناوين رئيسية أعتقد أنها تستطيع استعاب النمط المكاني في غالبية الروايات العربية .

---

[2] - المرجع نفسه : ص (27).
[3] - المرجع نفسه : ص (31-32).
[4] - المرجع نفسه: ص (32).
[5] - رابح الأطرش : بناء الرواية العربية الجزائرية ، ص (155).
[1] – غالب هلسا : المكان في الرواية العربية ، الرواية العربية واقع وآفاق ، دار ابن رشد ، بيروت ، لبنان ، (ط1)، (دت)، ص (224).
[2] - المرجع نفسه : ص (213).

– الأول:«المكان المجازي : وهو المكان الذي نجده في راوية الأحداث المتتالية والتشويق رواية الفعل المحض وسماه "غالب هلسا" مجازيا،لأن وجوده غير مؤكد بل هو أقرب للافتراض، وإن المكان هنا لا يزيد عن كونه ساحة للأحداث الجارية أو دلالة على الشخوص الروائية فيها يتعلق بمركزها الطبقي أو نمط حياتها ،وهو أيضا مكمل للأحداث مثل الأشجار التي تعترض طريق البطل أو التي تخفي الهارب .وهو بهذا ليس عنصرا من عناصر العمل الفني ،بل مجرد توضيح لا بد منه »[3].

– الثاني: «المكان الهندسي:وهو ذلك المكان الذي تعرضه الرواية من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد، أي حين ينفك المكان ليتحول إلى مجموعة من السطوح والألوان والتفاصيل التي تلتقطها العين منفصلة ولا تحاول أن تقيم مشهدا كليا.إن الراوي يتخذ حياد المهندس أو سمسار الأثاث إذ يحذف كل الصفات ذات الطابع التقييمي ويكثر من المعلومات التفصيلية »[4].

– الثالث « المكان كتجربة معاشة : وهو المكان المعاش كتجربة داخل العمل الروائي والقادر على إثارة ذكرى المكان –مكانه–عند القارئ هو مكان عاشه مؤلف الرواية ، وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال»[5].

ويتوزع المكان بين مجالين «"المكان الإطار" و"المكان الفعل" ،فالمكان الإطار هو ديكور الحدث الذي يهيئ له شروط وجوده ،والمكان الفعل هو لحظة التنوير المقترنة بمركزية الحدث الروائي منه تستمد الشخصيات،والتي تسعى من خلال فعل القص لتستقر فيه وغالبا ما يكون مكانا تتجمع فيه الظلمة و تبوح فيه الشخصية بمكوناتها وأسرارها »[6].

وفي الأخير يمكن القول بأن المكان في العمل الروائي ضروري ولا يمكن الاستغناء عنه لأنه لايمكن تصور وجود حدث ما بمعزل عن المكان حتى وإن لم يكن هذا الأخير حقيقيا ،وهذا ما سأحاول الكشف عنه في دراستي للمكان في رواية "زمن النمرود".

ب– توظيف المكان في رواية "زمن النمرود":

تنوعت فضاءات رواية "زمن النمرود" وتعددت ، وهي ذات حضور حقيقي تحيلنا على كبريات المدن الجزائرية ، "كالجزائر العاصمة ، وهران ، و عنابة، و تيزي وزو، و تيارت..." غير أن « مدينة سعيدة تبقى هي الفضاء المهيمن على عالم الرواية، إذ تمثل الفضاء الذي تمارس فيه الشخصيات تجربة الحياة السياسة، ومن ثمة بؤرة الأحداث، فضلا عن كونها فضاء كتابة الرواية»[1].

---

[3] - المرجع نفسه : ص (217).
[4] - المرجع نفسه: ص (220).
[5] - المرجع نفسه :ص (223-224).
[6] - إدريس بودبية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، ص (181-182).
[1] - بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص (231).

وركز الروائي داخل هذه المدينة على نوعين من الأمكنة المتناقضة،يمكن عرضهما على الشكل الآتي :

أولا – أماكن مفتوحة : وهي الأماكن التي «تلتقي فيها أعداد مختلفة من البشر وتزخر بالحركة والحياة »[2] . كما يمكن إضافة عنصر آخر هام جدا وهو حرية التعبير.

ويمثل هذا النوع من الأمكنة في الرواية في بعدها الدلالي والاجتماعي فضاء وحيد هو:

– **مقهى تشراك الفم :** أو كما يسمى أيضا " مقهى المولودية" نسبة إلى فريق كرة القدم لمدينة سعيدة.وهو فضاء شعبي بسيط تتجمع فيه الفئات المسحوقة من سكان المدينة بالإضافة إلى المعلمين المعروف عنهم بممارستهم للسياسية ، فهذه المقهى تعتبر «مكان انتقال خصوصي ،بتأطير لحظات العطالة ، والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة ، فهناك دائما سبب ظاهر أو خفي يقضي بوجود الشخصية ضمن مقهى ما ...»[3].

ولعل سبب تجمع سكان المدينة في هذه المقهى يعود أساسا إلى كونها «منذ الاستقلال..ظلت ملتقى الأخبار، كما ظلت مصدرها.أخبار تدور حول السياسة والسياسيين أخبار تتعلق باختلاس أموال الدولة ،وأخبار أخرى تدور حول الفضائح الجنسية »[4]. وهذا راجع إلى الوضع المتردي الذي كان يعاني منه سكان مدينة "سعيدة" جراء عدم استفادتهم من ثمار الاستقلال ، فأصبح هذا المكان يمثل متسعا لهم للتعبير عن مأساتهم التي يتخبطون فيها وسخطهم على الجهاز السلطوي فـ «وضع اللمسات الأخيرة لتشويه سمعة شخصية سياسية تبدأ من هنا ، مهما كان مستوى المنصب وقوة النفوذ » [1]. والصورة الآتية توضح لنا ذلك .

«قالوا :رئيس البلدية خبطها إلى الشارع خرج، كان الوقت ليلا يبحث عن عشيقته،وقع أن نسي هذا. تركها مع صديق له، خلا إليها أخذا لدوره،وصل إلى بيت عائلتها على الباب دق بحجر التقطه فتح الباب. قيل له: قالت: ستقضي الليلة عندك.كفر، سخط، لعن العائلة والحكومة والشعب، كان تذكر . حوله كثر القيل والقال ، استمر ذلك شهرين كانت الأخبار تصله.سمع أن سكان المدينة مستاءون ، قرروا رفع شكوى ضد عربدته. حاول الاستقامة ، انتقل ذات مرة إلى أحد الأحياء المعزولة .كان السكان في انتظاره عندما وصل واجهوه بعياط وصفير ،لم يبخل عليه الأطفال بحجرات .حين أقلع كانت تصيب سيارته »[2].

---

[2] - ينظر سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص (77) .
[3] – حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص (91).
[4] - الرواية : ص (11)
[1] - الرواية : ص (12).
[2] - الرواية : ص (11-12).

وفي هذه المقهى بالذات « ترتب كل الخطط السياسية ، هجومية ، ارتدادية ، تراجعية ..وفيها تحدد صيغ الحلول الوسطى بين الأعداء السياسيين في المدينة »[3].

لذلك نجد بها الجهاز الاستخباري السلطوي نشيطا جدا،لأن كل ما يصدر عن المقهى يكون حقيقيا ، فهي تسهل عليه معرفة ما يدور بين الأوساط الشعبية حول الوضع العام للمنطقة «أعوان الأمن لا يجدون صعوبة في سبر أعماق الرأي العام السائد ، أو المتحول ، فالقهوة مرجعهم ، يستقرئونه .. يحددون أسلوب المناورة، المواعيد التاريخية تكون المناسبة السانحة لأمر ما.. نادرا ما يثبت عكس الخبر الذي تصدره القهوة »[4].

وتعتبر شخصية "عوج الفم" الشخصية الرئيسية في المقهى ، فكل الأخبار و الشائعات تصدر منه سواء فيما يتعلق بدعاة الاشتراكية أو أصحاب الحكم . الكل يجتمع حوله طالبا الجديد ، بدونه المقهى لا تساوي شيئا فقد تفقد نكهتها و زبائنها « رائد كبير قد تخسره . يقف أمام بابها حائرا . يدخن ، يحرق أعصابه . لو يدري صاحب القهوة ؟؟ قد يخسر كثيرا من وراء غيابه، لو علم لاقترح عليه سمسرة »[5].

وعموما فإن فضاء "مقهى تشراك الفم" يمثل « نسقا مرجعيا ذا دلالة و خطابا رمزيا و أيديولوجيا ، إذ ينهض إطارا للحدث الحكائي مجالا لتحرك الشخصيات و تبادلها الأخبار السياسية و صنعها الشائعات و نسجها المكائد و المناورات »[6]. و لربما ستكون هذه المقهى المكان الذي سيحدث منه التغيير .

ثانيا – أماكن مغلقة: و هي التي ترمز للنفي و العزلة و الكبت إذ الانغلاق في مكان واحد تعبير عن العجز و عدم القدرة أو التفاعل مع العالم الخارجي [1].

ويمثل هذا النوع من الأمكنة في بعدها الاجتماعي و الدلالي مجموعة من الفضاءات هي :

– **دار القسمة:** هي مكان تسيطر عليه و بلا منازع "ذرية الذئاب" الممثلة في شخص "يزيد" المنصب عن طريق التزوير بمساعدة "الحاج عون الله" ، و بالدعم المستمر من "الحاج الحرايري" .وهذا المكان كان مركزا لحبك الدسائس و المؤامرات ضد "ذرية النمرود" ،فمنه تم إقصاء كل من "المانكو و يمينة و زينب" من الحزب. و فيه تم تدبير المكائد لكل من"أمين ، وولد ربيعة ، و هارون". كما تم بداخله تزوير نتائج الانتخابات ، و ذلك بتنصيب "يزيد" على رأس القسمة ، الشيء الذي أدى إلى حدوث الصدام به بين الطرفين المتعارضين ، و منه كانت نتيجة زعماء "ذرية النمرود" السجن .

---

[3] - الرواية : ص (12).
[4] - الرواية: ص (13).
[5] - الرواية :ص(211).
[6] - بوشوشة بن جمعة : اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، ص (231).
[1] - ينظر سيزا أحمد قاسم : بناء الرواية ، ص (77).

– **مزرعة بلخير**:أو كما كانت تسمى في عهد الاستعمار بمزرعة " مارولي " نسبة إلى مالكها الذي يعتبر من أحد كبار الكولون . وهي حسب ما وصفها الروائي تبدو ذات مساحة شاسعة،تدر أرباحا كثيرة على صاحبها نتيجة استغلاله لعمالها ولخصوبة أراضيها« آه.مارولي ... هذه الأراضي من هنا لسعيدة،ومن هنا حتى بالول .كانت كلها له بالطيارة.كان يسيرها . هذه الأراضي لما كانت ملكه كانت تخرج الذهب .. العرب كانت تخدم من الفجر للمغرب »[2].

وبعد الاستقلال وصدور قانون التأميمات أصبحت ملكا للصالح العام،حيث استفاد منها الفلاحون البسطاء.الشيء الذي دفع بـ " ذرية الذئاب " وعلى رأسهم مسؤول اتحاد الفلاحين " الحاج الحرايري " إلى استنكار السياسة التي فرضتها الدولة بحجة أن المزرعة لم تعد تنتج كما كانت عليه من قبل « لو بقي الكولون هنا ،أو هذه الأرض باعتها الحكومة لناس كبار أو كراتها لهم .. كان الخير تدفق وعم .لكن شف وتعجب ... الأرض عقرت مع عرب لوط »[3].لذلك سعوا إلى تضييق الخناق على عمالها عن طريق تفكيك النقابة الممثلة لهم أولا،ثم إلى عرقلة بيع محصولها من التفاح ثانية بغية تنازل الفلاحين عن خدمتها وبالتالي الاستحواذ عليها « هذا الـ" يزيد " ياترى يكون استدعى الناس ؟. الاجتماع شيء شكلي .. أتركهم يتكلمون ويتكلمون .. من بعد أبردهم كما حديدة حامية غطسها " النياطي " في الماء .الليلة نتفاهم. ضربة واحدة . يطرحون علي مشكلة التفاح؟؟.الحل المناسب موجود. اتصلوا بمسؤول تعاونية البلدية . وهو يتصل بالتعاونية الولائية . هذا يتصل بهذا . دوري أنا سياسي . لأن دور المنظمة سياسي .ما هو نقابي .هكذا يفهمون»[4]. وهذا ما عجل بـ"المسعودي" إلى رفع التحدي وعدم الاستسلام وتحمل مسؤولية بيع التفاح على عاتق الفلاحين « أنا أعرفك يا " سي الحرايري" سترى .. عمال مزرعة عمال صح أو ... هذه المزرعة انتزعناها من الكولون. نحن نسيرها.نحن نحل مشاكلها...القضية باتت عندنا والتفاح يجمع ويسوق .. خسارته خسارتنا.خسارة المزرعة وخسارة البلاد كلها ... نبرهن لك يا" الحرايري " بأننا عمال أرض صح.العراقيل ما توقفنا . ونقدر على المسؤولية تحملناها في مارس 63 »[1].

ولكي تبقى المزرعة ملك الفلاحين البسطاء قرر أفراد " ذرية النمرود " تشكيل تكتل نقابي يحمي مصالح الضعفاء ، ويقف في وجه من يريدون الاستيلاء عليها على الرغم من صعوبة هذا التحدي .

– **مصنع الورق:** يعتبر أكبر مصنع بالمدينة إذ يشغل أكثر من ألف عامل معظمهم من الجنوب ،جيء بهم بغية كبح نشاط أتباع "ذرية النمرود" « مائة عامل جاءت من الجنوب . للحق ، جيء بهم ... أبناء فلاحين صغار .. أبناء رعاة و عزابة ... "الحاج عون الله" وردهم ... ذرى الرماد في عيونهم قالها...

---

[2] - الرواية : ص (69).
[3] - الرواية : ص (70).
[4] - الرواية : ص (76-77).
[1] - الرواية : ص (85).

دخلناكم مصنع الورق ؟ إعملوا .. عملكم الأول محاربة "ذرية النمرود" . هكذا صور لهم "النقابة شيوعية.والشيوعية كفر وإلحاد" أغلبهم – ربما – لم يقتنع "كونوا عند حسن ضننا..ما يفوت وقت ونسكنكم" ... بعضهم حاول التسرب لإيقاف ماكينات المصنع »[2].

وبسبب تبعية أغلبية العمال لـ "ذرية الذئاب" فإنهم تمكنوا من الظفر برئاسة نقابة عمال المصنع، فتسنى لهم بذلك إصدار القرارات الظالمة والمجحفة في حق خصومهم،إذ تمكنوا من طرد العناصر الفاعلة فيه من "ذرية النمرود" ، يتقدمهم في ذلك "أمين" بحجة التشويش وإثارة الفوضى . كما منعوا بقية العمال من الاقتراب من ماكينات المصنع بدعوى أن إدارتها تعود إلى عمال الشركة الفرنسية "كروزو لوار"،هذه الشركة التي تعمدت تأخير إنجاز المصنع بطلب من "ذريةالذئاب"،الشيء الذي أدى إلى ارتفاع تكاليفه إلى الملايير،بالإضافة إلى استغلالها له بمعية شركة بلجيكية في صناعة الأسلحة .وهذا ما دفع بـ"ذرية النمرود"إلى الاحتجاج أولا والمطالبة بأحقية العمال في تسيير شؤونهم بأنفسهم « المعمل للعمال . والطاعة على الجميع .. مجلس عمال ديمقراطي »[3].

ولما رفضت الإدارة الاستجابة إلى مطالبهم الشرعية قرروا الثورة ضدها وانتهى الأمر بعزل مدير المصنع "سي مقدر" رفقة أعوانه ، واستحوذ بذلك العمال على المصنع « أكثر من أربعمائة عامل – والبقية في المصنع – تقف على باب الولاية.كانوا مروا مع أكبر شارع في المدينة يهتفون . قد تكون المرة الثانية في تاريخ المدينة .. لقد سبقتها هتافات سنة 1945 ... بات المصنع بين أيدي العمال . كونوا فرقا للمراقبة وأخرى للأمن .انتخبوا رئيسا على كل ورشة .نظام 3 في 8 سار بصفة رائعة . بعض الفرق كانت تحضر قبل الوقت . رهان كان يجب أن يكسب »[1]. لكن هذا لم يدم طويلا إذ سرعان ما استرجعت "ذرية الذئاب" هيمنتها على المصنع وزجت بكل من تمرد عليها في السجن .

وإلى جانب "دار القسمة" و "مزرعة بلخير" و"مصنع الورق" ، هناك فضاءات مغلقة أخرى لكنها ثانوية كـ"غابة الحلوف" التي عرفت محاولة اغتصاب " يزيد" لـ" يمينة"، و"سجن بوشقيف" الذي من خلاله استرجع "المسعودي" صور المعاملة الوحشية من طرف الفرنسيين لسجناء الثورة التحريرية . بالإضافة إلى الحبس الاحتياطي الذي أودعت فيه "ذرية النمرود" و« هذه العزلة التأديبية المفروضة على نزيل الزنزانة هي التي ستعمل على إنشاء الشعور بالعجز و الإحباط ، و إشاعة مناخ تراجيدي يقل نظيره في الفضاءات الموصدة الأخرى بحيث يصبح المكان فيها عبارة عن بؤرة للكثافة و العتامة و فقدان اليقين »[2]. الشيء الذي دفع بـ "أمين" إلى التساؤل و الحيرة حول إمكانية مواصلة العمال في

---

[2] - الرواية : ص (165-166).
[3] - الرواية : ص (168).
[1] - الرواية : ص (176).
[2] - حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي ، ص (68).

تضامنهم ضد مسؤوليهم « أغلب العمال في المصنع ذاق طعم الوحدة و الانتصار، هل سيواصلون ؟.. »[3].

وفي الأخير يمكن القول بأن "الحبيب السايح" تناول بالتصوير و التشخيص عدة أمكنة ذات دلالات ورموز فنية نابعة من رؤيته للواقع والمجتمع والتاريخ . والشيء الذي لاحظته هو تركيزه على"المقهى ودار القسمة" لأن في هذا تجسيدا لرؤيتة الفكرية ، والفنية والأيديولوجية .وقد استطاع توظيفهما كفضاء ين متعارضين يمثلان خلفية الأحداث التي تجسد مشكلة الإنسان الجزائري في صراعه ضد البيروقراطية ، والانتهازية ، والرأسمالية ، ورفضه لقوى الاستغلال في وطنه الجزائر.

IV- مضمون رواية "زمن النمرود":

1- مفهوم الحدث الروائي:

لا يمكن تصور عمل روائي دون وجود أحداث روائية لأن «موضوع الرواية بوصفها فنا يخضع إلى نظام معين من الأحداث و الشخوص، و بدون هذا النظام لا يمكن أن نعدها رواية بالمعنى الفني للمصطلح »[1].

والحادثة في العمل الروائي هي « مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة و منظمة على نحو خاص هاما يمكن أن نسميه "الإطار Piol " ، ففي كل القصص يجب أن تحدث أشياء في نظام معين، و كما أنه يجب أن تحدث أشياء فإن النظام هو الذي يميز إطارا عن آخر ، فالحوادث تتبع خطا في قصة ، و خطا آخرا في قصة أخرى »[2].

---

[3] - الرواية : ص (204).
[1] - إدريس بودبية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، ص (82).
[2] - عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ، ص (112).

و يعرف "حنا مينة" الحدث الروائي بأنه « واقعة معاشة أو مسموعة ، أو متخيلة في حال سماعها أو تخيلها لابد للروائي أن يكون على معرفة بالبيئة التي حدثت فيها ، و معرفة بالشخصية الروائية التي ليست أكثر من نطفة ، و في رحم الدماغ تنمو و تتكامل ، ثم لا تكون إلا جنينا عند الولادة ، مبدعها بعد ذلك هو الذي يدعمها لتترعرع في شرطها البيئي والاجتماعي و في شرطها الجغرافي و التاريخي ، أي شرطها الإنساني كاملا»[3].

إن الحدث ما هو إلا سلسلة أفعال وقعت في مكان فني موظف توظيفا زمنيا متعدد المستويات و الأبعاد، كما أن هذه الأحداث نفسها « تخضع ... في الرواية إلى بنية فنية تعيد تشكيل الحياة من جديد ، و ضمن هذه البنية المشكلة يقدم لنا الكاتب رسالة أيديولوجية مبنية على أساس متن أفعال تنتج رؤى فكرية أو خطابا محددا »[4] .

ويتضح من كل هذا أن اختيار الأحداث الروائية ما هي إلا « حيلة من الحيل الأدبية العديدة التي تهدف إلى إنتاج الفكر »[5] .

ورواية "زمن النمرود" ما هي إلا عبارة عن حدث واحد و موضوع واحد تشعب إلى مجموعة من الأحداث الفرعية التي ارتبطت ببعضها البعض بواسطة حبكة بررت العلاقات الموجودة بين تلك الأحداث جميعا.

والحدث الرئيسي الذي شكل مضمون هذه الرواية هو الانتخابات المحلية داخل مدينة "سعيدة" نهاية السبعينيات ، هذه الأخيرة التي وقعت تحت سيطرة مسؤولين انتهازيين لا يهمهم سوى المحافظة على مصالحهم و مكتسباتهم المادية انطلاقا من تمسكهم بالسلطة .ويتجلى عنصر المواجهة ضد هؤلاء المفسدين في إصدار الشائعات المفضحة لأخلاقهم ، وفي تتبع كل خطواتهم باعتبارهم مصدر الفساد و التراجع ونموذجا لسوء التسيير،وشيئا فشيئا يكشف لنا الروائي عن مغزاه ومضمون روايته وهو مقاومة الرأسماليين ، وكل من يدعو إلى التنازل عن الاشتراكية وذلك بالتصدي لهم ومجابهتهم مهما كانت قوتهم ، فالإنسان الجزائري الذي استطاع قهر الاستعمار وانتصر عليه باستطاعته أيضا هزم من يتبنون سياسته بعد الاستقلال ويحيدون عن الاختيار الاشتراكي كمسعى أساسي لبناء الدولة الجزائرية المعاصرة .

2- سير أحداث رواية "زمن النمرود":

عالج "الحبيب السايح" في روايته هذه حدثا تاريخيا مهما يعد عصب الامتداد التاريخي لجزائر ما بعد الاستقلال ، طرح من خلاله التحول الأيديولوجي الذي شهدته البلاد ، وخصه بموضوع سياسي

---

[3] - حنا مينة : هواجس في التجربة الروائية ، دار الأدب ، بيروت ، لبنان، (ط1)، (1982)،ص(35).
[4] - إدريس بودبية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، ص (83).
[5] - المرجع نفسه : ص(83).

خاص تمثل في الانتخابات التي كان من المفروض أن تكون الحل الحاسم للتعبير الديمقراطي والجمهوري والشعبي .كما صورت الشعب الحر في ظل الاستقلال .و لكن الإشكال الأيديولوجي يتعمق وينزاح نحو التصرف الفردي والسلوك الحزبي والوصاية وأشكال أخرى طغت على ديمقراطية الخطاب أين تميعت الحقيقة وانتصرت فيها القوى المعادية للديمقراطية وشرعية الانتخابات بالتزوير.

و أحداث هذه الرواية جرت في مدينة"سعيدة" وذلك نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات حيث عرفت الجزائر تحولا كبيرا في مجال سياستها الداخلية والخارجية.

وصور الروائي هذه الأحداث مقسمة إلى ثلاثة مراحل ما قبل الانتخابات، و الانتخابات و أخيرا ما بعد الانتخابات.وتقسيمي هذا يعود أساسا إلى الموضوع الذي طرحته الرواية وهو الاقتراعات البلدية خصوصا و الولائية بأقل حدة« هذه المرة كذلك قد لا يثبت تكذيب بشأن الخبر الذي انتشر ذلك لأن له علاقة بالمواعيد التاريخية ، موعد تجديد مجالس القسمات والبلديات موعد تجديد المجلس الولائي قد لا يأخذ كل الأهمية»[1].

والمرحلة الأولى نسبت إلى الفرد الشخص –الهواري بومدين– في إطار حزبي هيمنت فيه الشخصية الفردية على الدولة عسكريا وحزبيا واجتماعيا،إذ قاد الدولة بحكوماته الخاصة وخطط لمشاريع التنمية الوطنية منها الكبرى والصغرى ومحاولة إيجاد التوازن الجهوي والتوازن الدولي في إطار الشرعية الدولية والمطالبة المستمرة بتحسين سعر البترول والغاز والمواد الأولية وتسيير النظام الموجه بدل النظام الحر.هذا الوريث الذي لم يبق شرعيا إلا في إطاره الحزبي وهو هيمنة الرأسماليين لتغيير التوجه الفكري والفلسفي والعقائدي والديمقراطي بزعامات ادعت الإصلاح الذي لم ينتج سوى التخلف عن المشاريع الكبرى وتفتيت مؤسسات الدولة إلى وحدات استهلاكية أو تجارية صغيرة لا تساهم في التنمية الوطنية بقدر ما تساهم في الخوصصة والخصخصة الذي ألفقت بسبب نتائجه الانتخابات ومنها :

– أولا: المد الحزبي أو التوجه نحو الديمقراطية والتعددية الحزبية.

– ثانيا: الدعم الحزبي أو التوجه نحو الديمقراطية والتعددية الذي يوافق على التخلي عن مشروع الشرعية الثورية ، والثورة الزراعية ،والتوجه الاشتراكي ، والتسيير المنظم والموجه لمؤسسات الدولة الكبرى والصغرى .

– ثالثا: التحريض على مشروع العدالة الاجتماعية بأنه مشروع كافر ومستورد ولا بد من التخلي عليه أو نزعه واقتلاعه من مشاريع تخطيط الدولة و الاتفاق على الليبرالية بديلا عن الاشتراكية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية .

[1] - الرواية : ص (13-14).

وتعتبر أحداث المرحلة الأولى الأطول إذ تشغل حيزا مهما من الرواية زاخرة بأشكال الصراع الدائر بين "ذرية الذئاب وذرية النمرود" وما يحبكه كل طرف للآخر من مكائد ومناورات قصد الإيقاع ببعضهما بالإضافة إلى ما تسترجعه الذاكرة من أحداث تاريخية.

ويمثل مقهى "تشراك الفم" نقطة البداية لظهور ذلك الصراع حيث اتخذها أتباع "ذرية النمرود" مكانا لنشر الشائعات وترويجها ضد "ذرية الذئاب" محاولين تشويه سمعتهم والإطاحة بهم في الانتخابات المقبلة.ولعل ما قيل حول رئيس البلدية ومنسق القسمة وغيرهما لخير دليل على ذلك.

و بالمقابل جاء رد فعل "ذرية الذئاب" من "دار القسمة" التي نسجوا بها الحيل والمكائد للنيل من أعدائهم و ذلك باتهامهم بالشيوعية و العمالة « المتطوعون ورأسهم الكبير هم ذريته.. هو شيوعي و المتطوعون شيوعيون » [1].

وكان "ولد ربيعة" كاتب القسمة أول المستهدفين و هذا لكونه مثقف و خبير بأمور السياسة وعلى دراية بكل ما يجري في قسمة الحزب ، سعى من خلال حصوله على ملفات تدين منسق القسمة "يزيد" إلى الإطاحة به و بأتباعه في الانتخابات المقبلة. و هذا ما دفع بـ "يزيد" إلى طلب المساعدة من كبار رجال الحزب "الحاج عون الله و الحاج الحرايري "من أجل تنحية "ولد ربيعة "، كما قام بطرد "يمينة" من الحزب و نقلها إلى مستوصف آخر لأنها « تتمتع بثقة كبيرة عند النساء هنا في "بالول". وحتى المناضلين المخلصين.و "يزيد" يعرف هذا . الانتخابات قربت خافها تؤثر عليها .خلق هذه الحكاية : هدفه توسيخ سمعة "يمينة" و سمعة كل أصدقائها»[1]. و الشيء نفسه فعله مع "زينب" كما حرض عليها "أم الشيخ " فطردتها من الاتحاد النسائي بتهمة ممارسة الرشوة و الفساد الخلقي ، الشيء الذي أثار حفيظة " ذرية النمرود" و سخطهم على هذا القرار التعسفي «..."ولد ربيعة" و منسق الاتحادية و آخرون تشاوروا في القضية و قالوا:هذا مساس مباشر بأخلاق الحزب.وعزل "يمينة وزينب" مضاد لقوانين المنظمات الجماهيرية..منسق الاتحادية قالوا: وعد باتخاذ إجراءات رادعة »[2].

كما عرف مصنع الورق اضطرابات داخلية وهذا بفعل جلب "الحاج عون الله " لأيادي عاملة من خارج الولاية ، رغم نسبة البطالة الكبيرة الموجودة بها ، وهذا بغية الحفاظ على مصالحه بالوقوف في وجه النقابة العمالية المشكلة بالمصنع ، إلى جانب عدم كفاءة مديره الذي طلب من الشركة الأجنبية بعدم السماح للعمال بمراقبة ماكينات المصنع . بالإضافة إلى عدم اكتراث المسؤولين على تأخر الشركة الأجنبية الأخرى المتعددة الجنسيات بإنجاز بعض الوحدات الملحقة بالمصنع ، وممارساتها المشبوهة لبعض النشاطات بداخله، الشيء الذي دفع بـ"أمين" والعمال إلى الثورة على الفساد فـ « بات المصنع

---

[1] - الرواية : ص(32).
[1] - الرواية : ص (110).
[2] - الرواية : ص (139).

بين أيدي العمال . كونوا فرقا للمراقبة وأخرى للأمن . انتخبوا رئيسا على كل ورشة نظام 3 في 8 بصفة رائعة. بعض الفرق كانت تحضر قبل الوقت. رهان كان يجب أن يكسب »[3].

ويمثل المقطع الثاني، مرحلة الانتخابات وبداية الصراع الفعلي ،فـ "ذرية الذئاب" متمسكة ببقائها في السلطة بالمال أو بالجاه أو بالقوة . أما "ذرية النمرود" فتأمل من وراء هذه الانتخابات إلى انتزاع رئاسة القسمة ممثلة في شخص "ولد ربيعة". وحدث ما كان متوقعا فتحصلت "ذرية النمرود" على الأغلبية،لكن ما لم يكن متوقعا هو إقدام "ذرية الذئاب" على تزوير نتائج الانتخابات علنا ، وعين "يزيد" من جديد على رأس القسمة من طرف "سي مقدر" المشرف على الانتخابات ، وهذا بحجة كفاءته ،ومن العسير الحصول على من يخلف مكانه « أيها الإخوة المناضلون لا يخفى عليكم معنا في القاعة مناضل كبير بذل جهده وعرقه ووقته ..

– وما تنس ماله .

– في سبيل هذه القسمة ومناضليها .. لذا من غير المعقول أبدا الاستغناء عن تجربته .. أيها الإخوة تكوين إطار في الحزب يلزم الوقت والجهد »[4]. مما أثار غضب "ذرية النمرود" فاشتبكوا مع من يعادونهم .

وهذه النهاية المؤسفة جاءت عندما لم تتحقق معادلة التعايش في ظروف سلمية ولم تعبر عنها الانتخابات الديمقراطية، لجأت السلطة إلى التزوير لانتصار فكرتها مع حلفائها .

وتأتي المرحلة الثالثة والأخيرة وفيها يزج النظام بزعماء "ذرية النمرود" داخل السجن لتتبخر أحلامهم في الظفر بالسلطة وإعادة مسار القسمة والبلدية لما كانت عليه سابقا.

إن رواية "زمن النمرود" بنهايتها هذه طرحت فكرة استمرار العنف في الجزائر من أجل اعتلاء السلطة، وهذا ما حدث فعلا مع نهاية الثمانينيات إلى أواخر التسعينيات.

---

[3] - الرواية :ص (176).

[4] - الرواية: ص(189).

المصادر و المراجع

أولا : المصادر

1- الحبيب السايح زمن النمرود ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،(1985)

ثانيا : المراجع

I- الكتب

1- أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية (1830 - 1945) ، ج (1 ، 2 ،3) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، (ط1) ، (1992).

2- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954) ، ج (8) ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، (ط1)،(1998).

3- أبوليوس لوكيوس الحمار الذهبي ،(ت) : أبو العيد دودو ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، (دط)،(2001).

4- أحمد محمد عطية الرواية السياسية العربية،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر ، (ط1)،(1981).

5- إدريس بودية الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار ، شركة أشغال الطباعة قسنطينة، الجزائر،(ط1)،(2000).

6- إلياس خوري تجربة البحث عن أفق ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، بيروت لبنان، (دط)،(1974).

7- بشير بويجرة محمد بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970-1980)، ج (1) ، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر ، (ط1)،(1986) .

8- بيرنار فاليت في كتابة الرواية ، مدخل إلى المناهج و التقنيات المعاصرة في التحليل الأدبي، (ت):عبد الحميد بورايو ، دار الحكمة ،(دط)،(2002).

9- بوشوشة بن جمعة اتجاهات الرواية في المغرب العربي ، المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار ، تونس، (ط1) ،(1999).

10- تزفيتان تودوروف نقد النقد ، (ت): سامي سويدان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق،(ط1)،(1986).

11- تزفيتان تودوروف الشعرية ، (ت): شكري المبخوت و رجاء سلامة ، دار توبقان للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ،(ط2)،(1990).

12-جيرار جنيت خطاب الحكاية ، (ت): محمد معتصم ،عبد الجليل الأزدي، عمر الحلى ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، (ط3)،(2003).

13- جورج لارين الأيديولوجية و الهوية الثقافية،(ت): فريد حسن خليفة،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر (ط1)،(2002).

14- حسن بحراوي بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان (ط1) ، (1990).
15- حسام الخطيب محاضرات في تطور الأدب الأوربي و نشأة مذاهبه و اتجاهاته النقدية ،جامعة دمشق ، سورية ، (دط)، (1983).
16- حميد لحمداني النقد الروائي والأيديولوجية ، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، (ط2)،(1990).
17- حميد لحمداني بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان ،(ط2)،(1993).
18- حنا مينة هواجس في التجربة الروائية ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، (ط1)، (1982)
19- رامان سلدن النظرية الأدبية المعاصرة،(ت):جابر عصفور،دار قباء، القاهرة ،مصر،(دط)، (1998).
20- روجر آلان الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية ،(ت):حصة إبراهيم منيف، المجلس الأعلى للثقافة،(ط2)،(1997).
21- سيزا أحمد قاسم بناء الرواية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر،(دط)،(1984)
22- سعيد علوش الرواية و الأيديولوجية في المغرب العربي ،دار الكلمة ، بيروت، لبنان، (ط1)، (1981).
23- السعيد الورقي اتجاهات الرواية العربية ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،مصر ، (ط1)، (1998).
24- السعيد يقطين القراءة و التجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب ،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، المغرب ، (ط1) ، (1985).
25- السعيد يقطين انفتاح النص الروائي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، (ط1)، (1989).
26- صالح الخرفي رمضان حمود ، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث (3) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، (دط)،(1985).
27- صالح مفقودة المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، (ط1)، (2003).
28- الصادق هجرس أين وصلت الجزائر و ماهي الآفاق ؟، مركز الأبحاث و الدراسات الاشتراكية في العالم العربي ، (دط)،(دت).
29- طه وادي الرواية السياسية ،دار النشر للجامعات العربية ، القاهرة ، مصر،(ط1)، (1996).

30-عبد الجليل مرتاض البنية الزمنية في القص الروائي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، (دط)،(1983).
31- عبد الحميد بورايو منطق السرد ، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (دط)،(1994).
32- عبد القادر جغلول تاريخ الجزائر الحديث ، دار الحداثة، بيروت ، لبنان،(ط1)، (1981).
33- عبد الله بن قرين رمضان حمود (1906-1929) مطبعة القورزي ، بوسعادة،الجزائر، (دط)،(2003).
34- عبد الله الركيبي الشعر الديني الجزائري الحديث ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،(ط1)،(1981).
35- عبد الله الركيبي تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974) ، الدار العربية للكتاب،تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(د ط) ، (1983).
36- عبد الكبير الخطيبي الرواية المغربية،(ت): محمد برادة ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط ، المغرب، ع (2)،(1972).
37- عبد الله العروي مفهوم الأدلوجة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان، (ط1)، (1986).
38- عبد الله العروي الأيديولوجية العربية المعاصرة ،(ت):محمد عيتاني، دار الحقيقة،بيروت ، لبنان، (دط)،(1970).
39- عبد المالك مرتاض فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(دط)،(1983).
40- عبد المالك مرتاض تحليل الخطاب السردي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، (دط)،(1995).
41- عايدة أديب بامية تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، (دط)،(1982).
42- عز الدين إسماعيل الأدب و فنونه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، (ط8)،(دت).
43- عز الدين إسماعيل الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر، (دط)،(1992).
44- عمر بن قينة في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا.. و أنواعا، و قضايا.. و أعلاما) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (دط)،(1995).
45- العربي دحو الشعر الشعبي الجزائري و دوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس(1954-1962)، ج (1) ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،(دط)،(1989).
46-علي شلش نشأة النقد الروائي في الأدب العربي ، دار قباء ، بيروت ، لبنان ،(دط)، (1992).

47- عصام محفوظ الرواية العربية الطليعة و الشاهدة، دار ابن خلدون، بيروت، لبنان، (ط1)، (1982).
48- فاطمة الزهراء أزرويل مفاهيم نقد الرواية بالمغرب، نشر الفنك ، الدار البيضاء،المغرب،لافوميك، الجزائر ،(دط)،(1989).
49- كيلة كونالسون المادية التاريخية ، دار التقدم موسكو، الاتحاد السوفياتي،(ط2)،(1972).
50- محمد برادة الرواية العربية واقع و آفاق ، دار ابن رشد ، بيروت ، لبنان ،(دط)، (1981).
51- محمد بلقاسم حسن بهلول القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، (دط)،(1985).
52- مصطفى التواتي دراسات في روايات نجيب محفوظ الذهنية ، الدار التونسية للنشر،تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (دط)،(دت).
53- مصري عبد الحميد حمورة الأسس النفسية للإبداع الفني للرواية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، (دط)،(1979).
54- محمد الدغمومي الرواية المغربية و التغير الاجتماعي ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، (دط)،(1991).
55- مهدي عامل مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني ، دار الفرابي ، بيروت، لبنان ، (ط3)، (1980).
56- محمد كامل الخطيب الرواية و الواقع ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، (ط1)، (1981).
57- محمد مصايف الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس، ليبيا ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (دط)،(1983).
58- محمد ناصر رمضان حمود حياته و آثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (دط)، (1985).
59- مغنية الأزرق نشوء الطبقات في الجزائر،(ت): سمير كرم (م أ ع)، بيروت ، لبنان،(ط1)، (1980).
60- ميخائيل باختين الخطاب الروائي ،(ت):محمد برادة ، دار الفكر، القاهرة، مصر،(ط1)،(1987).
61- ميشال بوتور بحوث في الرواية الجديدة ،(ت):فريد أنطونيوس،دار عويدات بيروت،لبنان،(ط1)، (1971).
62- نبيل سليمان وعي الذات و العالم ، دراسات في الرواية العربية ، دار الحوار،بيروت،لبنان، (ط1)،(1985).
63- هيجل المدخل إلى عالم الجمال (ت): جورج طرابيشي، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان، (ط1)،(1980).

64- واسيني الأعرج اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،(دط)، (1986).

65- واسيني الأعرج تجربة الكتابة الواقعية عند الطاهر وطار ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (دط)،(1989).

66- وولف أريك الحروب الفلاحية في القرن العشرين ،(ت): أكرم الرافعي ، دار الحقيقة ، بيروت، لبنان، (دط)،(1997).

67- يمنى العيد فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب ، دار الآداب ، بيروت، لبنان، (ط1)،(1998).

- كتب أخرى ذات تأليف جماعي

1- أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، ج (2)،(ت):فؤاد المرعي، دار الفارابي، بيروت ،لبنان، دار الجماهير العربية، دمشق، سورية، (دط)،(1978).

2- أعمال و بحوث كتاب الملتقى الرابع عبد الحميد بن هدوقة ، وزارة الاتصال و الثقافة ، مديرية الثقافة لولاية برج بوعريريج ، دار هومة ، الجزائر ، (ط1)، (2001).

3- الأدب و الأنواع الأدبية ، (ت) : طاهر حجار ،دار طلاس ، (ط1)،(1985).

4- تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ج (1،2)،دار التقدم موسكو ، الاتحاد السوفياتي ،(دط)،(1976).

5- دراسات في القصة العربية ، وقائع أدباء ندوة مكناس ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، (ط1)،(1986).

6- الرواية العربية بين الواقع و الأيديولوجية ، دار الحوار ، اللاذقية ، سورية ، (ط1)،(1986).

7- الرواية العربية واقع و آفاق ، دار ابن رشد ، بيروت ، لبنان ، (ط1)،(دت).

8- مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، تونس ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (دط)،(دت).

II- المعاجم

1- المعجم الوجيز (الميسر)،دار الكتاب الحديث،الكويت،(ط1)، (1993).

III-المخطوطات

1- أحمد شريبط الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر ،رسالة ماجستير بإشراف د/محمد مصايف ،معهد اللغة والأدب العربي ، جامعة الجزائر،(1986-1987) .

2- باية خوجة صورة البحر في روايات حنا مينة ، رسالة لنيل شهادة الماجستير بإشراف د/ أبو العيد دودو، معهد اللغة والأدب العربي ،جامعة الجزائر،(1995-1996).

3- رابح الأطرش بناء الرواية العربية الجزائرية(1970-1985) ، رسالة ماجستير بإشراف د/ مصطفى عبد الشافي الشورى ، جامعة عين شمس ، مصر، (1990-1991) .

4- علال سنقوقة إشكالية السلطة في الرواية الجزائرية،رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها بإشراف د/ نور الدين السد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر،(1996-1997).

5- عبد الله بن قرين النقد الأدبي الحديث في الجزائر ، رسالة ماجستير بإشراف د/فؤاد المرعي، قسم اللغة العربية، جامعة حلب ، سورية، (1985-1986).

6- محمد الأمين الزاوي الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية،رسالة ماجستير بإشراف د/حسام الخطيب قسم اللغة العربية،جامعة دمشق، سورية، (1983-1984) .

7- يحي عبد السلام فن الرواية عند محمود المسعدي ،رسالة ماجستير بإشراف د/سعيد حسن منصور، قسم اللغة العربية، جامعة الإسكندرية ، مصر، (1987-1988) .

IV-الدوريـات

1- آفاق ،مجلة سنوية يصدرها اتحاد كتاب المغرب ،الرباط ، المغرب ، ع(1)،(1990).

2- الأسبوع الأدبي ،مجلة أسبوعية يصدرها اتحاد الكتاب العرب،دمشق، سورية ، ع (499) ، (02-02-1995).

3- الخبر، يومية تصدر عن شركة الخبر، الجزائر، السنة الرابعة عشر،ع (4269)، الخميس 16 ديسمبر .2004

4- العلوم الإنسانية ،مجلة سنوية تصدرها جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر،ع(2)،جوان(2002).

V- الوثـائق

1- جبهة التحرير الوطني: الميثاق الوطني، الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر، (1976).

VI-الأنترنيت

1- http:www.net.sa./1991/mar/21/cu4.htm

2- mailto : aru@net.sy.

المقدمة

تمثل الكتابة الروائية الجزائرية بحداثة نشأتها إحدى أهم التجارب التي شكلت المكتبة العربية بلسانيها العربي و الفرنسي. وخير من مثلها:"رضا حوحو،مولود فرعون،كاتب ياسين، مالك حداد ، آسيا

جبار ، رشيد بوجدرة ، رشيد ميموني ، عبد الحميد بن هدوقة ، الطاهر وطار ، واسيني الأعرج، الطاهر جاووت ، الحبيب السايح ، أحلام مستغانمي" و غيرهم.

و أهم ما يميز هذه الأسماء أنها لا تعزف على وتر واحد ولا على آلة سردية واحدة ، فكل واحد منهم اجترح لنفسه مسلكا خاصا انشغل بتعبيده حتى أصبح فضاءه الخاص به، وشكل لنا عالما روائيا جزائريا حديثا.

إن إشكالية نص رواية "زمن النمرود"* تقوم على شعور كاتبها بعجزه عن إقامة علاقة انسجام مع واقعه المعيش ، مما يبرر موقفه الرافض للوضع الاجتماعي المتدني، وهو ما عمق شعور الروائي بالغربة عن واقعه وأثار نقمته على المجتمع وحفزه على رفض أوضاعه وفضح خفاياه وإدانته مما يمثله من قيم وأخلاق وممارسات.

لذا طرحت السؤال المشروع : هل بإمكاني أن أشخص وأحدد بموضوعية البنى الفكرية والفنية والجمالية لهذا العمل الروائي ؟

ومن وراء هذا الاستفسار أتى الهدف من تناولي لهذا الموضوع والمتمثل في إظهار مضمون هذه الرواية وبنيتها من خلال المسك بفضاء نصها ومكوناته المركزية، والكشف عن عناصره الأكثر تأثيرا وهيمنة وتحريكا للصيرورة الفنية في مسارها وتجلياتها الظاهرة والخفية مع التركيز على موقع هذا العمل في سياقاته المختلفة،وعلاقته بالواقع الاجتماعي المحلي المشدود إلى إيقاع الحياة بخصائصه الذاتية ومميزاته الفكرية.

إن اختياري للروائي "الحبيب السايح" كان انتقاء نموذجيا في الكتابة الروائية الجزائرية في الثمانينيات وما بعدها وهو انتقاء نصي انحاز لما هو سوسيولوجي لغة وفنا وأيديولوجية خلافا لروايات زملائه على سبيل المثال "واسيني الأعرج وأحلام مستغانمي"، إذ مثل كل منهما منحى أيديولوجيا آخرا ،أو فرض شكل اللغة المتدفقة في النص خلافا لرواية "زمن النمرود" التي تدفقت فيها شعرية اللغة الاجتماعية بمختلف درجاتها.

كما أن ميلي للدراسة الاجتماعية فرض علي الاهتمام بالموضوعات المتعلقة بالمجتمع وقضاياه المختلفة .وهذا الهاجس سكنني منذ الطفولة ، لذا اخترت روائيا أقرب إلى نفسيتي ونصا روائيا يصور الحياة الجزائرية التي تمثلني وأجد فيها ذاتي .

أما بالنسبة لاختياري رواية "زمن النمرود" كنص فني للدراسة فيعود إلى كونها باكورة إنتاج الروائي نفسه بعد تحوله من القص في القصة القصيرة إلى تصوير الحياة تصويرا روائيا يعمد إلى كشف

* الحبيب السايح: زمن النمرود،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(1985).

الواقع وتعريته عكس ما كانت تقدمه النصوص الروائية التي غلب عليها الطابع الأيديولوجي المدعم للحزب الواحد.

واقتضت طبيعة موضوعي هذا تقسيمه إلى ثلاثة فصول.

خصصت الفصل الأول للرواية والمنهج السوسيونصي، تناولت فيه مكونات بنية مجتمعنا قبل وبعد الاستقلال وانعكاس ذلك الواقع على مؤلفات روائيينا، ثم تطرقت إلى مفهوم الرواية لدى المنظرين الغربيين والعرب بمختلف مدارسهم.بعد ذلك تتبعت نشأة الرواية الجزائرية بداية من "الحمار الذهبي" لـ "أبوليوس لوكيوس" إلى الميلاد الفعلي لها فنيا بداية سبعينيات القرن الماضي.و أخيرا تحدثت عن الاتجاه الواقعي في الكتابة الروائية الجزائرية.

وتناولت في الفصل الثاني البنية السردية لرواية " زمن النمرود" ،بدأته بعرض ملخص للرواية،ثم تطرقت إلى دراسة الشخصيات الممثلة في طرفين متعارضين هما: " ذرية الذئاب " و" ذرية النمرود ".بعد ذلك تحدثت عن الزمن بأبعاده الثلاثة الوقائعي، والفني،والنفسي،ثم تطرقت إلى دراسة المكان حيث قسمته إلى أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة.وفي الأخير قمت برصد أهم الأحداث الرئيسية التي بنيت عليها هذه الرواية .

أما الفصل الثالث والأخير فخصصته للقيم الدلالية والجمالية للرواية،وفيه تناولت الصراع الاجتماعي والأيديولوجية السائدة ، ثم حاولت الاقتراب من مقولة الكاتب أو رؤيته.

وفي الأخير سأنهي هذا العمل بخاتمة أضمنها النتائج المتوصل إليها .

أما المنهج الذي اتبعته فهو المنهج السوسيونصي مع الاستفادة من المنهجين التاريخي والنفسي.

وبحثي هذا كأي بحث لم يخل من بعض المصاعب والعوائق بعضها شخصي وبعضها الآخر يتعلق بندرة المراجع وصعوبة الحصول عليها،ومع ذلك فقد حاولت جاهدا التغلب على تلك الصعوبات وإنجاز العمل محققا ما استطعت من علمية الطرح وموضوعية التناول الإحاطة بكل جوانبه .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بجزيل الشكر إلى أستاذي المشرف الدكتور"صالح مفقوده" الذي تعهد هذا البحث بالرعاية العلمية والتتبع الجاد،ولم يبخل علي بالنصح المستمر ليجنبني كل العثرات،فكان له بذلك الفضل الأكبر في إنجازه.

فهرس الموضوعات

المقدمة.....3-5

الفصل الأول:الرواية والمنهج السوسيونصي.....6-45

I – مكونات بنية المجتمع الجزائري.....7-16

II – انعكاس البنية التحتية والفوقية.....17-19

III – مفهوم الرواية.....20-27

IV – نشأة الرواية الجزائرية.....28-39

1- النشأة التاريخية وأبوة الرواية الإنسانية "الحمار الذهبي لأبوليوس لوكيوس".....28-29

2- رواية عهد الإقطاع "حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن إبراهيم1949"...29-32

3- الرواية الرومانسية "الفتى لرمضان حمود 1929".....32-33

4- الرواية الإصلاحية "غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو".....33-36

5- الكتابة الروائية في الخمسينيات.....36-37

6- الكتابة الروائية بعد الاستقلال.....37-39

V- الاتجاه الواقعي في الرواية الجزائرية.....39-45

1- الاتجاه الواقعي النقدي.....41-43

2- الاتجاه الواقعي الاشتراكي 44-45

الفصل الثاني :البنية السردية لرواية " زمن النمرود".....46-85

I- ملخص رواية "زمن النمرود".....48-51

II – الشخصية الروائية في "زمن النمرود".....52-62

1- مفهوم الشخصية الروائية.....52-53

2- الشخصيات في رواية "زمن النمرود".....53-62

أ-شخصيات "ذرية النمرود".....54-59

أولا-جيل الثورة.....54-56

ثانيا-جيل الاستقلال.....56-59

ب-شخصيات "ذرية الذئاب".....59-62

III – الزمكان الفني في رواية "زمن النمرود".....63-80

1- زمن الصراع ومقاومة الفساد.....63-72
أ-مفهوم الزمن الروائي.....63-65
ب-توظيف الزمن في رواية "زمن النمرود".....65-72
أولا-الزمن الوقائعي.....65-67
ثانيا-الزمن الفني.....67-71
ثالثا-الزمن النفسي.....71-72
2- الفضاء البطولي في تاريخ الجزائر الحديث.....73-80
أ-مفهوم المكان الروائي.....73-76
ب-توظيف المكان في رواية "زمن النمرود".....76-80
أولا-أماكن مفتوحة.....76-77
- مقهى تشراك الفم.....76-77
ثانيا-أماكن مغلقة 78-80
- دار القسمة.....78
- مزرعة بلخير 78-79
- مصنع الورق.....79-80
IV – مضمون رواية "زمن النمرود".....81-85
1- مفهوم الحدث الروائي.....81-82
2- سير أحداث رواية "زمن النمرود".....82-85
الفصل الثالث:القيم الدلالية و الجمالية في رواية "زمن النمرود".....86-124
I – الأيديولوجية والصراع الاجتماعي.....88-111
1- الرواية والأيديولوجية.....88-94
2- البعد الأيديولوجي والاجتماعي في رواية "زمن النمرود".....94-111
أ- أيديولوجية الاستعمار.....94-97
ب- أيديولوجية "ذرية الذئاب".....97-100
ج- أيديولوجية "ذرية النمرود".....100-108
أولا- الأيديولوجية الاشتراكية 100-107
- فئة المجاهدين.....103-105
- فئة الشباب.....105-107

ثانيا- الاتجاه الديني 107-108
د – أيديولوجية الروائي 109-111
II – القيم الجمالية ومقولة الكاتب.....112-124
1- القيم الجمالية 112-124
أ- القيم السامية.....113-118
ب- القيم المبتذلة.....118-124
2- مقولة الكاتب.....124
الخاتمة.....125-126
المصادر والمراجع.....127-132
أولا- المصادر.....127
ثانيا- المراجع 127-132
I- الكتب 127-131
II- المعاجم.....131
III- المخطوطات.....131-132
IV- الدوريات.....132
V- الوثائق.....132
VI- الأنترنيت.....132
- ملخص البحث باللغة الفرنسية.....133-134
- ملخص البحث باللغة الإنجليزية.....135-136
- فهرس الموضوعات.....137-138

After a long study of this novel " zamane ennamroude " I concluded that it was a clarity of traces between adulthood and art, and between objectivity and subjectivity, and symbol of elections it is only an expression of intellectual and artistic adulthood and proof of its capacity of creation and creation, it was only after this job that he could découvrire social, economic and popular situations in the the sixties ten and the beginning of the years eighty by avoiding the style of the historians because this novel was one the whole expression written which expresses the reality of our socialité for this period by representing the industrial strife and the big ideological transformation in the capitalist countries which left many traces after independence which were represented well in " dhouriate ennamroude " and " dhourite edhiaab " where I pointed out big difference between principles artistic of conflict ideological because all etait goodness expressed in the novel of " dhouriate ennamroude " and the opposite in the novel of " dhourite edhiaabe "; and all these novels have historical sources and ideological ideas;

The novel " zamane ennamroude " was characterized by:
History was on the dream of democracy and the financial year of birogratie and the working of sensitive post offices and ban of matters it who to replace them fright of the loss of its interests.

It was a true novel of reality of the Algerian society that makes snack bar of a place of expression of its problems, as well as Dar elhikma which declared frankly the mismanagement of authorities and their poor working of the illiterate people which does not trust in them any more then it rebelled against this situation.

The time was chosen well because for this period the country was in a poor situation which the author could determine in this novel.
In the contents of the novel they point out a conflict individual and the colonialism and authority enters l ‘ and the society which was divided into two categories, the first category was socialist which searches equality, justice and religious tendency .la second category was capitalist which want to destroy the society and to abrogate the building of firms and to change Islamic authority drastically.

The description of the figures women that the novelist were negative history is in the society or because they had no role main in main and they were under the authority of the man.

At the end the novelist ends by the description of reality by basing on the observation of the negative phenomena of our society not to say that c was that a party what characterizes the critical realistic writing.

Summery

The subject of my study concerns the Algerian novel texts which are relating to the narrative texts I hope to make a study on its national victory not to say that, it makes us a obsession of knowledge to discover its reality, transformed after independence, and having know Algerian revolution in the revolutionary novel

The thesis of the novel " zamane ennamroud " is established on the feelings of his author because he was unable to fit with the society what explains his negative reaction against the bad social status of the society that it encourages it to neglect reality his and to detest its circle and to refuse its bad living conditions and to accuse all that represents its traditional country, usages and disciplines.

Question put down in the present thesis is: that am able to explain defining in any objectivity and clarity the ideal, artistic trainings, and of beauty of this type of novel.
And behind this question that I took the subject of this study to mention the contents of this novel according to its context and its central compositions and to discover the most dominating elements and to motivate artistic chase and to emphasize it while basing on the importance of this job and relation with the social reality which always tries to link up characteristics personnel's with characteristics intellectuals.

To attain this purpose I have devidedmy study in three chapters and conclusion.
The first chapter concerns the novel and method of socio_texte where I defined the novel to the European as well as Arabic of every his different schools then I followed the creation of the Algerian novel beginning with « the golden donkey of aboulios Lokios » up to sound the real beginning in the seventies, the preceding century, in suite I made a study on the tendency of the realists in domains of the Algerian novels, at the end I spoke on the components of our society before and after independence and its influence on our novels.

And the second chapter studies the narrative element of the novel " Dheriat ennamrod " then I represented the place which I broke down into opened places and others closed, there then the time which I broke down into three party; realistic, psychical and artistic and at the end I made a small study on the main movements of the novel.
The third and last chapter is especially on the artistic disciplines of the novel where I have study the industrial strife and ideological, then I have try to approach in words of the écrivint or its point of view.

And I ended my study by a conclusion which opened me the way to know the improvement of our literature in the field of the novel and I makes allusion to " the golden donkey " of "Alios Lokios" which is very close in the philosophical texts in sound try dan of research of ides news our life .et other novels which come afterwards in the beginning of the nineteenth century till the end of of the seventies of the preceding century, could not attain the level of the artistic novels, because novels were very linked up with the stories of love affairs and of one languages not supported blended with popular poem or they find an excess in the Romanticism (very romantic) and which does not express situations social, economic and critical policies of the people. therefore the birth of the Algerian novel begins ten of the preceding century in the the sixties which is owed of the birth of the new novelists to influence by the ideas of the socialism, it was because of it that their novels gave a lot of importance in capitalism or positively by words of honour or by criticisms against the authoritarian forehead

symbole des élections ce n'est qu'une expression de la maturité intellectuelle et artistique et une preuve de sa capacité de création et d'invention , ce n'était qu'après ce travail qu'il a pu découvrire les situations sociales , économiques et populaires dans les années soixante dix et le début des années quatre-vingt en évitant le style des historiens car ce roman était un ensemble des expression écrites qui exprime la réalité de notre socialité dans cette période en décrivant le conflit social et la grande transformation idéologique dans les pays capitalistes qui a laissé beaucoup de traces après l'indépendance qui étaient bien décrites dans « dhouriate ennamroude » et « dhourite edhiaab » la où j'ai remarqué des grandes différences entre les principes artistique du conflit idéologiques car toute la bonté etait exprimée dans le roman de « dhouriate ennamroude » et le contraire dans le roman de « dhourite edhiaabe » ;et tous ces romans ont des sources historiques et des idées idéologiques ;

Le roman « zamane ennamroude » était caractérisé par :

L'histoire était sur le rêve de démocratie et l'exercice de birogratie et l'exploitation des postes sensibles et l'interdiction de n'importe le qui de les remplacer peur de la perte de ses intérêts .

C'était un roman véridique du réalité de la société algérienne qui fait du cafétéria un lieu de d'expression de ses problèmes ,ainsi que Dar elhikma qui a déclaré franchement de la mauvaise gestion des autorités et leur mauvaise exploitation du peuple illettré qui ne leur fait plus de confiance puis il s'est révolté contre cette situation .

Le temps était bien choisi car dans cette période le pays était dans une mauvaise situation que l'auteur a pu déterminer dans ce roman .

Dans le contenu du roman on remarque un conflit entre l 'individu et le colonialisme et l'autorité et la société qui était divisé en deux catégories , la première catégorie était socialiste qui cherche l'égalité , la justice et tendance religieuse .la deuxième catégorie était capitaliste qui veux détruire la société et abroger la construction des entreprises et de changer l'autorité islamique radicalement .

La description des personnages femmes que le romancier étaient négative soit dans la société ou l'histoire car elles n'avaient aucun rôle principale dans principale et elles étaient sous l'autorité de l'homme .

En fin le romancier termine par la description de la réalité en basant sur l'observation des phénomènes négatifs de notre société pour ne pas dire que c était qu'une partie ce qui caractérise l'écriture réaliste critique

Résumé

Le sujet de mon étude concerne le roman Algérien dont le texte est relative aux textes narratifs j' espère faire une étude sur sa célébrité nationale pour ne pas dire qu'il ma fais une inquiétude de connaissance pour découvrir sa réalité transformée après l'indépendance et après avoir connaître la révolution algérienne dans le roman révolutionnaire
La thèse du roman « zamane ennamroud »est établi sur les sentiments de son auteur car il était incapable de s'adapter avec la société ce qui explique sa réaction négative contre les mauvaises conditions sociales de la société ce qu'il l'encourage à négliger son réalité et de détester son entourage et de refuser ses mauvaises conditions de vie et d'accuser tout ce que représente son pays de traditions ,coutumes et disciplines .

La question posée dans la présente thèse est :est ce que je suis capable de définir en toute objectivité et clarté les formations idéales , artistiques, et de beauté de ce genre de roman .

Et derrière cette question que j'ai pris le sujet de cette étude c'est de mentionner le contenu de ce roman suivant son contexte et ses compositions centrales et de découvrir les éléments les plus dominant et pour motiver la poursuite artistique et de la mettre en valeur en basant sur l'importance de ce travail et se relation avec la réalité sociale qui essaye toujours de relier les caractéristiques personnels avec les caractéristiques intellectuels .

Pour atteindre ce but j'ai décomposer mon étude à trois chapitres et conclusion .

Le premier chapitre concerne le roman et la méthode socio_texte où j'ai défini le roman chez les européens ainsi que les arabes de tous ses différentes écoles puis j'ai suivi la création du roman algérien commençant par « l'âne en or »de « aboulios Lokios » jusqu'au son réel début dans les années 70 , le siècle précédant ,en suite j'ai fait une étude sur la tendance des réalistes dans le domaines des romans algériens ,en fin j'ai parlé sur les composants de notre société avant et après l'indépendance et son influence sur nos romans .

Et le deuxième chapitre étudie la composante narrative du roman « Dheriat ennamrod » puis j'ai décrit le lieu que j'ai décomposé en en lieux ouverts et d'autres fermés , ensuite le temps que j'ai décomposé en trois partie; réaliste ,psychique et artistique et en fin j'ai fait une petite étude sur les mouvements principaux du roman .

Le troisième et dernier chapitre est spécialement sur les disciplines artistiques du roman où j'ai étudie le conflit social et idéologique , puis j'ai essayer d'approcher au paroles de l'écrivint ou son point de vue.

Et j'ai terminé mon étude par une conclusion qui m'a ouvert le chemin pour connaître l'amélioration de notre littérature dans le domaine du roman et je fait allusion à « l'âne en or » de « Alios Lokios » qui est très proche aux textes philosophiques dans son essaye de recherche des nouvelles ides dan notre vie .et les autres romans qui viennent après dans le début du dix-neuvième siècle jusqu'à la fin du des années soixante-dix du siècle précédant ,n'ont pas pu atteindre le niveau des romans artistiques ,car se romans étaient très reliés aux histoires d'amours et d'un langages non soutenu mélangé avec la poésie populaire ou bien on trouve un excès dans le romantisme (très romantique) et qui n'exprime pas les situations sociales, économique et politiques critiques du peuple . donc la naissance du roman algérien commence dans les années soixante dix du siècle précédant qui est due de la naissance des nouveaux romanciers influencer par les idées du socialisme ,c'était à cause de cela que leurs romans donnaient beaucoup d'importance au capitalisme soit positivement par des mots d'honneur ou bien par des critiques contre le front autoritaire .

Apres une longue étude de ce roman « zamane ennamroude » j'ai conclu que c'était une clarté des traces entre la maturité et l'art ,et entre l'objectivité et la subjectivité , et le.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الأدب العربي

سردية النص الروائي الجزائري
دراسة سوسيونصية لرواية "زمن النمرود" لـ"الحبيب السايح "

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري

إعداد الطالب:
طـاهر مسيلي

إشراف الدكتور:
صالح مفقوده

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د/ عبد الرحمان تبرماسين	أستاذ محاضر	بسكرة	رئيسا
د/ صالح مفقوده	أستاذ التعليم العالي	بسكرة	مشرفا ومقررا
د/ علي زغينة	أستاذ محاضر	بسكرة	عضوا مناقشا
د/ عمرو عيلان	أستاذ محاضر	خنشلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2006/2005

الفصل الأول

الرواية والمنهج السوسيونصي

I- مكونات بنية المجتمع الجزائري

II- انعكاس البنية التحتية والفوقية

III- مفهوم الرواية

IV - نشأة الرواية الجزائرية

1- النشأة التاريخية وأبوة الرواية الإنسانية "الحمار الذهبي لأبوليوس لوكيوس"

2- رواية عهد الإقطاع "حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن إبراهيم 1849"

3- الرواية الرومانسية "الفتى لرمضان حمود 1929"

4- الرواية الإصلاحية "غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو"

5- الكتابة الروائية في الخمسينيات

6- الكتابة الروائية بعد الاستقلال

V- الاتجاه الواقعي في الرواية الجزائرية

1- الاتجاه الواقعي النقدي

2- الاتجاه الواقعي الاشتراكي

الفصل الثالث

القيم الدلالية و الجمالية في رواية "زمن النمرود"

I- الأيديولوجية و الصراع الاجتماعي

1- الرواية و الأيديولوجية

2- البعد الأيديولوجي و الاجتماعي في رواية "زمن النمرود"

أ- أيديولوجية الاستعمار

ب- أيديولوجية "ذرية الذئاب"

جـ- أيديولوجية "ذرية النمرود"

أولا- الأيديولوجية الاشتراكية

- فئة المجاهدين

- فئة الشباب

ثانيا- الاتجاه الديني

د- أيديولوجية الروائي

II- القيم الجمالية ومقولة الكاتب

1- القيم الجمالية

أ- القيم السامية

ب- القيم المبتذلة

2- مقولة الكاتب